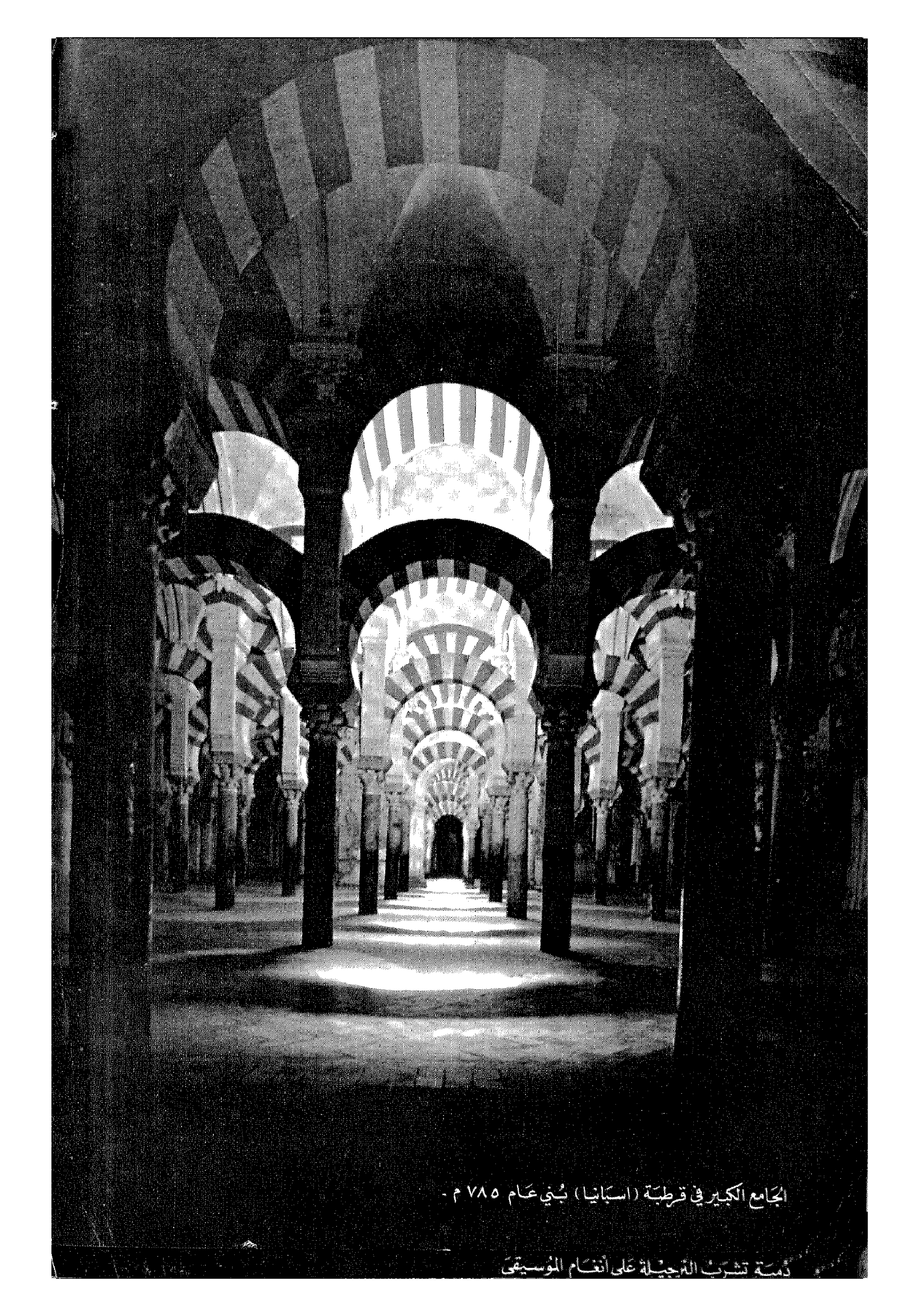
السنة الأولى - العدد الرابع - شباط "فبراير" ١٩٧٩ - الموافق ربيع الأول ١٣٩٩

- المقاومة الشعبية المصرية ضد الاحتلال الفرنسي
- الآثار العراقية من أقدم الأزمنة حتى العصر الحجري
- أسرار اتفاقية سايكس - بيكو

- الأمير فخر الدين الثاني
بطل وطني ... أم حاكم أراد البقاء ؟

- ليلة الأمواس الطويلة :
ساعة تحكمت بمصير العالم
- زوايا تاريخية
الرياضة - الشطرنج - الطوابع - البروج - المسابقات



الجامع الكبير في قرطبة (اسبانيا) بُني عام ٧٨٥ م.

دمية تشرب الدجيلة على أنغام الموسيقى

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد الرابع
شباط (فبراير) ١٩٧٩
ربيع الأول ١٣٩٩ هـ.

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص. ب : ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج :
المطابع التعاونية الصحفية
التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	مسقط : ٨٠٠ بيزة

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST, ABOU HLEIL
BLG, P.O.B. 5905
TEL: 346276,
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
N°4 Feb. 1979
PRICE: 4L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION:
50$ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة، ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب، مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب وغيرهم، تراعي في الالقاب الصفات العلمية فقط.

عندما يكون احتلال
... تكون مقاومة

المقاومة الشعبية المصرية ضد الاحتلال الفرنسي (١٧٩٨-١٨٠١)

د. احمد عبد الرحيم مصطفى

لعل مقاومة الاحتلال الجاثم على صدر الامة منذ العام ١٩٤٨، ثم بعد العام ١٩٦٧، هي ابرز معارك هذه المرحلة من التاريخ العربي.

ولم يقصر العرب، على امتداد تاريخهم النضالي، كما لم تقصر شعوب العالم الاخرى في مقاومة احتلال قوات غريبة لاراضيها او جزء من اراضيها... وحتى في مقاومة الاحتلال السياسي والاقتصادي والمعنوي لفكر وسياسات وموارد هذه الشعوب المستعمرة.

ومن مقاومة الشعب العربي في مصر للاحتلال الفرنسي (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) الى مقاومة الشعب الفيتنامي من ديان بيان فو الى سايغون، الى مقاومة الشعب الفلسطيني للاحتلال الصهيوني... تاريخ طويل يجدر التوقف عنده بالدراسة والتعمق لاكتساب الخبرات.

ومن اجل ذلك كانت هذه السلسلة من تاريخ الشعوب في مقاومة انواع الاحتلال التي تعرض لها.

■جاء الفرنسيون الى مصر بقيادة نابليون بونابرت جرياً وراء اهداف عسكرية استعمارية ترتبط بكفاح فرنسا الثورة ضد انكلترا ارتباطها بالاتجاهات الاستعمارية التي عبر عنها كثير من المفكرين والساسة الفرنسيين في القرن الثامن عشر. جاؤوا اليها مزودين ليس فقط بجيش يستعمل الاسلحة الحديثة التي تطورت في اوروبا، بل بقائد محنك وبمجموعة كبيرة من العلماء والمهندسين والفنيين .

وكانت مصر حينئذ لم تخرج كثيراً في وسائل دفاعها عما كانت عليه الحال في العصور الوسطى حين تغلب المصريون والمماليك على الحملة الفرنسية في اواسط القرن الثالث عشر واسروا ملكها القديس لويس التاسع، وبذلك كانت القوى غير متكافئة من البداية الى النهاية.

ورغم ذلك، ورغم ادراك المصريين قوة خصمهم لم ينوا لحظة عن مقاتلة الفرنسيين منذ نزولهم الى الاسكندرية (اواخر حزيران ١٧٩٨) حتى جلائهم عن البلاد (ايلول ١٨٠١). قاتلوهم في المدن الكبرى، ورفعوا لواء العصيان في ساحات الدلتا جميعاً، وقاوموا مقاومة اعنف في الصعيد حيث الرجال اشد بأساً، وحيث الطبيعة الجغرافية تساعد على حرب الكر والفر، وحيث المسافة بعيدة عن العاصمة والمواصلات صعبة.

وقامت القاهرة قومتين عنيفتين (تشرين الاول ١٧٩٨ وآذار ١٨٠٠) كان لهما اثرهما في احراج مركز الفرنسيين على الرغم من المحاولات المتكررة التي لجأ اليها هؤلاء لاسترضاء القاهريين بوجه عام والمصريين بوجه خاص. فعبثاً حاول نابليون ان يخاطب المصريين بلغة الحرية والاخاء والمساواة التي خرجت بها الثورة الفرنسية، مثيراً فيهم امجاد مصر القديمة التي تقطعت بها الاسباب. وعبثاً تظاهر باحترام تقاليدهم وعقائدهم وتقريب زعمائهم والتلويح لهم بالاستقلال الذاتي. ذلك ان النظام الاداري الصارم الذي وضعه الفرنسيون، وما اضطروا الى فرضه من الضرائب وتدخلهم في صميم حياة الناس، واتضاح مخالفة سلوكهم للتقاليد الشرقية وبعض اصول التقاليد الاسلامية - كل ذلك قد اوجد هوة بين المصريين والفرنسيين.

وقد بدأت الاسكندرية الكفاح فلقد حصن اهلها اسوار مدينتهم وشحنوا القلاع بالامداد والذخائر جهد طاقتهم، وفزعوا الى السلاح، وركبوا المدافع الثقيلة على اسوار المدينة استعداداً للكفاح، وعهدوا الى جماعة من الفرسان بمناوشة الفرنسيين قبل اقترابهم من المدينة.

الاسكندرية تقاوم

وفي الاسكندرية ذاتها احتشد الناس على الاسوار وفي الابراج مسلحين بالبنادق والرماح. وحين حدث الهجوم الفرنسي العام اخذ الاهالي يطلقون النار من مدافعهم اطلاقاً غير محكم. وقاومت المدينة مقاومة شديدة ولكنها كانت غير مجدية امام الاسلحة الفرنسية، فاقتحمها الفرنسيون وهاجموا الناس في بيوتهم. ولم يكف اهل المدينة عن المقاومة حتى اقنعهم قائد السفينة العثمانية التي كانت بالميناء، ان الفرنسيين انما جاؤوا لقتال المماليك...

في القاهرة

وبعد وقت قصير من احتلال القاهرة، قامت فيها أول ثورة ضد الحكم الفرنسي. ذلك ان الفرنسيين فرضوا ضريبة فادحة على الاهالي وصادروا الاملاك وابتزوا الاموال وهدموا المباني والاثار والمساجد وابواب الحارات بدعوى تحصين المدينة، واسرفوا في القتل ارهاباً للناس. وبلغ هياج النفوس اشده، وتكونت لجان للثورة تديرها وتنشر دعوتها وتنظم صفوفها واتخذت الازهر مقراً لها. ونظم الشعب ديواناً للثورة، فنظم المتطوعين للقتال واستخرج الاسلحة المخبوءة.

وحين بدأت الثورة احتشدت الجموع في الازهر، وامتلأت الطرقات بالناس حاملي السلاح من بنادق ورماح وسيوف وعصى قاصدين الاحياء التي يقطنها الفرنسيون. وهرع الجنرال ديبوي قومندان القاهرة وبعض رجاله الى منطقة بدء الثورة، فقتل هو وافراد من رجاله مما كان له اثره في تشجيع الثوار الذين استولوا على المواقع المحيطة بمعظم احياء القاهرة، واتخذوا من مصاطب الحوانيت متاريس اقاموها في الشوارع والحارات، اخذوا يطلقون من ورائها النيران.

وازدادت جموع الثوار بمن انضم اليهم من الضواحي، واخذ الناس يتجمعون بالازهر حتى اجتمع فيه وحده ١٥٠٠٠ من اشد الثوار حماسة. واستعد الفرنسيون واخذوا يضربون المدينة بالمدافع، واخذت القنابل تتساقط على حي الازهر وما حوله في الوقت الذي شرع فيه الثوار بالهجوم على موقع الازبكية مواجهين نيران العدو الحامية، مما ادى الى تسلقهم المنازل والاسطح المشرفة على الموقع، واحتلوا جامعاً صغيراً هناك، واصلوا الازبكية ناراً حامية قتلت الكثير من الفرنسيين. ورغم ذلك اخمدت ثورة القاهرة الاولى ازاء تفوق الاسلحة الفرنسية.

في الدلتا

ولقد بدأت المقاومة الشعبية في الدلتا على اثر نزول الفرنسيين الى البلاد، ثم ما لبثت ان امتدت الى مدن الوجه البحري وريفه جميعاً بشكل منتظم مستمر. بل ان الاهالي قد امتنعوا عن تموين الفرنسيين، وكانوا كلما قدم العدو الى قرية من القرى طلباً للمؤونة وجد اهلها قد حملوا متاعهم واخذوا مواشيهم وتركوها الى القرى البعيدة.

وما ان قامت القاهرة بثورتها الاولى حتى كان لها صدى واسع في شتى اطراف البلاد، فقامت البلاد كلها وكأنها على موعد، لدرجة ان الفرنسيين ظنوا ان الامر متفق عليه بين المصريين جميعاً.



رفع العلم

حقاً لقد قاتلت القرى المجاورة وارسلت متطوعيها الى القاهرة، مما جعلها موضعاً لانتقام الفرنسيين ،الذين ارسلوا اليها الكتائب بعد اخماد الثورة لتجوبها بحثاً عن اعيانها ومشايخها الذين اشتركوا في الثورة ، فقبض عليهم وحوكموا واعدم بعضهم .

هذا وقد نشط المصريون في مهاجمة المراكب الفرنسية بين القاهرة ورشيد والاسكندرية، وفتكوا بمن فيها . واستمرت المقاومة في الوجه البحري، وبخاصة في طنطا والمنصورة ومن دمياط الى الاسكندرية وازدادت اشتعالا بعد توجه نابليون الى الشام (١٧٩٩) .وما كاد الاهالي يشعرون بقلة عدد الجند الفرنسيين حتى بدأت تقوم الثورات في الدلتا من جديد: فبدأت في الشرقية ،وامتدت الى وسط الدلتا وغربيها حيث حدثت عدة معارك في كفر نجم وسنهور ودمنهور، ولم تهدأ الحال حتى عاد الفرنسيون من الشام .

موقعة امبابا

وبعد هزيمة المماليك في موقعة امبابة على ايدي الفرنسيين اعتقد مراد بك ان بامكانه التحصن بالوجه القبلي ومقاتلة الفرنسيين اذا انضم اليه الاهالي وعضدوه، وان بمقدوره ان يقطع الغلال عن القاهرة والوجه البحري لهذا قرر نابليون ان يبعث قوة فرنسية لتحطيم قوة مراد واخضاع الصعيد ضماناً لوصول الغلال والاغذية الى القاهرة والوجه البحري حتى لا تقع بهما المجاعة .

وسارت قوات الفرنسيين قاصدة الاستيلاء على سفن مراد التي استطاعت الافلات الى اسيوط، على حين التقت القوة المملوكية مع الفرنسيين عند سدمنت، وكانت قد انضمت الى قوات مراد اعداد كبيرة من الاهالي فرسانا ومشاة، وكادت الدائرة تدور على الفرنسيين لولا تفوق مدفعيتهم وحسن قيادتهم .

وكانت معركة سدمنت آخر المعارك المنظمة التي قادها مراد، ثم تحولت بعد ذلك الى حرب عصابات يقوم بها الاهالي في طول الصعيد، ومعهم بعض الاعراب الذين اتوا من الحجاز الى القصير . وفي ابان هذه المعارك نجح الفرنسيون في تحطيم قوة مراد دون ان يقضوا عليها تماماً، ولكنهم لم ينجحوا في اخضاع الاهالي، فحدثت معارك في البلاد الاتية: المنياء ابو جرج، بني عدى، طنطا، جهينة، سوهاج، الصوامعة، برديس، جرجا، سمهود، الروسية، قنا، ابو مناع، اسنا، قفط، ابنود، واسوان .

ثورة القاهرة الثانية

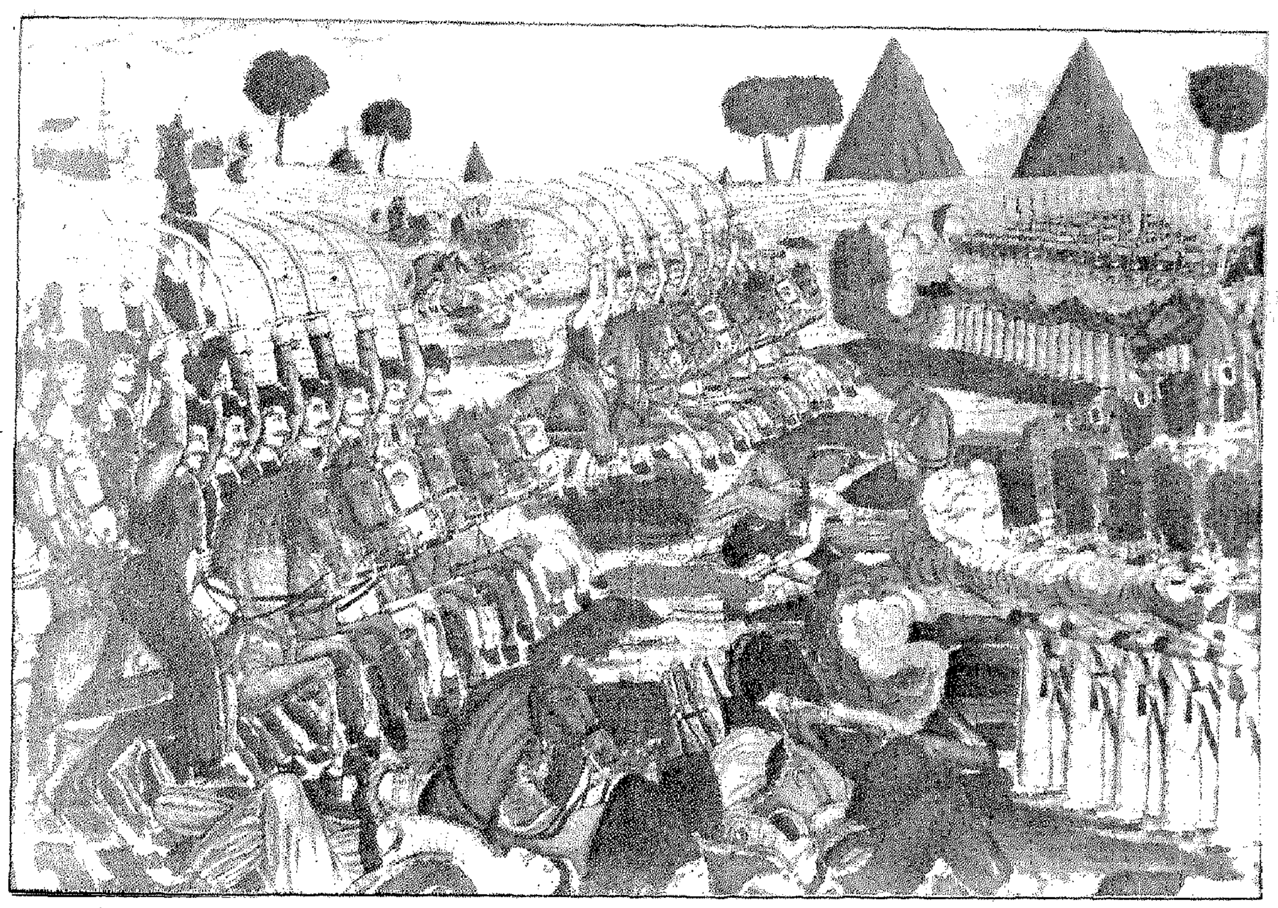
ولعل ثورة القاهرةالثانية ضد الفرنسيين تستحق منا وقفة خاصة لما سجله الشعب المصري خلالها من بطولات جماعية وفردية. ففي اواخر عهد الحملة الفرنسية كان السلطان العثماني قد اتفق مع الانكليز على التعاون بقصد اخراج الفرنسيين. وكان الجنرال كليبر - خليفة نابليون - يائساً من مصير الحملة تواقاً الى الرجوع برجاله الى فرنسا - ففتح باب المفاوضات مع الاتراك والانكليز للجلاء عن مصر طبقا لاتفاقية العريش ((كانون الثاني ١٨٠٠). ولكن الحكومة الانكليزية لم توافق على الاتفاق برغم تقدم القوات العثمانية صوب القاهرة تنفيذاً للاتفاقية. ولما علم كليبر برفض انكلترا تصدى للاتراك واوقع بهم هزيمة كبيرة في عين شمس (٢٠ آذار ١٨٠٠). غير ان فريقاً من الاتراك والمماليك استطاع دخول القاهرة مما شجع الشعب على رفع لواء الثورة من جديد. وكانت الاشاعات قد راجت في المدينة بانهزام الفرنسيين، واتخذ مروجوها من وجود الكتيبة العثمانية دليلا على ذلك، فهاج الشعب واستعد للمقاومة.

وقد بدأت هذه الثورة في حي بولاق بزعامة الحاج مصطفى البشتيلي، وكان الفرنسيون قد اعتقلوه من قبل لوجود بارود مخزون في قدور في وكالته، ثم اطلقوا سراحه بعد توقيع اتفاقية العريش، ثم انضم اليه عمر مكرم واحمد المحروقي كبير تجار القاهرة.

وقد بدأ الاهالي بمهاجمة مواقع الفرنسيين، ولما ردتهم المدافع عنها احتلوا البيوت المشرفة عليها مستخدمين المدافع المطمورة وثلاثة مدافع جاء بها الاتراك، واستطاعوا حصر الفرنسيين في معسكرهم بالازبكية.

غير أن القلاع ظلت تقصف المدينة بقذائفها، وما أن مرت على اندلاع الثورة ثلاثة أيام حتى كانت قد عمت القاهرة. وكان الاهالي قد انشأوا في اربع وعشرين ساعة مصنعاً للبارود، وآخر لاصلاح الاسلحة والمدافع، وثالثاً لصنع القنابل وصب المدافع وجمعوا له الحديد من المساجد والحوانيت، وتطوع الصناع للعمل فيه وقدموا ما لديهم من الحديد والالات والموازين بل اخذوا يجمعون بقايا القنابل المتساقطة من المدافع الفرنسية ويستعملونها في صنع قذائف جديدة.

وتطوع الاهالي لامداد الثوار بكل ما يلزمهم من مؤن، وتولى المحروقي وباقي التجار النفقات والمآكل والمشارب. كما عاونهم في ذلك كل سكان القاهرة وأهل الارياف القريبة. وأقام الثوار في بولاق ومصر القديمة حصوناً واضحت جميع الوكالات والمخازن والبيوت على النيل قلاعاً يخندقون فيها حتى سيطروا على الملاحة في النيل.



- معركة القاهرة ١٢٦٨ وتبدو الخيالة المصريين يهاجمون الجيوش الفرنسيين، من كتاب "دراسة في التاريخ" للدكتور ارنولد توينبي.



□ نابليون بونابرت عام ١٨١٠ رسم "غروندون"

ماذا يقول الجبرتي؟

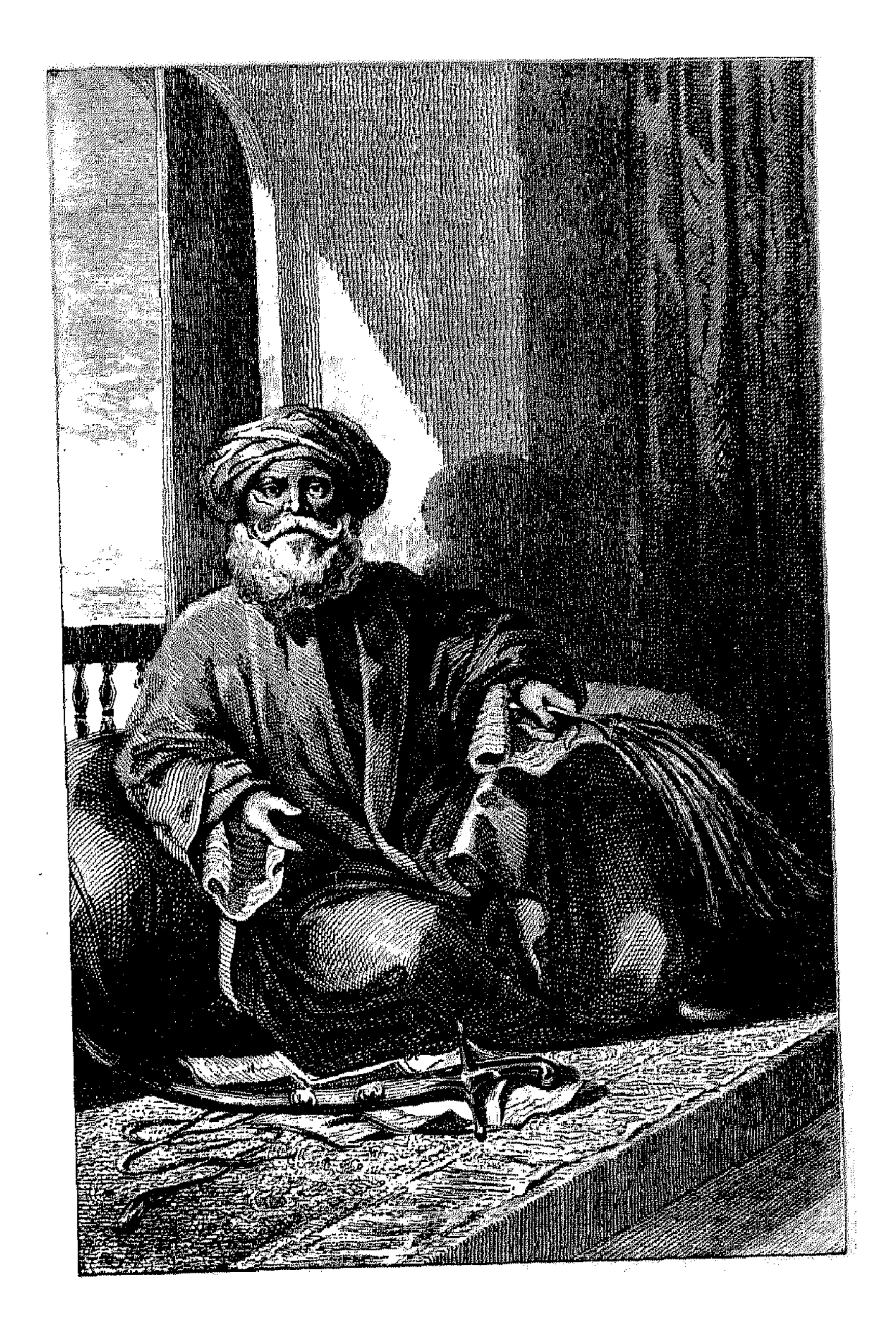
ويصف لنا الجبرتي بعض احداث الثورة كالآتي:
"في الصباح تهيأ كبراء العساكر والعساكر ومعظم اهل مصر، ما عدا الضعيف الذي لا قوة له للحرب، وذهب المعظم الى جهة الازبكية، وسكن الكثير في البيوت الخالية، والبعض خلف المتاريس، واخذوا عدة مدافع زيادة على الثلاثة المتقدمة وجدت مدفونة في بعض بيوت الامراء، واحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التي يزنون بها البضائع، من حديد واحجار، واستعملوها عوضاًعن الجلل (القنابل) للمدافع... وبعد ايام اغلقوا باب القرافة (المقبرة) وباب البرقية وباقي الابواب التي في اطراف البلد، وزاد الناس في اصطناع المتاريس وفي الاحتراس... وصار جميع اهل مصر اما بالازقة ليلا ونهاراً وهو من لا يمكنه القتال، واما بالاطراف وراء المتاريس - وهو من عنده اقدام وتمكن من الحرب ولم ينم احد ببيته سوى الضعيف والجبان والخائف..

"وأنشأ عثمان كتخدا معملا للبارود ببيت قائد اغا بخط الخرنفش، واحضر الفندقجية والعربجية والحدادين والسباكين لانشاءمدافعوبنبات واصلاح المدافع التي وجدوها في بعض البيوت وعمل العربات والجلل وغيرذلك منالمهمات، واحضروا ما يحتاجون اليه من الاخشاب وفروع الاشجار والحديد، وجمعوا الى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وارباب الصنائع الذين يعرفون ذلك، فصار هذا كله يصنع ببيت القاضي والخان الذي بجانبه والرحبة التي عند بيت القاضي من جهة المشهد الحسيني.. وباشر السيد احمد المحروقي وباقي التجار وسائر الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب، وكذلك جميع اهل مصر: كل انسان سمح بنفسه وبجميع ما يملكه وأعان بعضهم بعضاً وفعلوا ما في وسعهم وطاقتهم من المعونة.. واما اهل بولاق فانها قامت على ساق واحدة، وتحزم الحاج مصطفى البشتيلى وامثاله وهيجوا العامة وهيأوا عصيهم واسلحتهم ورمحوا وصفحوا"

وبعد ان عاد الجيش الفرنسي على اثر انتصاره على الاتراك، رأي كليبر ان احسن وسيلة لقمع الثورة هي اخضاع الوجه البحري والبلاد المجاورة للقاهرة بقصد تطويقها، محاولا في الوقت نفسه ان يفرق بين العناصر الثلاثة في المدينة: الاتراك والمماليك والشعب. ففاوض الاتراك ان يخرجوا



□ الجنرال كليبر الذي قتل على يد [illegible] سوري.



□ لوحة لمراد بك

منها بسلاحهم، كما أرسل الى المماليك من يطلب منهم الكف عن القتال بعد ان كان قد صالح مراد بك على ان يعينه حاكماً على الصعيد تحت الحماية الفرنسية بعد ان تقدم مراد بقواته حتى مشارف القاهرة.

وما كاد يتفق مع كل من الطرفين وينجح في اخضاع الوجه البحري وتطويق القاهرة حتى دك المدينة بالمدافع من كل جانب وعندئذ – على حد قول الجبرتي:

"اشتد الحرب وعظم الكرب. واكثروا من الرمي المتتابع بالمكاحل والمدافع، واكثروا واوصلوا وقع القنابل والبنبات، من أعالي التلول والقلعات، خصوصاً البنبات الكبار على الدوام والاستمرار، آناء الليل واطراف النهار.. في الغدو والبكور والاسحار. وعدمت الاقوات وغلت اسعار المبيعات، وعزت المأكولات وفقدت الحبوب والغلات، وارتفع وجود الخبز من الاسواق، وامتنع الطوافون به على الاطباق. وسارت العساكر الذين مع الناس في البلد يخطفون ما يجدونه بأيدي الناس من المآكل والمشارب... واستمر ضرب المدافع والقنابل والبنادق والنيران ليلا ونهاراً، حتى كان الناس لايهنأ لهم نوم ولا راحة، ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن"

"واستمر القتال على اشده في كل حي وفي كل

شارع، وكان أعنف قتال في حي بولاق: "وقاتل اهل بولاق جهدهم ورموا بانفسهم في النيران حتى غلب الفرنسيس عليهم وحصروهم من كل جهة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب، وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما يشيب من هوله النواصي وصارت القتلى مطروحة في الطرقات والازقة واحترقت الابنية والدور والقصور".

وهكذا فان قوة السلاح وافتقار الاهالي الى المدافع والمواقع الحصينة انهى القتال الى جانب الفرنسيين الذين استعملوا منتهى الوحشية في الانتقام:فقد كانوا يشعلون النيران في كل حي يدخلونه وفي كل بيت ليحرقوه على من فيه من النساء والاطفال حتى صارت بعض الاحياء مثل بولاق والازبكية وبركة الرطلي خراباً واكواماً من التراب والرماد.

واخيراً اضطر الاهالي الى التسليم، وتولى العلماء الوساطة واخذوا من كليبر العفو الشامل والامان ولكنه ما لبث ان تنكر لهما بعد ان خضعت له المدينة.

وهكذا كانت الحرب ضد الفرنسيين مستمرة بانتظام في طول القطر وعرضه حتى تم جلاؤهم عنه ، هذا برغم كل ما سبق ان اشرنا اليه من ان القوى لم تكن متكافئة بين الطرفين: فالجيش الفرنسي الذي حاول اخضاع مصر هو الذي قيض له في ما بعد ان يدوخ اوروباوان يخضع معظمها للسيطرة الفرنسية، هذا في الوقت الذي لم تكن مصر تمتلك فيه جيشاً اهلياً ثابتاً بامكانه ان ينظم الدفاع عن البلاد.

فالمماليك الذين كانوا يحكمون البلاد وهم يمثلون فروسية العصور الوسطى، قد شغلوا حين بدت بوادر الهزيمة بنفائسهم واموالهم التي اهتموا بها اكثر من اهتمامهم بشؤون الدفاع، فأخذوا في نقل ما في قصورهم الى بيوت صغيرة غير معروفة، كما ارسلوا كنوزهم الى الاقاليم او اودعوها ثقاتهم ومعارفهم حتى لا تصل الى ايدي المغيرين.

أما الشعب فقد ظهر في وقت الشدة ارقى نفساً وانبل مقصداً: فلم يتوان عن البذل والفداء بالنفس والنفيس حتى اقض مضاجع الفرنسيين، وكان من العوامل الاساسية في فشل الحملة الفرنسية. ■

□ عن مجلة "الهلال"، العدد الثامن، أوغسطس (آب) ١٩٦٧

آراء في التاريخ

■ كان السلطان العثماني محمود الثاني مولعاً باللغة العربية وآدابها، ومن الصدف العجيبة أنه بينما كان في نزهة بحرية اذ أبصر شيخاً جرفه تيار البحر وكاد أن يغرق، فأمر حاشيته بانقاذه، ولما وضع الشيخ يده على حافة الزورق انشد السلطان:

فيم اقتحامك لج البحر تركبه ... وانت تكفيك منه مصة الوشل

فأجابه الشيخ:

اريد بسطة كف استعين بها ... على قضاء حقوق للعلي قبلي

والبيتان من لامية الطغرائي المشهورة ومطلعها:

اصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وحلية الفضل زانتني لدى العطل

فسر السلطان من الشيخ واجازه.

★ ★ ★

■ رأى الفيلسوف اليوناني المشهور ديوجين لافتة علقت على احد البيوت كتب عليها: لا يدخل نجس هذا الباب

فكتب تحت هذه الجملة ما يأتي: إذن من أين يدخل صاحب البيت:

★ ★ ★

الشيخ المناضل

حسن سلامة

... ومعركة رأس العين

العقيد الدكتور ياسين سويد

■ الشيخ حسن سلامة (١٩٠٣ – ١٩٤٨) واحد من أبرز المناضلين العرب الفلسطينيين في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن. ولد الشيخ حسن بن علي سلامة (ابو علي) عام ١٩٠٣ في قرية قولة قضاء اللد، من عائلة عربية عريقة، فنشأ نشأة وطنية خالصة وبدأ يعمل، منذ نعومة اظافره، بالقضايا الوطنية والقومية. ثم برز نشاطه في التحرك الوطني الشامل الذي بدأ ينفذه، منذ مطلع الثلاثينات، وضد الانتداب الانكليزي والمخطط البريطاني لتنفيذ وعد بلفور وانشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، نفر من الشباب العربي الفلسطيني، على رأسهم المجاهد الشهيد عبد القادر الحسيني، ومن أبرزهم الشيخ المناضل حسن سلامة.

وقد انشأ هؤلاء الشباب في العام ١٩٣١ تنظيماً سريا شبه عسكري لتجهيز الشباب العربي الفلسطيني وتدريبه وتسليحه واعداده للقتال، وقد سمي هذا التنظيم في البدء بأسم "منظمة المقاومة والجهاد" ثم استبدل به اسم "الجهاد المقدس". وقد بدأ النشاط الفعلي لهذا التنظيم منذ الاضراب العام والشامل في فلسطين عام ١٩٣٣. ثم استمر يتصاعد شاملا القطر الفلسطيني كله. فكان الشيخ حسن سلامة، مع المناضل شحادة حسونة يمثلان قضاء اللد في هذا التنظيم، وكانت أهم قرارات هذا التنظيم تلك التي اتخذت في الاجتماع السري الذي عقد في "عقبة جبر" (أريحا) في آذار (مارس) عام ١٩٣٤ ومن بينها: اعادة بناء التنظيم السري على اساس الخلايا، وتكليف قائد التنظيم عبد القادر الحسيني مهمة انشاء هذه الخلايا، ثم تعيين "لجنة عليا للتنظيم" مؤلفة من حسن سلامة ونافذ الحسيني وجميل الفارسي وصالح الريماوي واميل الغوري، لمعاونة عبد القادر في اعماله ومهامه، وتنمية موارد التنظيم من المال والسلاح".



■ الشهيد الشيخ حسن سلامة

وفي عام ١٩٣٥ انضم هذا التنظيم الى مجموعة التنظيمات السرية التي كانت تعمل على الارض الفلسطينية ضد اليهود وحليفتهم دولة الانتداب البريطاني، وشكلت جميعها – باستثناء تنظيم القسام – "منظمة فلسطينية عسكرية عامة" اسمها "الجهاد المقدس" ظلت تعمل على الساحة الفلسطينية بزعامة الحاج امين الحسيني السياسية، وقيادة عبد القادر الحسيني العسكرية، حتى حدوث النكبة الكبرى عام ١٩٤٨. وقد لعب الشيخ حسن سلامة في هذه المنظمة دورا بارزا وبخاصة في حوادث عام ١٩٣٦ حين تقرر، في اجتماع عقدته المنظمة في اللد في ٥ نيسان (ابريل) من العام نفسه، تشكيل فصائل من "الجهاد المقدس" للرد على الاعتداءات اليهودية

ووضع حد لهاء والتنسيق مع ثورة القسام التي بقيت ـ برضى الجميع ـ خارج المنظمات السرية. ومهمة كل من هذه الفصائل، "قطع طرق المواصلات بين تل ابيب والمستعمرات اليهودية على الساحل، ومنع السيارات اليهودية من المرور في المناطق العربية باتجاه تل ابيب والساحل، والقيام بغارات على ثكنات الجيش البريطاني ومخافر الشرطة للاستيلاء على الاسلحة والاعتدة والذخائر". وقد اسندت قيادة احدى هذه الفصائل الى الشيخ حسن سلامة الذي نشط في هذا الميدان ايما نشاط. وقد بلغ العمل الوطني الفلسطيني ذروته في هذه الاثناء على اثر الاضراب العام الذي اعلنه عرب فلسطين في فجر العشرين من نيسان (ابريل) ١٩٣٦ والذي تصاعد من الاضراب السلمي العام الى التظاهرات الصاخبة فالثورة العارمة. اذ انه في اول ايار (مايو) وبعد مرور عشرة أيام على بدء الاضراب، دعا عبد القادر الحسيني مجلس قيادة المنظمة الى اجتماع سري عقد في القدس، واتخذ على الاثر قرار سري باعلان "التمرد والعصيان على الحكم البريطاني والقيام بثورة مسلحة عامة تستمر حتى النصر". وكان الشيخ حسن سلامة، في هذا الاجتماع التاريخي الخطير، بالاضافة الى شحادة حسونة وحسين خليل وأسكندر حبش، ممثلين لقضاء اللد. وما لبث ان وضع القرار السري باعلان الثورة موضع التنفيذ في السابع من ايار (مايو) نفسه. وهكذا ظهر التنظيم السري الى العلن، وكشف المناضلون الفلسطينيون القناع، وبدأت الثورة العربية الفلسطينية الكبرى التي اطلق عبد القادر الحسيني، في منتصف ليل ٦ ـ٧ ايار (مايو)، اولى رصاصاتها.

مناطق عسكرية

وقد قسمت قيادة الثورة فلسطين الى عدة مناطق لكل منها قيادة عسكرية محلية ترتبط مباشرة بالقيادة العامة للثورة التي كان مركزها بلدة بير زيت في قضاء رام الله. وكان الشيخ حسن سلامة قائدا لمنطقة يافا التي تشمل أقضية يافا واللد والرملة. ولكن هذه الثورة توقفت في صبيحة يوم ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه (١٩٣٦) اي بعد مرور خمسة اشهر واسبوع واحد على اندلاعها، وذلك تلبية لنداء اصدرته اللجنة العربية العليا لفلسطين (التي كان يرئسها الحاج امين الحسيني)، وبعد مداخلات دولية وعربية لا مجال لذكرها في هذا البحث.

وقررت الحكومة البريطانية ايفاد "لجنة ملكية بريطانية" للتحقيق بالقضية الفلسطينية. ووصلت هذه اللجنة الى فلسطين في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٣٦، وباشرت أعمالها في الخامس عشر منه، لتنشر بعد ذلك، وفي ٧ تموز (يوليو) ١٩٣٧، تقريرا توصي فيه بانشاء دولة



■ الشهيد علي حسن سلامة ابن الشهيد الشيخ حسن سلامة.

هذا البحث المتواضع...

☐ قبل أيام من استشهادك، يا ابا حسن، كنت اعلل النفس بلقاء معك، لأتحدث، من خلالك، الى والدك الشيخ المناضل، الذي سبقك الى الشهادة منذ ثلاثين عاماً، وما كنت ادري، ونحن نتفق على الموعد، أن يد الغدر ستكون أسبق مني اليك، وأن موعدك مع والدك البطل، في رحاب الله، سيلغي، من مفكرتك، كل المواعيد.

وأني، اذ أقدم الى روحيكما الطاهرتين، هذا البحث المتواضع، العابق بعبير شهادتيكما، أقر انه يفتقر الى الكثير الكثير من وهج البطولة التي عرفتها فيك، ولمستها من خلال درسي لسيرة ابيك، وهو ما كنت آمل أن تبوح لي بومضات منه قبل أن تطبق عليه أجفانك، وشغاف قلبك، الى الابد.

وستظل سيرتكما النضالية، واستشهادكما، البطولي، أبا وأبناً، حافزاً لكل المناضلين، ونصراً للقضية.

بيروت/٢٢/١/١٩٧٩

ع. سويد



■ الشيخ حسن سلامة يشرح للمجاهدين على خارطة، خططه العسكرية.

يهودية في جزء من فلسطين، مما الهب مشاعر الغضب والرفض في نفوس الفلسطينيين والعرب جميعا، وعلى رأسهم الحاج امين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا، الذي نشر في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٧ وفي بيروت، وكان منفيا فيها، بيانا رفض فيه قرارات اللجنة الملكية البريطانية رفضا قاطعا. وفي ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) نفسه، اجتمع مجلس قيادة منظمة "الجهاد المقدس" سرا في مقره السابق في بير زيت، وبرئاسة المجاهد عبد القادر الحسيني، وتقرر في هذا الاجتماع استئناف الثورة. وابلغ المجلس قراره هذا الى مختلف قيادات الجهاد المقدس في سائر المناطق الفلسطينية، محددا ساعة الصفر للبدء بالتنفيذ، وكانت ساعة الصفر هذه فجر اليوم الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٣٧.

وخاض الشيخ حسن في هذه الثورة عدة معارك في منطقة يافا (التي كان قائدا لها) وقام بنفسه بعدة عمليات ناجحة ضد الجيش البريطاني، واهمها عملية "ويلهلمة" (بين اللد ويافا) التي أدت الى نسف قطار عسكري يعمل على الخط الحديدي بين حيفا واللد، ومصرع عدد كبير من الجنود البريطانيين الذين كان يقلهم هذا القطار. وقد لحق الجنود البريطانيون الناجون برفيقه المناضل محمد سمحان فقتلوه، اما هو فقد تمكن من الافلات من قبضتهم.

الشيخ حسن في العراق

وما أن تمكن البريطانيون من أخماد الثورة عام ١٩٣٨ حتى لجأ الشيخ حسن سلامة الى العراق والتحق بالجيش العراقي. ثم اشترك مع عدد من المناضلين الفلسطينيين، الذين كانوا قد لجأوا ايضا الى العراق، بثورة رشيد عالي الكيلاني ضد الانكليز عام ١٩٤١. ولما فشلت ثورة الكيلاني غادر الشيخ حسن العراق الى المانيا حيث تدرب على فنون القتال وزرع الالغام وحرب العصابات. وعاد الى فلسطين مع مناضل آخر من رفاقه هو ذو الكفل عبد اللطيف، وثلاثة من المغامرين الالمان المتحمسين للقتال ضد الصهيونية. وحطت الطائرة بهؤلاء الخمسة في سهل اريحا عام ١٩٤٥ حيث حاولوا اشعال نار الثورة ضد الانكليز واليهود. الا انهم لم يوفقوا اذ علمت السلطات الانكليزية بأمرهم فاعتقلت ثلاثة منهم هم ذو الكفل واثنان من رفاقه الالمان. اما الشيخ حسن فقد تمكن من اللجوء الى بلدة العباسية في سوريا، حيث بقي الى ان صدر قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٤٧. فعهدت اليه قيادة الجهاد المقدس بقيادة المجاهدين في القطاع الغربي للمنطقة الوسطى، اي القطاع الواقع بين يافا ووادي الصرار واضعة تحت قيادته: ٣ سرايا متحركة و٤ سرايا تدمير ونحو ٢٥ مفرزة دفاعية ووحدتين طبيتين تتمركز جميعها على خمس جبهات هي:

ـ جبهة مدينة يافا ٠
ـ جبهة القرى الواقعة شرقي يافا ٠
ـ جبهة اللد وقراها ٠
ـ جبهة الرملة وقراها ٠
ـ جبهة المجدل وقراها ٠ (انظر الخارطة)

وفي ٦ آذار (مارس) ١٩٤٨ تلقى الشيخ حسن سلامة، من امير اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا رئيس اللجنة العسكرية المشكلة بموجب قرار من مجلس الجامعة العربية بتاريخ ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧، مذكرة يثبته بموجبها، بأسم اللجنة العسكرية، في قيادة القطاع، ويحدد له مهماته على الوجه التالي:

اولا ـ منطقة العمليات التابعة للشيخ حسن سلامة: منطقة اللد (القطاع الغربي للمنطقة الوسطى سابقا)

ـ شمالا: خط يمتد من هرتسليا الى حوارة ٠
ـ جنوبا: خط يمتد من المجدل وجورة عسقلان الى الفالوجة ٠
ـ شرقا: خط مواز للطريق العام المار من نابلس الى رام الله فالقدس فبيت لحم فالخليل ٠
غربا: البحر الابيض المتوسط٠

ثانيا ـ القوى الموضوعة بتصرفه:

الموقع	آمر الموقع	متطوع نظامي	مجاهد
يافا	١	١٠٠	٤٠٠
سلمة	١	ـ	١٠٠
ابو كبير	١	ـ	١٠٠
يازور	١	ـ	٥٠
القوة الضاربة	٣	١٢٨	٣٠٠
	٧	٢٢٨	٩٥٠

فيكون مجموع المقاتلين، ما عدا القادة: ١١٧٨ مقاتلا ٠

وقد عثر في اضبارة الشيخ حسن سلامة بعد استشهاده، أنه كان في يافا، لدى العرب، من السلاح، بتاريخ ٦ آذار (مارس): ٧٢٥ بندقية و ٣٠ رشاشا (تومي أو ستين) و ١٥ رشاشا خفيفا و ٤ مدافع هاون٠ وان عدد المقاتلين العرب الذين كانوا في مختلف المراكز في يافا بتاريخ ٢ آذار ـ مارس ـ (في الجبالية وابو كبير وكرم التوت والمسلخ وتل الريش الشمالي وطاسو وتل الريش الجنوبي الغربي) هو نحو خمسمائة مقاتل٠

ثالثا ـ المهمة: موقتا، وبانتظار حشد القوى، تكون المهمة كما يلي:

١ ـ الدفاع عن المدن والقرى ضمن منطقة العمليات المحددة، وخاصة عن مراكز المواقع ةيافا وسلمة وابو كبير ويازور) ٠
٢ ـ اشغال العدو وانهاكه بشن غارات على مراكزه بهدف تعطيلها وشلها وعدم تمكينه من استخدامها ٠
٣ ـ عرقلة مواصلات العدو وضرب قوافله٠
٤ ـ تأمين المواصلات بين يافا والمدن العربية ٠
٥ ـ تجنب الاصطدام ما أمكن بالقوات البريطانية٠

رابعا ـ الاتصال: بالقيادة العامة، اساسا، ثم بقائد منطقة القدس عبد القادر الحسيني، وقائد الجبهة الشمالية فوزي القاوقجي، لتبادل المعلومات فقط٠

"ملجأ الرجاء"

وقد أتخذ الشيخ حسن "ملجأ الرجاء" الواقع على طريق يافا ـ الرملة، مركزا لقيادته ، نسف اليهود هذا المركز بتاريخ ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ بواسطة عميلين من جنود الانتداب البريطاني، مما أدى الى خلاف بين الشيخ حسن وبين زملائه القادة العراقيين والسوريين الذين اتهموه بالاهمال، فنقل مركز قيادته الى بلدة العباسية شرقي يافا، ولكن لم يتمكن الشيخ حسن من القيام بالمهام الموكولة اليه فقد سبق أن طلب، في كتاب منه الى اللجنة العسكرية بتاريخ ١٨ شباط ١٩٤٨، تعزيز حامية يافا وجميع الحاميات الداخلة في قطاعه العسكري، وذكر في كتابه هذا ان حامية يافا لا تتعدى الخمسمائة مقاتل، طالباً من اللجنة العسكرية (وكان اللواء طه باشا الهاشمي هو المفتش العام للمتطوعين في اللجنة والموجه الاول لها) أن ترسل اليه ٣٦٠٠ متطوع يتم توزيعهم على الحاميات في قطاعه كما يلي: ١٥٠٠ في يافا، ٥٠٠ في سلمة، و ٥٠٠ في بيناء، والباقي ١١٠٠ في اللد والرملة ويازور وصرفند وقلقيلية٠ الا أن جواب طه باشا الهاشمي للشيخ حسن كان سلبا، معتبرا ان مهمته في ذلك القطاع هي مهمة دفاع ومشاغلة فقط الى أن يتم حشد قوات الانقاذ فيها ٠

وفي ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ انسحب الشيخ حسن سلامة من يافا بعد ان سلم مهمة حمايتها والدفاع عنها الى فوج (كتيبة) من جيش الانقاذ بقيادة المقدم عادل نجم الدين (عراقي)٠ ولكن هذا الاخير استبدل به بعد ايام فقط، الرئيس ميشال العيسى قائد فوج اجنادين من الجيش نفسه وفي اثناء عملية الاستبدال بين القائدين تعرضت حيفا لهجوم يهودي كاسح من ناحيتين: تل الريش من الناحية الجنوبية، ومنشية الفوقا، فصد العرب اليهود من ناحية تل الريش، ولكن هؤلاء تمكنوا من دخول، حي المنشية واحتلوه وقضوا على الكثير من سكانه العرب٠ ولم تصمد حيفا بعد ذلك طويلا فسقطت في أيدي اليهود بعد هدنة بينهم وبين حاميتها استمرت حتى الخامس عشر من ايار (مايو) ، يوم اعلان ولادة الدولة اليهودية٠ وكانت سلمة قد سقطت قبل ذلك وكذلك يازو (٣٠ نيسان ـ ابريل)٠ وقاتل من نجا من أهل سلمة وحاميتها الى جانب الشيخ حسن سلامة في المعارك التي جرت بعدئذ في العباسية واللد والرملة، وآخرها معركة "رأس العين" التي جرت يومي ٣٠ و ٣١ ايار (مايو) ١٩٤٨، والتي جرح على أثرها الشيخ المناضل جرحا بليغا ادى الى استشهاده في الاول من حزيران (يونيو) عن عمر يناهز الخامسة



■ بوابة دمشق في سور القدس القديمة تحت رحمة موقع بريطاني.

والاربعين، مخلفاً بعده ولدين هما ابنه علي (ابو حسن) وابنته نضال.

معركة رأس العين:
(٣٠-٣١ايار-مايو-١٩٤٨)

"رأس العين" قرية صغيرة، كانت عربية، تقع على بعد سبعة وثلاثين ميلا شمالي غربي القدس، وتكمن أهميتها بالنسبة الى المدينة المقدسة أنها تزود هذه المدينة بمياهها العذبة والغزيرة، وذلك منذ عام ١٩٣٥، اذ ان القدس كانت تستهلك يوميا من مياه رأس العين، نحو ثلاثة ملايين غالون، مما يجعل المدينة المقدسة، ولا شك، تحت رحمة القوة المسيطرة على منابع المياه في هذه القرية.

وقد تنبه المجاهدون العرب لهذا الامر منذ بدء القتال العربي الصهيوني في فلسطين بعد اعلان قرار التقسيم. فنسفوا، في ١٥ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٤٧، خط الانابيب الذي ينقل المياه من رأس العين الى القدس بالقرب من مدينة اللد، مما أدى الى انقطاع المياه عن هذه المدينة طيلة خمسة ايام، وتعريض حياة الالاف من سكان الحي اليهودي والجنود البريطانيين في القدس لخطر الموت عطشا. وقد تمكن سكان القطاع العربي في المدينة من الاستعاضة عن مياه رأس العين في هذه الفترة بمياه عين فارة التي كانت تسقي في السابق المدينة المقدسة. كما استعمل اليهود في القدس الجديدة مياه الآبار التي كانت قليلة العدد، مما اضطرهم الى تقنين المياه بمقدار نصف صفيحة من الماء للفرد يوميا. وقد جرت حول هذه المنابع، ولأجل الاستيلاء عليها، عدة معارك كانت معركة ٣٠ - ٣١ ايار (مايو) اهمها.

كان العرب قد استولوا على هذه القرية، عسكريا، منذ صدور قرار التقسيم في ٢٩/١١/١٩٤٧ وفي ٨ اذار (مارس) ١٩٤٨ تمركز في قطاع رأس العين نحو خمسمائة من جيش الانقاذ وسيطروا على القرية ومنابع المياه. الا انهم لم يقطعوا الماء عن القدس كي لا يوقعوا الضرر بالسكان العرب في المدينة، ولكنهم طردوا الموظفين اليهود من محطات الضخ واستبدلوا بهم موظفين عرباً. فتمت لهم بذلك السيطرة التامة على المنابع. الا ان حامية هذا الموقع عادت وقطعت المياه عن الاحياء اليهودية في القدس وعن المؤسسات العبرية في جبل الزيتون كالجامعة العبرية وهداسا، وذلك بعد ان رأت اليهود يعززون مواقعهم في المدينة ويضاعفون عدد قواتهم فيها، وفي كل مرة كان العرب يقطعون مياه رأس العين عن القدس كان اليهود يعودون، بمساعدة البريطانيين، لمدها بعد اصلاح الانابيب. وقد نسف العرب هذه الانابيب مرات عديدة (في ١ نيسان و ١٠ نيسان - ابريل - و ٧ ايار - مايو -). وحاول



■ ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٤٨: نسف المجاهدين العرب الفلسطينيون شارع ابن يهودا في القدس.

اليهود عدة مرات الاستيلاء على البلدة ومنابع المياه فيها فلم يفلحوا في البدء. الا انهم، في النهاية، تمكنوا من احتلالها بعد ان تغلبوا على حاميتها واخرجوها من المراكز التي كانت متحصنة فيها. وكان ذلك يوم ٣٠ ايار (مايو) ولكن اليهود لم يبيتوا اكثر من ليلة واحدة في تلك المواقع، اذ تحرك قائد المنطقة، الشيخ حسن سلامة بقوة من مقاتليه لتحرير هذه البلدة، وكانت رأس العين من ضمن التزاماته العسكرية وفقا للحدود الجغرافية للمنطقة، كما بيناها آنفا.

وقد تداعى العديد من الرجال من قرى دير طريف وبيت نبالا وغيرهما من القرى المجاورة في القطاع، فانضموا الى القوة الزاحفة نحو رأس العين بقيادة الشيخ حسن، الذي وصل الى مشارف القرية فجر اليوم التالي أي ٣١ ايار (مايو) ودارت بين الفريقين معركة استمرت من الفجر الى ضحى ذلك اليوم، تمكن المناضلون العرب في نهايتها من الاستيلاء على ذلك الموقع بعد ان جرح القائد حسن سلامة من جراء شظية أصابت صدره ودخلت رئته اليسرى. فنقل للمعالجة في مستشفى ميداني قريب. أما اليهود فاستجمعوا قواهم وأعادوا الكرة في اليوم التالي أي في ١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ محاولين احتلال موقع رأس العين من جديد. الا ان محاولتهم هذه صادفت وصول سرية من الجيش العراقي الى ذلك الموقع بقيادة المقدم الركن علي غالب عزيز وبدء تمركزها فيه وتسلم مهمة حمايته. فعاد اليهود أدراجهم دون أن يحاولوا الاشتباك مع هذه القوة. وأما الشيخ المناضل، فقد أسلم الروح في اليوم نفسه، أي في الاول من حزيران (يونيو) بعد ان اطمأن الى ان مقاتليه قد سلموا الامانة، عربية، الى فرقة من الجيش العراقي.

ولكن الامانة لن تظل طويلا بيد العرب بعد ذلك، اذ انه لما أخلت القوات العربية اللد والرملة في ١١ و ١٢ تموز (يوليو) ١٩٤٨، رأى الجيش العراقي المتمركز في رأس العين أن جناحه الايسر أضحى مكشوفا بعد سقوط اللد والرملة في أيدي اليهود. وخشي من حركة التفاف جانبية عليه من اليهود من تلك الناحية، فأخلى مواقعه في رأس العين، وامكن لليهود أن يثبوا الى هذا الموقع الاستراتيجي المهم فيستولوا عليه ليحموا مياه القدس ووجود اليهود فيها.

وبعد مرور عامين فقط على النكبة الكبرى في فلسطين عام ١٩٤٨، اصبحت "رأس العـيـن" مستوطنة يهودية تعرف باسم "روش هاعين" او "أفق" وارتفع عدد سكانها حتى اصبح عام ١٩٦٤ نحو عشرة الآف نسمة معظمهم من يهود اليمن الذين هاجروا الى فلسطين خلال عامي ١٩٤٩ - ١٩٥٠، والذين يشتغلون في الزراعة وفي المصانع (مصانع مقاطعة بتاح‌تكفا في سهل اليهودية الساحلي قرب نهر العوجا).

ولم يبق للعرب بعد ذلك في "رأس العين"، أو "روش هاعين" سوى ذكرى المناضلين الذين رووا بدمائهم، أرض "رأس العين"، على أمل ان تبقى، كما كانت عربية، وعلى رأسهم الشيخ المناضل، حسن سلامة. ■

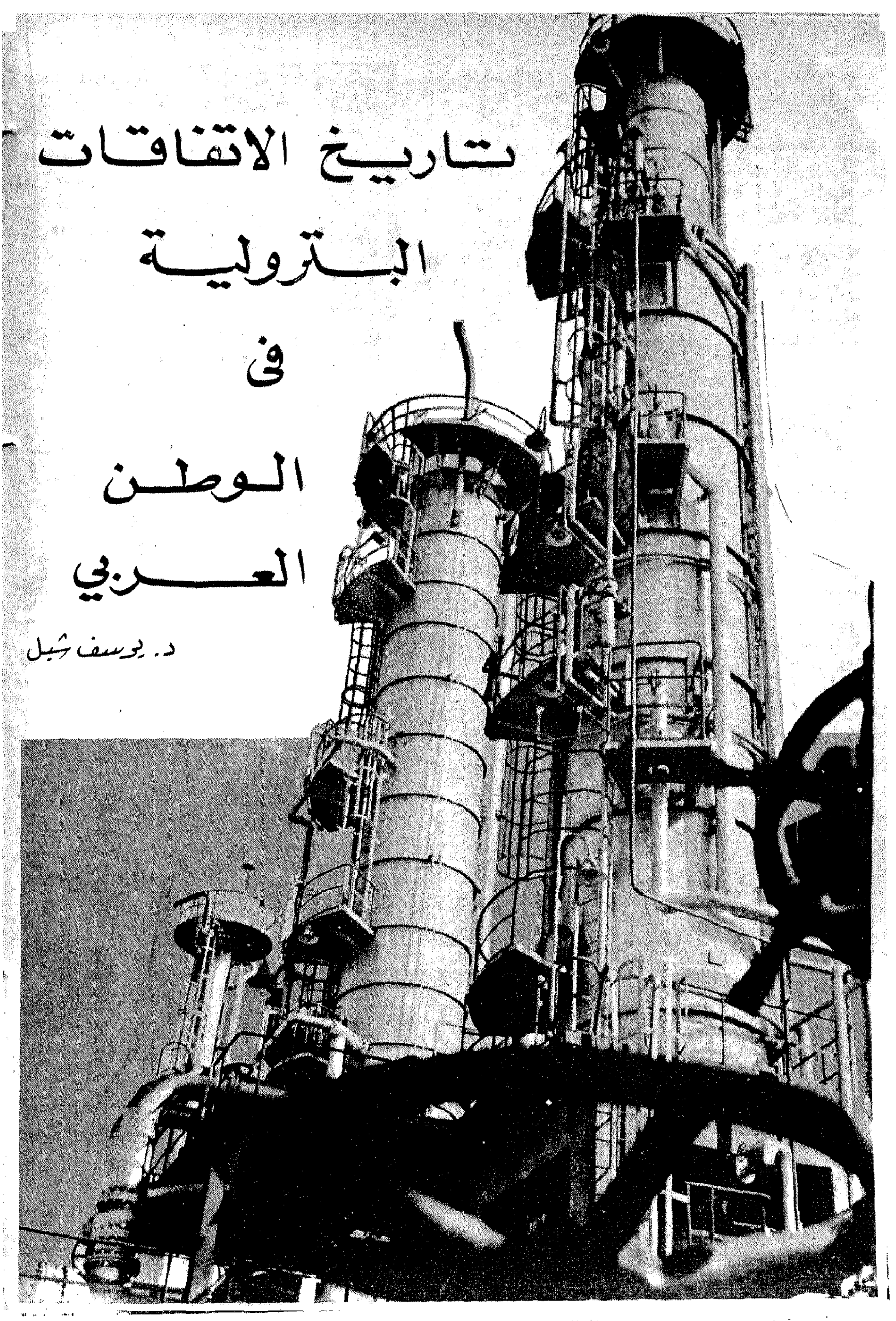
مراجع البحث

- "خارطة فلسطين" نشر مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية: بيروت.
- "النكبة"؛ لعارف العارف، جزء ١ - ٤.
- "بلدانية فلسطين المحتلة" للدكتور انيس صايغ.
- "الحرب الفدائية في فلسطين" للمقدم محمد الشاعر.
- "فلسطين عبر ستين عاما" لاميل الغوري جزء ١ و ٢.
- "فلسطين والانتداب البريطاني" للدكتور كامل محمود خلة.

"القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني" لقيادة الجيش اللبناني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- "جهاد شعب فلسطين" لصالح ابو يصير.
- "كارثة فلسطين" لعبدالله التل جزء اول.

تاريخ الاتفاقات البترولية في الوطن العربي

د. يوسف شبل



[illegible] في السعودية [illegible] في الجامعة الاميركية سابقا
ويشغل حاليا منصب كبير الاقتصاديين في دار الهندسة للاستشارات والتصميم في بيروت.

■ النفط العربي يحتل حالياً مركز الصدارة في العالم. فهو المصدر الأهم في ميدان الطاقة العالمية، وهو مفتاح الرخاء او الشقاء لكثير من بلدان العالم، وهو العامل الأكثر تأثيراً في نظام النقد الدولي، وهو في رأي الخبراء الماليين وراء التذبذب في قيمة الدولار بالنسبة لباقي عملات العالم في سوق القطع الاجنبي كما انه وراء كثير من التطورات السياسية والاقتصادية في العالم الصناعي والبلدان النامية.

غير ان هذا الحاضر العريق لا يمكن ان تستوعب أبعاده دون العودة الى الماضي لمعرفة كيف واين وباية شروط بدأ انتاج النفط العربي في مطلع هذا القرن. انها قصة طويلة لا يمكن كتابة تاريخها بمقال عابر.

والتاريخ النفطي العربي يعكس جملة من الأمور الرئيسية. فهو يعكس البنية الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في الوطن العربي و يعكس طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية التي كانت قائمة بين البلدان المنتجة للنفط والبلدان الصناعية التي كانت تقوم باستغلال النفط عن طريق انتاجه وتكريره ثم شحنه الى الاسواق العالمية خصوصا في اوروبة الغربية. لذلك فان الكتابة عن تاريخ الاتفاقات البترولية في الوطن العربي توضح كثيرا من خصائص البلدان المنتجة للنفط في مختلف مجالات الحياة وتعكس درجة تطورها الاقتصادي والاجتماعي وكيف بدأت تكتسب معرفة متزايدة في حقل التقنية والأدارة حتى وصلت الى مشارف السيطرة الكاملة على هذه الثروة النادرة. وسنعرض في هذا المقال تاريخ الاتفاقات البترولية في العراق والمملكة السعودية بصفتهما اقدم وأعرق الدول النفطية.

والملاحظ في هذا الشأن انه خلال الفترة التي سبقت عام ١٩٥١ كانت جميع الاتفاقات البترولية المعقودة بين البلدان العربية المنتجة للنفط وبين الشركات الأجنبية العاملة في اراضيها تستند على اساس اعطاء ريع عن كل برميل منتج بالاضافة الى هبات معينة وكمية محدودة من الانتاج دون مقابل. وقد أتاح ذلك للشركات الأجنبية تحقيق ارباح خيالية في مدة قصيرة من الزمن خصوصا وان تكاليف انتاج البرميل الواحد كانت منخفضة بالنسبة "للاسعار المعلنة" Posted Price واسعار المبيع الفعلية في اسواق النفط في العالم.

وفي تقرير مالي حول وضع شركات النفط نشر في الولايات المتحدة جاء ان ارباح بعض الشركات وصل إلى ٨٧ سنتاً للبرميل الواحد مما يعني تحقيق معدل أرباح قدره ٤٠٪ على صافي موجودات الشركة، ثم ارتفعت هذه النسبة حتى ٦٨٪.

الاتفاقات في العراق

يعتبر العراق تاريخياً اول بلد عربي منتج ومصدر للنفط. كما انه يعتبر ثاني بلد، بعد ايران، في منطقة الشرق الاوسط قام باستخراج وتطوير النفط في أراضيه.

تبدأ قصة النفط في العراق في العام ١٨٩٥. ففي ذلك العام حصل البنك الالماني على امتياز اقامة سكة حديد بغداد ومن بين شروط الامتياز حق التنقيب عن المعادن على امتداد ٢٠ كيلومتراً على جانب الشريط الحديدي. وفي العام ١٩٠١ قام احد الأثرياء الانكليز واسمه "آرسي" D'Arcy بمفاوضة السلطات التركية التي كانت تحكم العراق للحصول على امتياز في العراق. ثم تدخلت جماعات مالية من الولايات المتحدة ابتداء من العام ١٩٠٨ بمفاوضة السلطات التركية للحصول على امتيازات معدنية، بما فيها النفط، في العراق.

وفي آذار من عام ١٩١٤ تم تأليف "الشركة البترولية التركية" بين الانكليز والألمان والهولنديين. وقد لعب الثري الأرمني المعروف "غالبنكيان" دوراً هاماً في اتمام الصفقة ونال لقاء اتعابه نسبة ٥٪. وفي حزيران من نفس العام قامت السلطات التركية التي كانت تحكم العراق بمنح "الشركة البترولية التركية" حق التنقيب عن النفط في مقاطعتي بغداد والموصل.

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى واندحار الاتراك ودخول القوات البريطانية الى معظم بلدان الشرق الاوسط قوي نفوذ الشركات البريطانية. وخلال هذه الفترة اكتسب النفط اهمية متزايدة كمصدر طاقة الى جانب الفحم والكهرباء، وبدأت شركات الاستثمار في البلدان الصناعية تهتم به.

اول ميثاق

وفي عام ١٩٢٥ تم التوقيع على ميثاق خاص بين الحكومة العراقية وكل من شركة "بريتش بتروليوم"، "شل"، "جيرزي ستادرد" "سوكوني" و C.F.P. و"غالبنكيان"، الثري الأرمني.

ويمكن تلخيص أهم نصوص هذا الاتفاق بالتالي:

١ ــ مدة الامتياز: ٧٥ سنة

٢ ــ المساحة المشمولة بالامتياز: ٣٥٢،١٤٢ ميلا مربعاً

٣ ــ الشروط المالية:

أ ــ "ريع" Royalty قدره ٤ شلنات (ذهب) لكل طن لفترة تمتد عشرين عاماً بعد انتهاء العمل في انبوب النفط الى احد موانىء التصدير

ب ـ بعد انتهاء الفترة المشار اليها في (أ) ومرور عشرة اعوام على العمل بالريع المشار اليه يزاد بنسبة سنوية تساوي الزيادة في الارباح التي تحققت خلال الخمس سنوات الأخيرة من مدة العشرين سنة المشار اليها في البند (أ) على أن لا يزيد الريع عن ٦ شلنات ذهب للطن الواحد.

جـ ـ تدفع ضريبة قدرها ٦٠٢٠٠٠ استرليني (بالذهب) عن أول اربعة ملايين طن و٣٠٢٠٠٠ استرليني (بالذهب) عن كل مليون طن اضافي.

د ـ يدفع ريع Royalty سنوي لا يقل عن ٤٠٠٠٠٠ استرليني (تدفع بما يعادلها من الذهب)

هـ ـ عند انتهاء فترة الامتياز يتم تسليم الموجودات الثابتة العائدة للشركة الى الحكومة العراقية دون مقابل.

وفي عام ١٩٤٩ بدأت "شركة نفط العراق" I.P.C. مفاوضات مع الحكومة العراقية لتعديل اسس اتفاقية عام ١٩٢٥. وفي آذار من عام ١٩٣١ حيث منحت الشركة حق التنقيب في مساحة شاسعة من الاراضي العراقية بلغت ٣٥٢١٣٦ ميلا مربعاً. وقد شمل الامتياز جميع مناطق بغداد والموصل الواقعة الى الشرق من نهر دجلة. وفي عام ١٩٣٨ استطاعت شركة I.P.C. ان تسيطر على كافة انحاء العراق باستثناء منطقة صغيرة في "خانقين" بقيت في يد شركة "آرسي". ومع أن اتفاقية آذار من عام ١٩٣١ اعطت للحكومة العراقية حق الحصول على معلومات مفصلة عن مبيعات ونفقات الشركة وعن أسعار المبيع، فان الشركة كانت تمتنع عن اعطاء اية معلومات ذات قيمة للحكومة العراقية.

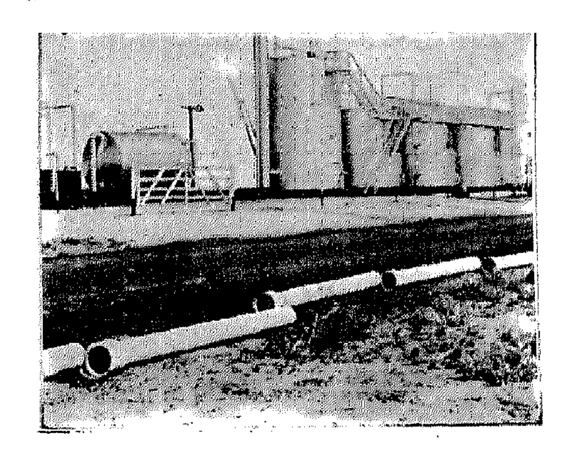
وقد ظل الوضع على حاله الى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت مفاوضات طويلة انتهت الى اتفاق في شباط من عام ١٩٥٢ على ان تكون الاتفاقية ذات مفعول رجعي ابتداء من ١ كانون الثاني، ١٩٥١. وقد استطاعت الحكومة العراقية ان تحصل على ٥٠٪ من ارباح الشركة الصافية في العراق. وقد تم تعريف الارباح الصافية على أنها تساوي الفرق بين قيمة النفط في موانىء ومواقع التصدير في الاراضي العراقية وبين القيمة الحقيقية للطن الواحد مضروباً بحجم الكمية المصدرة من النفط معبراً عنها بالطن. ونظراً لأن شركة نفط العراق تملك مصفاة في طرابلس ـ لبنان فقد تم اعتماد سعرين الأول تسليم الجرود العراقية ـ السورية والآخر تسليم ميناء البصرة على الخليج العربي. وقد تعهدت الشركة بتحقيق حد ادنى من صادرات النفط وبالتالي من العائدات على أن لا تقل عن ٢٥ مليون جنيه استرليني في مدة اقصاها عام ١٩٥٥. كما تعهدت الشركة باعطاء العراق كامل حاجته من النفط للاستهلاك المحلي.

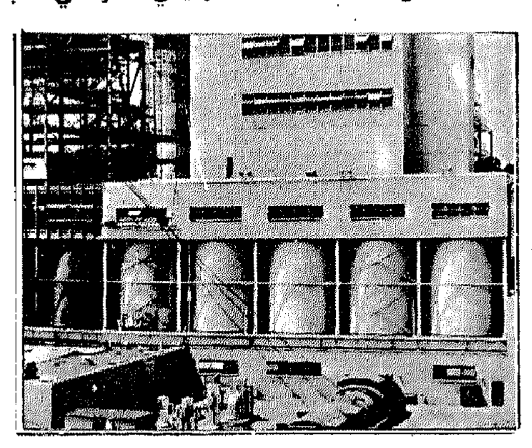
الاتفاقات السعودية

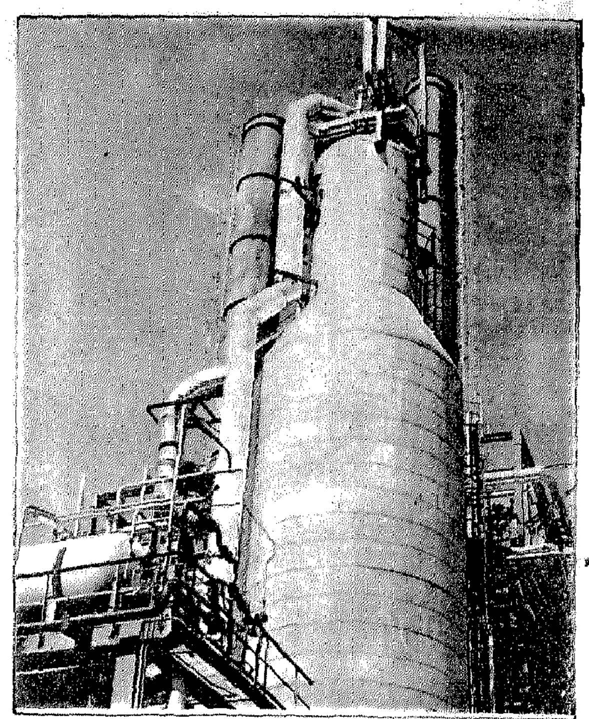
تم منح اول امتياز للتنقيب عن النفط في السعودية في العام ١٩٣٣. والمعروف أن فترة الأربعة أعوام بين ١٩٢٩ ـ ١٩٣٣ كانت تعرف بفترة الكساد الكبير حيث ظهرت البطالة على نطاق واسع وانهارت كثير من المؤسسات الاقتصادية في الدول الصناعية.

ففي ذلك العام، اي عام ١٩٣٣، تم اتصال بين الحكومة السعودية وكل من شركة نفط العراق I.P.C. وشركة "سوكال". والمعروف ان "شركة نفط العراق" هي بريطانية في حين ان شركة "سوكال" هي امريكية ومعروفة اكثر باسم "شركة ستاندرد اويل أوف كاليفورنيا". وكانت هذه الشركة التي لا يزال مقرها الرئيسي في مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا قد باشرت نشاطها في البحرين التي تقع على مسافة قريبة جداً من الشاطىء الشرقي للسعودية والتي تقع فيها مدينة الظهران التي اصبحت فيما بعد المركز الأهم لانتاج النفط في منطقة الشرق الاوسط.

وقد عرضت الشركة الاميركية ان تدفع مبلغ ٣٥٠٠٠٠ جنيه استرليني فوراً الى الملك عبد العزيز آل سعود في حين أن الشركة البريطانية عرضت دفع ٣٠٠٠٠٠ استرليني. ولكي تجعل







الشركة الاميركية عرضها مغرياً فقد تعهدت للملك عبد العزيز بأن تدفع القيمة بما يساويها من الذهب ٠

اما الشروط التي تم التوصل اليها فهي لا تختلف كثيراً عن شروط "الشركة البترولية التركية" والحكومة العراقية والتي اشرنا اليها سابقاً٠ وقد تم التوقيع على الاتفاقية في ٢٩ أيار من عام ١٩٣٣٠ وفي عام ١٩٣٦ انضمت شركة "تيكساكو" الى "سوكال" لكي تؤلف الشركتان ما عرف فيما بعد باسم "ارامكو" وهو الاسم الشائع حتى الآن ٠

اهم النصوص

اما اهم نصوص اتفاقية عام ١٩٣٣ فهي الآتية:

١ ـ مساحة الامتياز ٣٢٠،٠٠٠ ميل مربع يضاف اليها مساحة قدرها ١٤٠،٠٠٠ ميل مربع في ٣١ أيار من عام ١٩٣٩

٢ ـ مدة الامتياز: ٦٠ سنة

٣ ـ الشروط المالية:

(أ) ربع قدره ٤ شلنات (من الذهب) للطن الواحد

(ب) قرض أولي قدره ٣٠،٠٠٠ استرليني على ان يحسم هذا القرض من الريع المستحق في المستقبل

(ج) قرض ثان في عام ١٩٣٥ قدره ٢٠،٠٠٠ استرليني

(د) إيجار سنوي قدره ٥٠٠٠ استرليني ابتداء من العام ١٩٣٣ وحتى اكتشاف النفط بكميات تجارية ٠

(هـ) عند اكتشاف النفط يدفع مقدماً مبلغ قدره ١٠٠،٠٠٠ استرليني على امتداد فترة عامين على ان يتم الدفع مناصفة، اي ٥٠،٠٠٠ استرليني كل عام ٠ وجميع الدفعات تدفع بالذهب

(و) تقديم منحة قدرها (١٤٠،٠٠٠) استرليني في العام ١٩٣٩

(ز) دفع ايجار سنوي قدره ٢٠،٠٠٠ استرليني ابتداء من العام ١٩٣٩ وحتى اكتشاف النفط بكميات تجارية ضمن الاراضي الداخلة حديثا في المنطقة المشمولة بالامتياز ٠

(ح) منحة قدرها ١٠٠،٠٠٠ استرليني عند اكتشاف النفط بكميات تجارية في المناطق الجديدة ٠

(ط) يحق لحكومة المملكة السعودية الحصول على ٢٠٣ مليون غالون من البنزين و١٠٠،٠٠٠ غالون من الكاز كل سنة بعد اكتشاف النفط ٠

(ي) تعود ملكية الموجودات غير الثابتة الى حكومة المملكة السعودية عند انتهاء مدة الامتياز ٠ اما الموجودات المتحركة فيحق للحكومة السعودية شراؤها بقيمة الاستبدال مطروحاً منها قيمة الاستهلاك ٠

اتفاقية جديدة

هذه هي اهم شروط اتفاقية عام ١٩٣٣٠ وقد ظلت سارية المفعول حتى ٣٠ ايلول من عام ١٩٥٠ حيث تم عقد اتفاق جديد بين الحكومة السعودية وشركة "ارامكو"٠ ومع ان الاتفاقية الجديدة تدخل ضمن نطاق اتفاق الامتيازات التقليدية فانها حققت قفزة الى الامام فيما يتعلق بحصة المملكة من العائدات٠ ويمكن القول ان أهم ما حققته هذه الاتفاقية هو تعديل في ميزان المساومة بين الطرفين لصالح البلد المنتج للنفط بعد ان كانت الاتفاقات السابقة تعكس قوة شركات الانتاج الأجنبية عن طريق حصولها على حصة الأسد من الثروة النفطية ٠

وقد جاءت الاتفاقية الجديدة استباقاً لما كان يجري في إيران بين الحكومة الايرانية والشركات الأجنبية المنتجة للنفط من خلافات عميقة ادت في نهاية الأمر إلى تأميم مصادر النفط على يد الدكتور محمد مصدّق رئيس الحكومة الايرانية آنذاك٠ ومع ان تجربة التأميم لم يكتب لها النجاح وأدت الى سقوط حكومة مصدّق، الا انها فتحت آفاقاً جديدة وفرصة نادرة لجميع البلدان العربية المنتجة للنفط لتحسين شروط التعامل مع الشركات الأجنبية

العاملة في اراضيها • وقبل تجربة التأميم في ايران كانت حكومة فنزويلا قد أصدرت تشريعاً في عام ١٩٤٨ مهد الطريق الى اقتسام الارباح مع الشركات الاجنبية بنسبة ٥٠٪ لكل فريق، كما ان الحكومة السعودية عقدت اتفاقاً في عام ١٩٤٩ مع شركة "باسفيك كوربوريشن" التي اصبحت تعرف فيما بعد باسم "مجموعة جيتي" حصلت بموجبه على شروط في حدود ٥٠٪ لكل من الطرفين•

ان التغيير الذي احدثته اتفاقية ٣٠ ايلول من عام ١٩٥٠ فيما يتعلق بعائدات الحكومة السعودية يمكن تلخيصها بما يلي:

أ ـ ريع قدره ٢١ سنتاً امريكياً للبرميل الواحد من النفط المنتج من الحقول الداخلية وريع قدره ٢٦ سنتاً للبرميل من الحقول البحرية•

ب ـ الحصول على ٤٫٢٦٥ مليون غالون من البنزين و٢٠٠٫٠٠٠ غالون من الكاز و٧٥٠٠ طن من الاسفلت سنوياً دون مقابل•

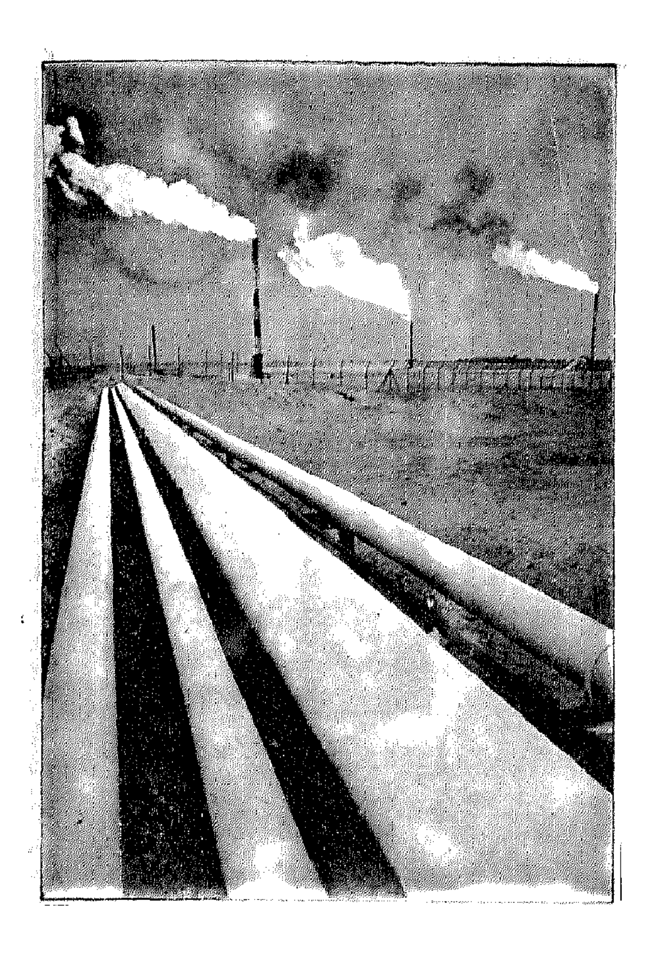
جـ ـ دفعة اضافية بموجب قانون ضريبة الدخل السعودي والذي ينص على ان تكون جميع المدفوعات تساوي ٥٠٪ من اجمالي دخل "ارامكو" بعد حسم تكاليف الانتاج، واستهلاك المعدات والموجودات الثابتة واية ضرائب دخل أخرى تدفعها "ارامكو" للحكومات الأجنبية خصوصا حكومة الولايات المتحدة الامريكية•

اتفاقيات المشاركة

ظلت اتفاقيات الامتيازات التقليدية سائدة فترة لا تقل عن عشرين عاماً• وعندما كانت هذه الاتفاقيات سارية المفعول كان سوق النفط العالمي يعكس طبيعة العرض والطلب على النفط كأحد مصادر الطاقة• وقد كان المستهلك في البلدان الصناعية هو سيد الموقف مما اعطى شركات النفط الأجنبية العاملة قوة تفاوضية مكنتها من تجميد الاتفاقات البترولية مدة طويلة من الزمن•

ومع مطلع السبعينات بدأت الصورة في اسواق الطاقة العالمية تتغير• فقد بدأ الطلب على النفط يتزايد بصورة كبيرة نتيجة لنمو اقتصاديات البلدان الصناعية والبلدان النامية معاً مما أدى الى ارتفاع في "سعر النفط المعلن Posted Price • فمثلا ارتفع سعر البرميل الواحد في المملكة السعودية من ١٫٨٠ دولاراً في عام ١٩٧٠ الى ٣ دولارات في عام ١٩٧٣•

إزاء هذه التطورات بادرت منظمة "اوبيك" التي تضم بلدان العالم المصدرة للنفط الى اتخاذ قرار في مؤتمرها الذي عقد في فيينا في ٨ ـ ٩ تموز ١٩٦٩ الى دراسة موضوع "المشاركة" في

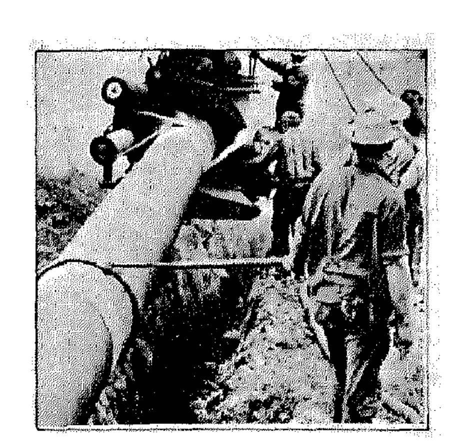


الامتيازات النفطية القائمة• وبعد دراسة استمرت عامين صدر في ١٣ تموز من عام ١٩٧١ قرار عن منظمة "اوبـــيـــك"

يدعو الدول الاعضاء الى اتخاذ القرارات العاجلة لتحقيق مبدأ المشاركة والدخول في مفاوضات مع شركات النفط، اما فردياً او جماعياً، لتحقيق هذا الهدف• وفي ٥ تشرين الاول من عام ١٩٧٢ اعلن أحمد زكي اليماني، وزير النفط السعودي، الوصول الى اتفاق مع شركات النفط العاملة حول المبادىء العامة للمشاركة•

وفي ٢٠ كانون الاول من عام ١٩٧٢ وقعت المملكة العربية السعودية وابو ظبي على الاتفاقية المذكورة على ان تكون نافذة المفعول ابتداء من ١ كانون الثاني ١٩٧٣ ثم وقعت قطر الاتفاقية في ٤ كانون الثاني ١٩٧٣•

أما العراق فانه لم يكن متحمساً للتوقيع على الاتفاقية أصلا• كذلك ان وزير المالية والنفط الكويتي قد وقّع على الاتفاقية الا ان البرلمان لم يقبل الاتفاقية بالشكل الذي وقعت عليه السعودية وقطر وابو ظبي وطلب تعديل نسبة المشاركة وبعض الشروط الأخرى المتعلقة بأسس التعويض على الشركات•



أما اهم بنود "اتفاقية المشاركة" فتتلخص بالآتي:

اولا: تحصل كل دولة على حصة قدرها ٢٥٪ من "القيمة الدفترية" Book value لوسائل انتاج النفط في اراضيها ابتداء من العام ١٩٧٣، وتبقى هذه النسبة حتى العام ١٩٧٧، ثم ترتفع إلى ٣٠٪ في عام ١٩٧٨، ٣٥٪ في عام ١٩٧٩، ٤٠٪ في عام ١٩٨٠، ٤٥٪ عام ١٩٨١ وأخيراً ٥١٪ في عام ١٩٨٢.

ثانياً: يحق للدول الموقعة على الاتفاقية أن لا تشتري نسبة الـ ٥١٪، كما يحق لها ان تتأخر عن الشراء لمدة اطول من العام ١٩٨٢.

ثالثاً: تشترك الدول المصدرة للنفط مع الشركات العاملة في اراضيها في نفقات التنقيب عن النفط وكذلك في نفقات التطوير لزيادة الانتاج او الحفاظ على المستوى الحالي لزيادة استثمارات أخرى.

رابعاً: تقوم الشركات بشراء جزء يحدد سلفاً من حصة الدولة من النفط، وتبلغ هذه الحصة ٧٥٪ في السنة الاولى ثم ٥٠٪ في السنة الثانية و٢٥٪ في السنة الثالثة.

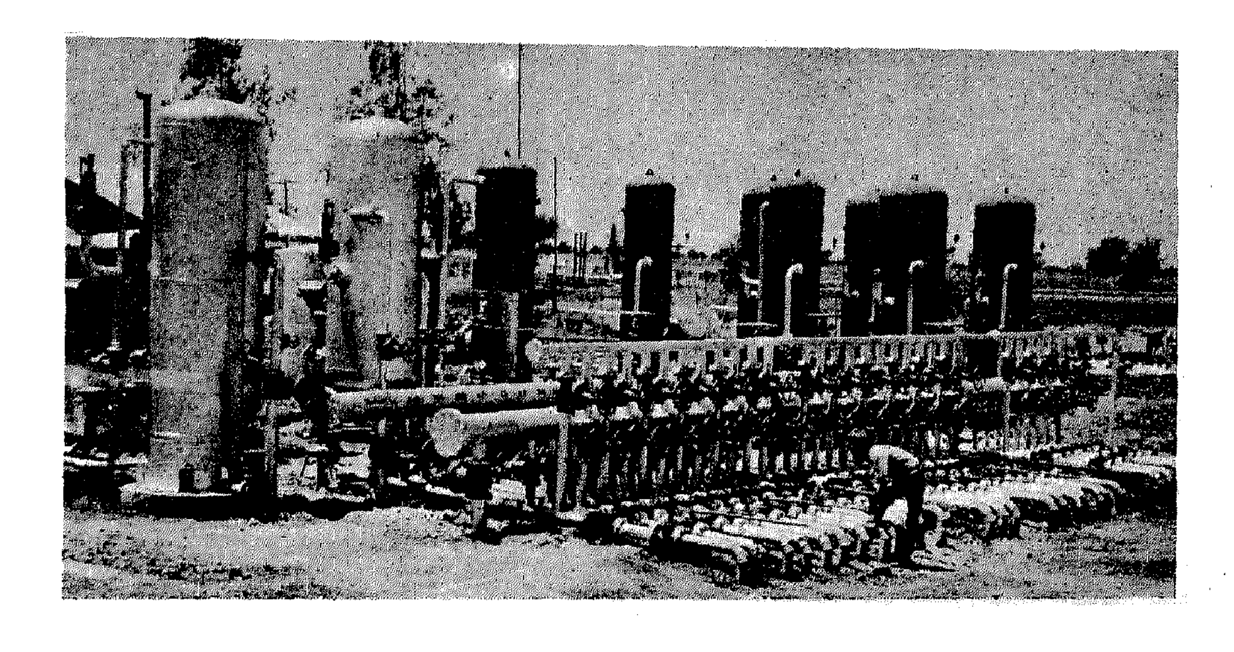
خامساً: اذا وجدت الدولة نفسها غير قادرة على تسويق حصتها فانها تستطيع بيع جزء من انتاجها الى الشركات العاملة حسب جدول محدد في هذا الصدد.

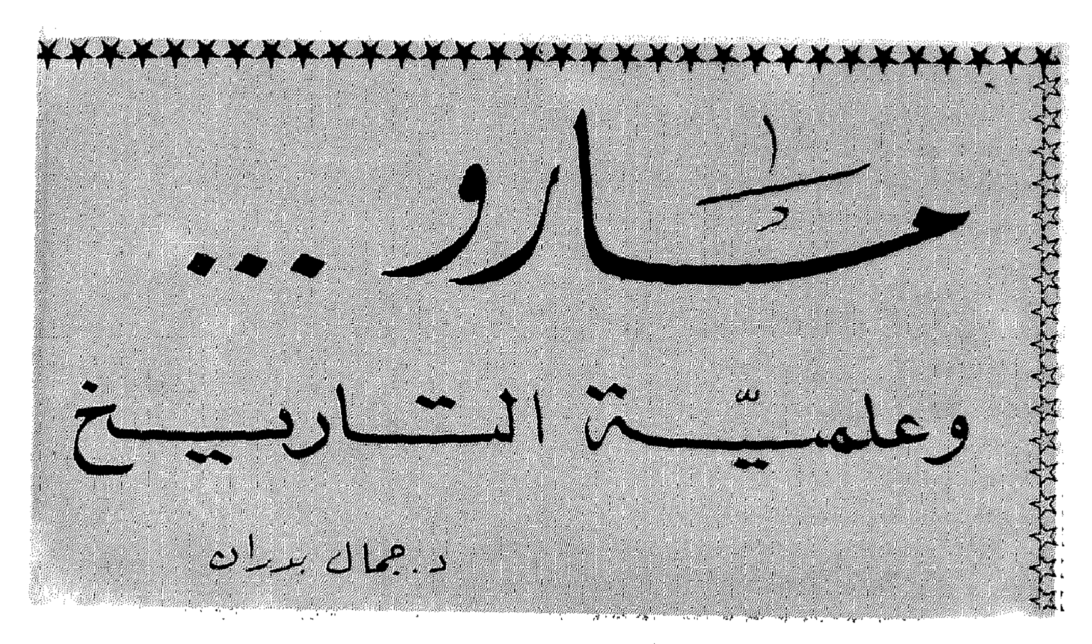
سادساً: تحدد معادلة معينة لتحديد سعر مبيع النفط الى الشركات سواء تلك التي تلتزم الشركة بشرائها او التي تلتزم الدولة ببيعها.

سابعاً: تقوم الدولة بتعويض الشركة العاملة باراضيها عن الحصة التي قامت بشرائها على اساس القيمة الدفترية لموجودات الشركة على أن يطبق "مضاعف تضخمي" Multiplier-Inflationary لكي يؤخذ بعين الاعتبار ارتفاع مستوى الأسعار بالنسبة لمواد البناء في منطقة الشرق الأوسط.

هذه هي اهم بنود "اتفاقية المشاركة" بايجاز شديد نظرا لأن هنالك تفاصيل فنية لا تهم القارىء العربي وإن كانت تهم العاملين في ميدان النفط.

لقد مضى اكثر من خمسة أعوام على توقيع أتفاقية المشاركة مع بعض الدول العربية المصدرة للنفط. ولا شك ان التطورات النفطية التي حدثت بعد تاريخ بدء العمل بالأتفاقية المشار اليها قد جعلت هذه الاتفاقية عديمة الجدوى بدليل أن السعودية تفاوض الآن على إمتلاك كامل شركة "آرامكو" بدلا من الاكتفاء بتملك ٥١٪ من الشركة المذكورة في عام ١٩٨٢ كما تنص على ذلك الاتفاقية. لذلك يمكن القول بأن "اتفاقية المشاركة" قد اصبحت جزءاً من التاريخ الاقتصادي العربي تماماً كاتفاقيات "الامتيازات التقليدية" التي نظمت العلاقة بين الدول المنتجة للنفط والشركات الاجنبية التي كانت تملك امتيازات بترولية ردحاً طويلا من الزمن. ■





من شائع القول ما هو معروف منذ اواخر القرن السابع عشر باسم فلسفة التاريخ، اذ صار هذا المصطلح - لكثرة ما تقاذفته مباحث الفلسفة والتاريخ والاجتماع - علما على هلامية الموضوع..يفتقد التحديد، ويحتاج الى التنقيب، ويتطلب التقليب والنقاش..ومن ثم يحتم على الباحث المعاصر تنظيم خطوات بحثه فيه، أو بالاصح يلزمه باستخدام منهج لا ترقى اليه شبهات التقول والتأويل.

وهنري ايرني مارو من هؤلاء الباحثين المعاصرين في فرنسا الذين اخذوا على عاتقهم تطهير المعرفة التارخية من شوائب عديدة..مستهدفا في ذلك غرض الوصول الى وسيلة علمية، تعين عالم التاريخ في الحاضر والمستقبل، وتؤدي به الى الحقيقة التاريخيةالتي لا مطعن فيها. وهو في محاولته الجادة..يعدد الشوائب التي عابت البحوث الماضية، ويتتبع مواضع الصواب التي تتضمنها، فيجمعها ليقارن بينها في موضوعية علمية، ويفترض من بينها احتمالات قد يتململ العقل في قبولها، فلا يلبث ان يساندها بشواهد من التاريخ ثابتة، حتى اذا ما كاد العقل أن يسلم بها، بادر الى تأمين العقل بنظرية البحث العلمي في التاريخ.

وأستاذ السوربون ثالث ثلاثةعلى قيد الحياة أخذوا بيد التاريخ ليخلصوه من ربقة التفلسف في طريقه الطويل بين الماضي والحاضر، ويسلموه عصا العلم يتوكأ عليهاالى المستقبل. لكنه هو وزميليه توينبي وبرتراند رسل لا يقفون من الفلسفة موقف المعاداة في سيرها مع التاريخ، وأنما نراه يرجو ان تفسح الفلسفة طريق الحضارة - ولو الى حين - حتى تكتمل للتاريخ مقومات العلم، ويمكنه ان يرتقي الى مستوى اليقين.. ولا ضير بعدئذ من تطوير علم التاريخ الكامل الى مرحلة من التفلسف شأنها شأن مرحلة العلوم المتقدمة كافة..

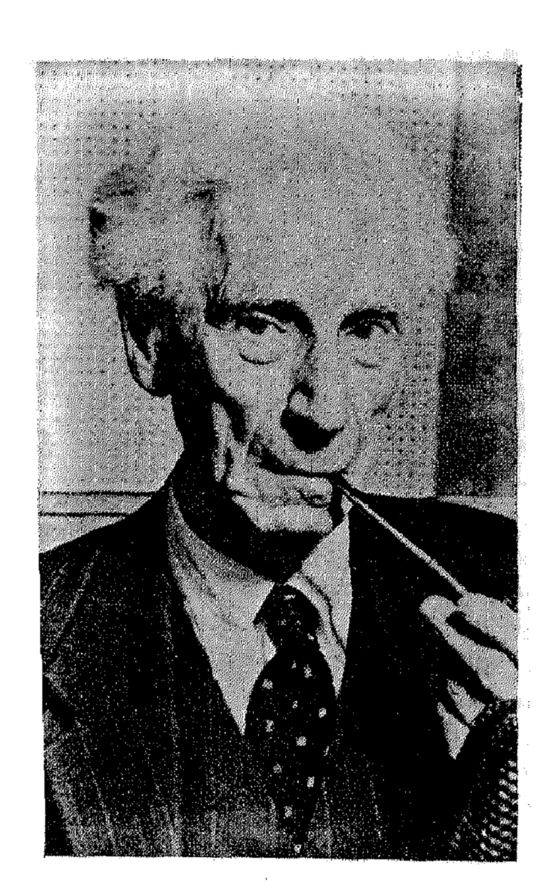
لكن المعادلة الصعبة تكمن في طبيعة المجتمعات الانسانية وفي كيفية اخضاعها لدراسة في التاريخ علمية.. كيف نبلغ بالتاريخ درجة السيطرة العلمية التي تجعل من مجتمع انساني حقلا لتجاربه؟!

وهنا يجدر بنا ان نستحضر تجارب من سبقونا في هذا المضمار، ونستهديها رؤاها حتى نحقق رؤية على المستوى المحسوس..

ان مائدة في السماء نتمثلها..اذ يجلس اليها الخالدون ممن لاكوا سيرة الانسان وفلسفوا تطوره..لأجدر بأن يكون طعام هذه المائدة عظاما آدمية تعرف من قشورها اللحمية، حتى اذا ما استقى واحد منهم طعمها..ملأ فمه هواء الحفريات المتربة..فيزفره كلمات تملأ العيون والاسماع.

استقراء فلاسفة التاريخ

فها هو أفلاطون ممثل الفكر الهليني..يتردد صدى كلماته عن حياة الناس..انها كالبحر الهائج الذي تنتابه حركتا المد والجزر، تاريخهم خاضع للفعل ولرد الفعل، تاريخ الناس يدور دورات لا بد ان تنتهي كل واحدة منها بالانحلال والكوارث..انها دورات محدودة ومحددة، محدودة لانها لا تغير فيها ولا تعديل..فهي تكرر نفسها، ومحددة لان كل واحدة منها لا يزيد عن عشرة آلاف سنة شمسية، ومن ثم فأن تطور البشرية يزداد بين دورتين متناوبتين، يفصل بين كل نوبة منهما طوفان يمحو آثار الاولى من بشر، ويسوي الارض ممهدا لما سوف يدب فوقها من جديد البشر..وهكذا دواليك. بل ان كل دورة منهما..تمر الانسانية خلالها بخمس حالات..الفطرة أو الهمجية، الزراعة الجبلية، حياة المدن الجبلية، حياة المدن السهلية، ثم حياة المدن الساحلية التي يطغى بعدها الطوفان!!



■ راسل

وها هو بوليبوس الميجالوبولي لسان حال الفكر الروماني..تنطلق كلماته مؤيدة شطحة أفلاطون، فتبين لنا كيف ان الدولة في أصلها تعتمد على القوة، وكيف أنها في تطورها تتخذ مسار الانجذاب الشعوري الى خلق فاضل يشيع بين أهلها، ويعتمد في شيوعه على عادات وعرف وتقاليد مرعية. فهو في حديثه عن سر انتصار روما وتكوينها الامبراطورية الرومانية، مطيحة في ذلك بالامبراطوريات التي سبقتها كافة..يؤكد ان القوة الكامنة في صمودها هي شمولها كل أنحاء المعمورة، بمعنى أنها لم تقع في أخطاء مؤسسي امبرطوريات الفرس والاسبرطيين والمقدونيين..

التاريخ وطبيعة الاجتماع البشري

وها هو ابن خلدون مفكر العرب في التاريخ وفلسفة حدوثه، يصيح مناديا بأن التاريخ مليء بالاغلاط، كتابة التاريخ يجب أن تصوب، التاريخ يجب أن يمنهج، كما أن المنطق مدخل لدراسة الفلسفة فلا بد أن يكون للتاريخ مدخل..يضيء الطريق للباحثين في أقتفاء آثار الشعوب منذ الأزل حتى الابد..ان اقتفاء خطاهم يتطلب الماما بواقعات العمران.."فللعمران طبائع في أحواله ترجع اليها الاخبار وتحمل عليها الروايات والآثار.." ومن ثم فان تاريخ البشرية لا يسير اعتباطا، بل يخضع لاصول ونواميس تشتق من طبيعة الاجتماع البشري.

كلمات انطلقت فأطاحت بحاجز يحجب طريقا جديدا..لكن أحجار هذا الحاجز استطاعت أن تشتت هذه الانطلاقات..فانحرفت عن ولوج هذا الطريق، بل ارتدت لتطن..فنسمع لها صدى ما سبقها من كلمات..مظاهر الحياة كلها لدى الناس تتدرج من البساطة الى التعقيد..تفكير الناس، عقيدتهم، نظامهم العمراني والسياسي، حتى شرفهم وحسبهم..كل هذا يمر بمراحل أربع متعاقبة..البداوة، ثم الملك، ثم الحضارة، وبعدئذ الاضمحلال والخراب والفناء..لكن – والحق يقال – قانون المراحل الاربع هذا لا يشبه تماما الدورة الافلاطونية، ولا يمثل نظرية للتقدم المطلق المستمر لدى البشرية على مسار التاريخ..بل هو تقدم محدود..يحده في النهاية الهرم والفساد، ثم ينقله الى حقبة ثانية وثالثة ورابعة..الخ فقد يرمز بعضها للتقدم، ويرمز الآخر للتأخر والانحلال..وهكذا.

ها هو المفكر الايطالي فيكو يسير على الدرب في فلسفة التاريخ..فيجد أن مظاهر الحضارة لا تخرج عن الدين والاسرة ودفن الموتى، ويجد أن تاريخ الانسانية وحدة متماسكة، تتطور شعوبها ومظاهر حضاراتها بنوع من الحتمية، ولكن بسرعات متفاوتة..فتنتقل من الهمجية الى حياة اجتماعية منظمة من خلال مراحل ثلاث: ١ – دينية يسودها الخوف من الآلهة، فتصطبغ أفكار الناس بالخرافات والاساطير، وتنتابها نظم من الحكم استبدادية يحتكرها رجال الدين، ومن ثم ينسبون كل تصرفاتهم الى الآلهة وحقوقها المقدسة. ٢ – بطولية يتأله فيها بعض البشر ويسيطرون على ما عداهم، فتكسو هذه النظرة كل القيم السائدة مثل الشرف والحق واللغة وكيفية الحكم، ومن ثم يظهر نظام الطبقات وتسود نزعات القوة والمخاطرة..وثالثة المراحل هي مرحلة الانسانية، حيث تحترم فيها الطبيعة البشرية، وتراعى فيها الواجبات والحقوق، وتسود فيها نظم من الحكم تدعو الى المساواة والحرية في النقد، وتعم لغة شعبية سهلة الكتابة والتداول.

لكن المهم في هذه المراحل الا اتصال بينها، بل مجرد تعاقب بين دورات مستقلة تنتهي ثالثتها الى الترف والميل الى جمع المال وضعف الاديان وسيادة روح الانانية، ومن ثم ينشأ البغض بين الفقراء والاغنياء، وتخرب ذمم الحكام فتفسد الحكومات، ويتدهور موقفها الى الحد الذي لا يصلح معه اي علاج..فينتهي الامر الى احتلال عدو قوي لمثل تلك المجتمعات المفككة.

لكن فيكو يشرع في تدعيم نظريته الفلسفية بتطبيقها على الواقع التاريخي..فيتخذ من عهد هوميروس مثالا للمرحلة الدينية، ومن مدينة



■ هيجل

أسبرطة عهد البطولة، ومن أثينا عهد الانسانية، ثم يطبقها على الرومان فيجعل من خضوعهم لرؤساء الاسر مرحلة دينية، ومن صراع الخاصة منهم "الباقريشيانز" مع عامتهم "البليبانز" حول حقوق العامة مرحلة بطولية، ومن عهد الجمهورية الذي أقرت فيه حقوق العامة ومساواتها بالخاصة مرحلة انسانية. كذلك يطبقه على العصور الوسطى في اوروبا، ثم على الامم المعاصرة له..

أما المفكر الثائر فولتير..فقد غلى الدم في عروقه من سماعه لهذه الآراء، وانبرى معترضا على هذه المراحل أو الدورات، لكن أعتراضه لم يكن على مبدأ وجودها أو الاعتراف بها أصلا، وانما كان منصبا على عددها..فلم يعترف الا بعهدين فقط..عهد الفطرة الخالصة وعهد المدنية. لكنهما حالتان مثاليتان كان على الانسانية أن تمر بهما، لان عهد الفطرة الخالصة لديه فطرة فكرية يسود فيها حكم العقل وفضائل الاخلاق وتعاليم الايمان الغريزي، أي عهد توازن اجتماعي لا عهد صراع أو حروب. أما عهد المدنية فهو حالة - في رأيه - لم نصل اليها بعد..لانها تنتج عن تعاقد بين الشعوب والحكام على ان يرعى الحكام حياة الشعوب واحترام القوانين وسيادة الاديان العقلية، ومن حق الشعوب أن تثور عليهم ان اخلوا بالتعاقدات المبرمة.

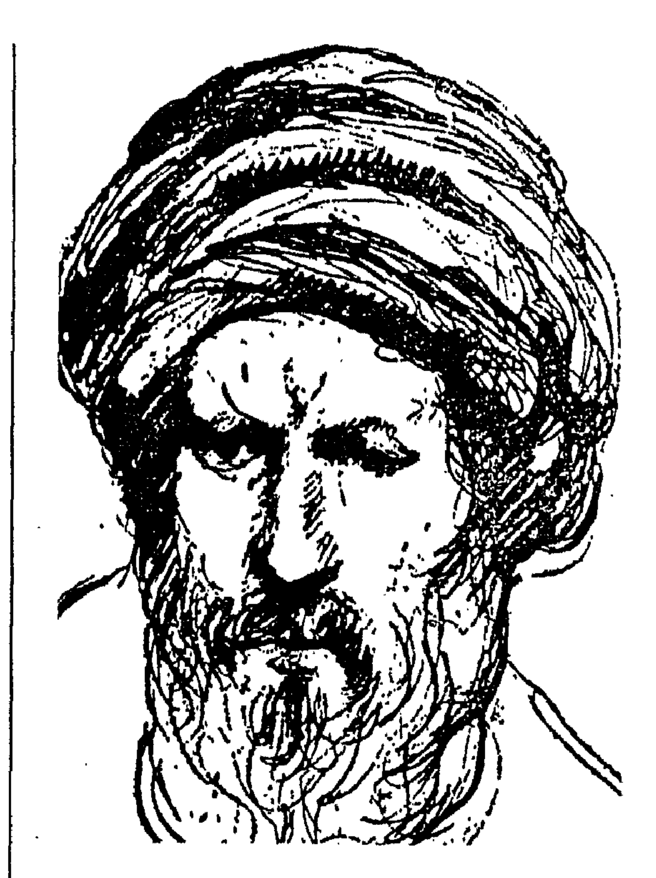
ولهذا تفتق ذهن فولتير عن اكتشاف حالتين منحرفتين في الواقع، وتمهدان الى عهد المدنية المنتظر، هما..حالة الهمجية لدى الامم المتأخرة، وحالة المدنية الناقصة لدى الامم المتقدمة في عصره. وظن فولتير أنه قضى على الخلاف بين فلاسفة التاريخ بهذا القانون الحاسم..لكنه مضى وظل الخلاف على حدته.

كذلك الامر مع جان جاك روسو..انه حزين دائما على الماضي، يتباكى على عهد الفطرة، يجعلها منبعا لمجرى تاريخ البشر..ولما كان المنبع دائما على مرتفع من المرتفعات..فان روسو قد استمد رأيه من تلك الصورة التضاريسية..فقال بأن الانسان أخذ في الانحدار تماما كانحدار الماء من المورد المرتفع الى السهل المنخفض..حتى يتبدد في النهاية بين الوديان وبين المصب لابد ان يخترق عهودا أربعة..أولها هذا العهد الفطري الذي عاش فيه الانسان لاشباع حاجاته الضرورية وابتعد عن كل صنعة بشرية، وثانيها عهد الاستقرار والحياة الجماعية وتقسيم العمل بين الرجل والمرأة فبدأت في ذلك العهد ظاهرة التملك والصراع، وثالثها عهد استخدام المعادن والزراعة وامتلاك الارض.. ومن ثم ظهر الفرد القوي الذي يضع يده على ارض فيؤمن على ادعائه القوم البسطاء، فنشأت الجرائم والحروب، ورابع العهود عهد محاولة التخفيف من حدة ما سبقه من آثار الملكية الفردية.. وذلك بتنظيم عقد اجتماعي تنظيما عقليا خالصا.. تنشأ فيه الدولة والقوانين والحكومات.. ومع ذلك فهي محاولة فاشلة لانها تقضي على الحرية الطبيعية، وتزيد من ضعف الفقير، وتضاعف من أطماع الغني.. فتضيع معالم المساواة.. ولا علاج غير العودة الى العهد الطبيعي..

ومعنى هذا ان روسو لم يكتف بأن تدور الانسانية في بدعة الحلقات او الدورات، بل افترض عهدا لا سند له من الواقع..ينظم به الصلة بين الحاكم والمحكومين..وذلك مما يزيد ظلمات الطريق الذي نسير فيه الى فلسفة التاريخ.

فكرة التاريخ الكلي

ويكاد مارو أن يمل آراء الدورات هذه، فيلقى بها جانبا، ويبحث عن مفكر في الماضي مثلها مثله..فيصطدم بفكرة عن التاريخ الكلي من وجهة نظر عالمية..للفيلسوف الالماني عمانويل كانط..فالتاريخ عنده يصبح ذا معنى، لو نظر اليه كمسيرة مستمرة بلا هدف للتقدم أو للتأخر، فلا يهمه غير ربط أحداث هذه المسيرة التاريخية بالنوع الانساني عامة لا بفرد معين. ولهذا..ففي الامكان أن يتبع التاريخ خطة طويلة المدى



■ ابن خلدون

تستهدف النوع الانساني ككل ولو على حساب منفعة الفرد وخيره.. وشأن التاريخ في هذا شأن العناية الالهية او الطبيعة تماما. ومن ثم فعلينا ان نتخيل ان للطبيعة او العناية الالهية وسيلة ما نتأكد بها من مواصلة هذه المسيرة التاريخية في فترة زمنية طويلة يمكن ادراكها من خلال النوع الانساني.

يقصد كانط بهذه الوسيلة التي علينا تخيلها..ما لدى الانسان من ميول اجتماعية ولا اجتماعية، وبالتالي فان تزداد الانسان بينها هو الذي يشكل او يوجه مجرى التاريخ.

ومن هذا المنطق يمر الناس من حالة الهمجية الى الحضارة بمرحلتين..أولاهما انتقال من حالة الطبيعة الى حالة مجتمع متحضر يجمع بين أعلى الحريات الممكنة وبين أقصى تصميم وضمان لتحديد هذه الحرية بطريقة تسمح بتعايش كل فرد مع الاخرين، وثانيتهما اقامة اتحاد فيدرالي لهذه الامم المتحضرة يتمتع بسلطات على جميع اعضائه.

وبهذا لا يقنع كانط بالتاريخ في الماضي، وانما يقفز به متنبئا له بمستقبل..على ضوء ما ارتآه واجبا أن يكون..ومن ثم يعرض مارو عن كلماته لانه يعيش حاضرا يختلف تماما عما تنبأ به الفيلسوف.

كذلك الامر مع ترجو في قوله عن التاريخ بأنه دستور لتجارب الامم..حلوها ومرها، وأن الجنس البشري ما هو الا مجتمع واحد، وأنه دائم السير الى الرقى باحدى وسيلتين..عمل وانتاج في هدوء، أو وثبة الى مستوى أرقى في ثورة باعتبارها من طبائع الاشياء..ومن ثم يتحقق عن ذلك ارتقاء عقلي وآخر اجتماعي وعدالة في التشريع. الا انه يلتزم أيضا بفكرة المراحل التدرجية، لكنه يحصرها في ثلاث..تغلب على أولاها السمة الدينية، وعلى ثانيتها المسحة الفلسفية، وعلى ثالثتها روح التجربة..ومن ثم يقع في الخطأ الذي وقع فيه السابقون.

العقل يحكم العالم

فهل نهج مفكر عقلي مثل هيجل منهج العلم في فلسفته للتاريخ؟.. ها هو يقول: ... "الفكرة الوحيدة المصاحبة للفلسفة عند تأمل التاريخ هي الفكرة البسيطة للعقل، اي ان العقل يحكم العالم.. ومن ثم فان تاريخ العالم هو عملية عقلية".

وذلك معناه انه يمكننا حبك رواية ذات اهمية لوقائع تتكون منها، وانه يمكننا كذلك ذكر اسس ودوافع هذه الوقائع..حتى نخرج بصورة عقلية لتاريخ هذا العالم. فالمؤرخ الفلسفي - على اساس هذا المفهوم - ينظر الى اكتشاف اسرار معنى ومغزى التاريخ بأكمله، وأظهار كيف يعمل العقل في مجال التاريخ، ومن اجل ذلك، عليه ان يعتمد على نتائج التاريخ التجريبي كمادة اولى، وعليه أن يوضح التاريخ "بالسعي وراء رفع المضمون التجريبي الى مرتبة الحقيقة الضرورية"، ذلك التاريخ الذي يتركز مفتاحه في فكرة الحرية وتطورها في الواقع..فيحاول هيجل ان يستمد من هذا الواقع سندا لفكره..فيجد ان حضارات الصين وبابل ومصر كان الطغيان والعبودية فيها هما القانون..اما الحرية فكانت مقتصرة على فرد واحد هو الملك، ثم يجد ان العالم اليوناني الروماني قد احتفظ بتنظيمات العبودية..لكنه مد نطاق الحرية كحق للمواطنين..الا انه كان مجرد ادعاء لانها لم تكن حقا لجميع الافراد، كذلك يجد ان الشعوب الالمانية لاوروبا الحديثة قد اتخذت صراحة فكرة الحرية..ومع ذلك لم تتحقق كاملة في نظمهم. ومعنى ذلك انها فكرة آخذة في التقدم.وهذا هو المسار العقلي للتاريخ الا وهو التقدم، ولذلك فانه يكمل نظريته عن القوى المحركة للتغير التاريخي بقوله..في الامكان تنفيذ الخطة الكبرى للعقل بمعاونة العواطف الانسانية فقط.



■ رنولد توينبي



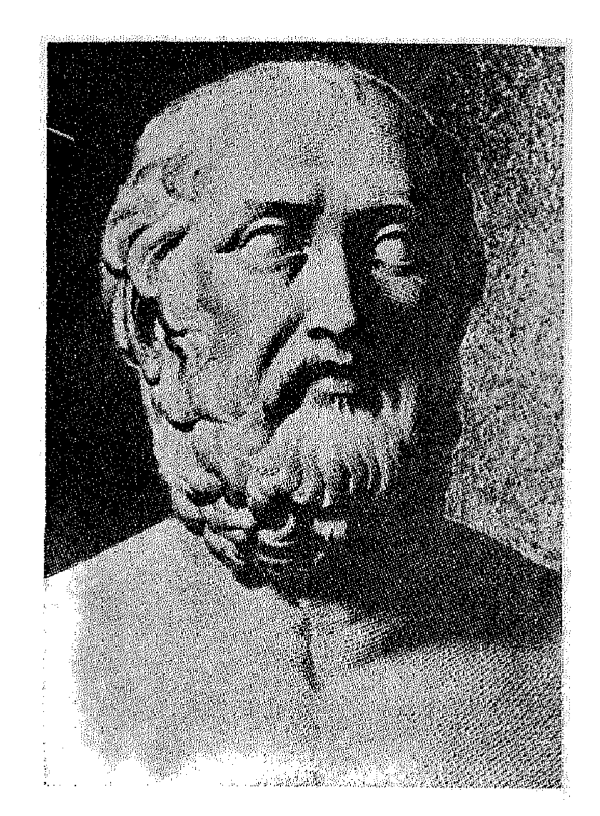
حتمية النتائج الانسانية

لذا فاننا نجد ان مارو يناقش كلا من كولنجوود وتوينبي وبرتراند رسل مناقشة هادئة٠٠حول ضرورة النظرة العلمية التاريخية التي يمكن بمقتضاها ان نقول بحتمية نتائج انسانية على ضوئها في ظل شروط وظروف محددة٠٠

فهو يتناول شعار كولنجوود لفكرته عن التاريخ، المعروف بعبارة "كل التاريخ تاريخ فكر"، ويسلم معه بأن المؤرخ لا يشاهد الوقائع التاريخية، ولكنه يشاهد وثائقها وآثارها٠٠ومن ثم فانه في محاولته فهم هذه الاحداث والوقائع بنفاذه الى اعماقها والى الخيط الذي يسلسل ترابطها وتعاقبها٠٠لا يعتمد على فكره وحده او افكار من سبقوه من المؤرخين والمعاصرين له، وانما يستعين بمنجزات العلوم الاخرى مثل الزراعة والكيمياء والعمارة وطبيعة الارض ومكونات المناخ، بل يستعين بحفريات تفصح عن معتقدات الانسان وتقاليده في فهم التطور التاريخي لها٠٠ومن ذلك يستطيع أن يتحقق من بعض الوقائع التي تستعصى على الفهم٠٠مثل الحجم السكاني للمجتمعات التاريخية وتطورها من الاتساع الى الضيق او العكس، وما اثر المؤرخ في سبل ذلك الا في القصور والعجز عن استحضار ادلة مندثرة، تملأ الكتابة التاريخية بالثغرات، لكن علاج هذه العقبة لا يتمثل في ملكة التخيل التي يشترطها كولنجوود في عالم التاريخ، وانما العلاج يتركز في توسيع لافاق معلوماته العلمية في البحوث الاكثر اكتمالا وتقدما٠٠والا ظل الامر وقفا على الشطحات الخيالية وذاتيات المؤرخين٠٠وهذا هو عين ما وقع فيه كولنجوود٠٠اذ لم يستطع الاعتماد على الخيال القبلي الذي نادى به، فانزلق الى تجربته الشخصية المحدودة والى عموميات التاريخ٠

ولهذا فان مارو لا يريد ان يغمط كولنجوود حقه٠٠فيقول ان نظريته ممكنة بالنسبة للسير وتاريخ السياسات والحروب، لانها قد تكون مقصودة ومدبرة فيبرز فيها عنصر التفكير المرسوم٠٠اما ما عدا ذلك فخاضع حتما للتلقائية المجتمعات وتعدد مجالات نشاطاتها٠

وبهذا المستوى الفكري يناقش مارو فسلفة توينبي التاريخية٠٠ ويبدأ من مسلمته القائلة "الاسبقية والتبعية الزمنيتان لهما دلالة ذاتية تافهة، او بالاصح لا دلالة لهما الا في محيط حضارة واحدة محددة، اما عند مقارنة حضارات مختلفة ببعضها٠٠فالعنصر الزمني لا علاقة له بموضوعاتها في غالب الاحيان٠٠وعادة ما يكون مضللا، اما في المعنى الفلسفي٠٠فستظل الحضارات كما كانت من قبل معاصرة لبعضها البعض٠٠لانها جميعا من نبع الاسرة الانسانية بأجيالها المتعاقبة، وما الفروق في الاعمار بينها غير فروق تتناهى في الضآلة اذا ما قورنت بالعهد الطويل الذي عاشته هذه الاسرة الانسانية الخالدة"٠



■افلاطون

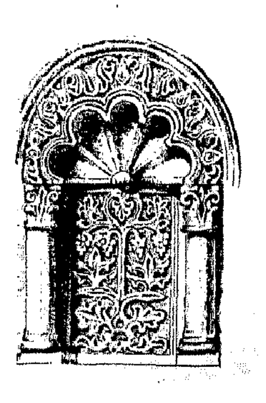
معنى هذا ان الحضارة عند توينبي هي الوحدة الوحيدة الصالحة للدراسة التاريخية، وبهذا شرع في مؤلفه "دراسة التاريخ" ذي العشرة أجزاء، في تحديد معالم احدى وعشرين حضارة في الماضي والحاضر، وعزل من ملامحها ما اعتقد انه متكرر في تاريخها ٠٠لكنه من الملاحظ ان توينبي في أجزاء مؤلفه الاولى قد قام بدور عالم الاجتماع الذي ينهج المنهج التجريبي في بحثه عن عوامل نشأة وتدهور الحضارات، لكنه في الاجزاء الاخيرة منه يخضعها للاجابة عن سؤال واحد تردد من قبل بين فلاسفة التاريخ ٠٠هو ما معنى التاريخ ان كان له معنى؟٠٠لذلك فان اجاباته طوال هذه الاجزاء تتركز حول اكتشافه لهذا المعنى الذي تمثل في الغاية والمبرر الكامنين في العديد من الكوارث لا تستهدف غير اعداد الناس وتهيئتهم لتقبل اوضاع ونظم دينية علوية قد تكون في عالم الغيب٠ ومن ثم فان هذه الحضارات تمر بأطوار أربعة هي التحدي والاستجابة ثم الانسحاب والعودة، وهذا ما مرت به حضارات بائدة مثل الحضارات اليونانية والرومانية وحضارات امريكا الوسطى والجنوبية، وما سوف ينتظر الحضارة الغربية أيضا٠٠ومن ذلك نلمس أن توينبي بنى من قانونه عن التفسير التاريخي للحضارات قوة التنبؤ بالمستقبل٠٠

وهنا الخطأ المنهجي في وجهة نظر توينبي٠٠فهو بدأ بالنظرية كعالم اجتماع، وبحث عن اسانيد مؤيدة لها من شواهد حضارية في التاريخ ٠٠فجاء استشهاده ذاتيا٠٠تتضح فيه شخصيته التي تخضع بعض الوقائع لها٠ فيتناولها بالتعبير احيانا وبالتجاهل احيانا اخرى٠٠

تقويم علمية التاريخ

وما علينا بعد ذلك كله ـ في رأي مارو ـ الا ان نطرح فلسفة التاريخ جانبا الى حين، ولنأخذ على عاتقنا تقويم علمية التاريخ٠٠ومع ذلك فهو يدرك تماما تميز مادة البحث التاريخي عما عداها من بحوث علمية، فهو ـ كما يقول ـ "يعالج معدنا شديد الصلابة صعب المراس يحتاج الى أعلى درجات الحرارة الصادقة٠٠للتخلص في تطويعه للدراسة، أو اخضاعه لنظرية من النظريات٠٠ذلك هو الانسان الذي حير أعظم العقول، وخطأ أرجح الآراء"٠٠٠

لكن مارو يتركنا بعد موقفه النقدي هذا في موقف الحيرة المنهجية٠٠فهو يعترف بل يوصي كل باحث في تقويم تاريخ الانسان بأن يعتنق الديالكتيك والحتمية التاريخية لانهما أقرب الى التفسير العلمي لمسار التاريخ، حتى لا ينجرف الى متاهات التأمل والشطط٠ ■



محاضرة الاب لوبريه عام ١٩٦٠

انفجار لبنان

١٩٧٥ - ١٩٧٩

حذرت منه بعثة "ايرفد" قبل ١٩ عاماً !

الاب جوزيف لوبريه

صادر في أيار ٨١

مقدمة

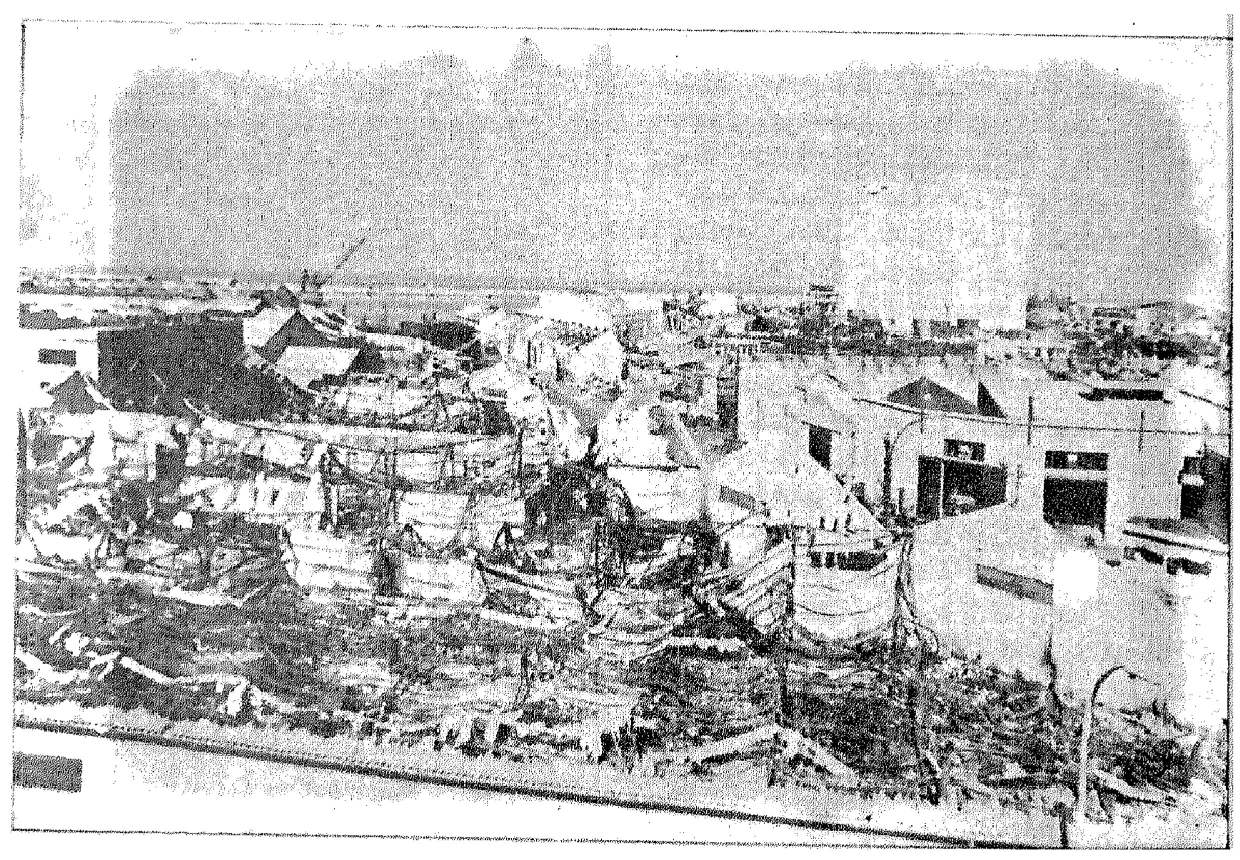
تقدم مجلة "تاريخ العرب والعالم" للقارىء العربي على حلقتين وثيقة هامة في تاريخ لبنان الاقتصادي والسياسي. وهذه الوثيقة هي محاضرة القاها الأب جوزيف لوبريه رئيس بعثة "إيرفد" الفرنسية (١) الى لبنان في ١٩ تشرين الثاني من عام ١٩٦٠ وقد القى الأب لوبريه هذه المحاضرة في بيروت بحضور اركان الدولة وفي طليعتهم الرئيس السابق فؤاد شهاب. وكان الرئيس الراحل شهاب قد استدعى هذه البعثة، بعد توليه مهامه الدستورية كرئيس للجمهورية، لدراسة الوضع الاقتصادي والاجتماعي في لبنان بهدف وضع الاسس لسياسة انمائية شاملة يلعب فيها القطاع العام في لبنان لأول مرة دوراً قيادياً ورائداً.

وقد ادرك الرئيس شهاب ان عملية التنمية لا تنحصر فقط في تحقيق زيادة مضطردة في حجم الناتج القومي وانما هنالك بعداً اجتماعياً يتمثل في تحقيق عدالة اجتماعية تواكب الزيادة في المداخيل والانتاج. كما أيقن أن تركيبة الاقتصاد اللبناني التي تعتمد إلى حد بعيد على قطاع الخدمات قد بدأت تعزز بعض المشاكل والتناقضات الاجتماعية والسياسية التي قد تؤدي الى خلق حالة عدم استقرار في البلاد فيما اذا تركت دون معالجة جذرية. ولعل في بعض أحداث لبنان الأخيرة وما أفرزته تأكيداً لصحة ما ذهب اليه الرئيس الراحل.

ونظرا لأن المجال لا يتسع لنشر المحاضرة بنصها الحرفي فقد عمدت ادارة تحرير المجلة الى نشر الاجزاء الرئيسية منها وحذف بعض الأجزاء دون أن يؤثر ذلك على سياق المحاضرة أو على المعنى الذي هدف اليه الأب "لوبريه".

والمحاضرة بعنوان "لبنان يواجه قضية تنميته":

(١) المعهد الدولي للابحاث والاعداد للتنمية المنسقة



○ مرفأ بيروت الشهير.. اصبح ركاماً..

١ ـ مفهوم التنمية:

■ منذ مائة عام كان علماء الاقتصاد الأولون يتحدثون اكثر ما يتحدثون عن "الثروة" (Richesse) . وكان همهم الاول ايجاد "الثروة" . وكان من الامور المسلم بها أن هذه الثروة توزع نفسها بنفسها لخير البشرية العام، دون ان يعنى احد بتوزيعها. غير ان النتائج التي ترتبت على ذلك كانت غير ما قدروا وانتظروا، اذ كان أن نشأت المشكلات الاجتماعية.

وبعد اصطلاح "الثروة" هذا جاء اصطلاح "التقدم" (Progrès) . غير أن "التقدم" الذي كانوا يفكرون به كان مقتصراً على التقدم العلمي والفني. أما الانسان من حيث هو انسان له امكانياته، فقد أهمل كلياً واسقط من حساب هذا التقدم.

فالتقدم الاداري والتقدم الحضري والتقدم السلالي (الاثنولوجي) والتقدم الروحي، كانت كلها اموراً غير واردة في حسابهم. وقد كان من اثر هذا التشديد على التقدم العلمي والفني نشوء بعض الاختلال في توازن المجتمع مما لا زلنا نعاني منه حتى يومنا هذا.

وبعد ذلك ظهر اصطلاح "النمو" (Croissance) ومعنى هذا "النمو" بحسب النظريات الاقتصادية الحديثة النمو أو الارتفاع في الكميات الاجمالية، ولاسيما النمو في الدخل الوطني.

ومن الواضح ان النمو يصبح امراً ضرورياً إذا ما أردنا ان نلبي حاجات الانسان بصورة أفضل. على ان الأمر قد يلتبس علينا اذا علمنا ـ عندما نتبين من هو الذي يستفيد من هذا النمو ـ ان هذا النمو في الواقع يقترن بتقهقر نسبي لقسم كبير من الشعب، وان هذا هو ما يجري اكثر الأحيان في البلدان السائرة في طريق التنمية. فلقد يحدث ان يستفيد ٢٠ في المائة تقريباً من الأهلين من هذا النمو، بينما تعاني الكثرة الساحقة من الركود ان لم نقل من التقهقر الفعلي.

وبعد اصطلاح النمو جاء اصطلاح "التوسع" (Expansion) . والتوسع هو سرعة "النمو". إذ لا يكفي للاقتصاد ان يأخذ في النمو حتى نقول انه آخذ في التوسع، بل يجب كذلك ان يتميز بتسارع في النمو. بيد اننا الآن حيث كنا من قبل، فاصطلاح "التوسع" هذا انما يعبر عنه بالارقام أو بمعدل النمو. وليس ينبغي لنا ان نستبعد اياً من هذه المفاهيم الثمينة، وانما ينبغي ان ندرك انها تتركنا في حدود دائرة المقاييس الكمية أو العددية.

ثم هنالك اصطلاح "الافادة القصوى" (Maximation) الذي يتعلق اما بربح رأس المال وأما بانتاج العمل. وهذا يعني في حقيقته زيادة الكفاية الانتاجية في اطار من الاستخدام الكامل للموارد. وهذا الاصطلاح بدوره عرضة لأن يؤدي الى تضييق نطاق القيم البشرية. وحتى نصلح من نقائص اصطلاح "الافادة القصوى" هذا نميل الآن الى استعمال اصطلاح "الافادة المثلى" أو "الفضلى" (Optimation) أو (Optimisation) . وانما نقترب من مفهوم التنمية الصحيح، من حيث نقوم بالتفتيش عن الفائدة المثلى وفي الوقت الذي نقدم فيه على ذلك. وفي الواقع ان الحصول على الفائدة المثلى لا يمكن ان يتم إذا لم يكن هناك تحسن في أحوال البشر من الناحية الانسانية.

★ ★ ★

ولذا فإنه سوف يتعين علينا ـ في مجال التنمية ـ أن نكيف الوسائل للوصول إلى الأهداف التي وضعناها نصب أعيننا. ولكي تكون التنمية تنمية حقيقية بالفعل يجب أن تكون متناسقة ومنسجمة بعضها مع البعض الآخر. وبعبارة اخرى لا يكفي أن نقوم بالتنمية في قطاع ما من قطاعات الاقتصاد، فلا يكفي أن نحسن الطرق، ولا يكفي أن نحسّن سكك الحديد، ولا يكفي ان نحسن الارض، ولا يكفي أن نحسّن الزراعة ولا يكفي أن نحسن قطاع الخدمات، ولا يكفي أن نحسّن التعليم الأبتدائي أو التعليم الثانوي أو التعليم العالي، ولا يكفي أن نحسّن مراكز البحوث العلمية الأساسية أو مراكز البحوث التطبيقية حتى تكون هناك تنمية، بل يجب أن نحقق كل هذه الأشياء في آن واحد.

فإذا تخلف سير التنمية في أحد هذه القطاعات، فسوف ينتهي الامر بالتنمية الى مواجهة ما لا يمكن اجتيازه من العراقيل والعقبات فينتج عن ذلك تباطؤ التنمية وربما توقفها تماماً. ولذلك يجب أن تتقدم التنميةً في جميع القطاعات، بما فيها من القطاعات الفنية ومناحي الحياة العامة، وذلك في تناسق وانسجام مما ينشأ وينمو على مر الزمن. ويجب أن يعتمد هذا التناسق على الامور القيمة التي ثبت صلاحها في الماضي بشرط التفتيش عن امور افضل في المستقبل. وعندئذ يمكن القول بان هنالك بعض الانسجام بين الوضع الراهن والأوضاع الماضية. ولن تكون التنمية ذات أثر باق أو تنمية حقيقية بالفعل إذا هي اقتصرت على وجود قوة دافعة من فوق، وانما يجب ان تكون نتيجة جهود المجتمع بكامله وأن يكون في تكوين هذا المجتمع ما يضمن استمرار التنمية باندفاع ذاتي. فاذا ما حددنا القضايا المنشودة وهيأنا الوسائل اللازمة أمكن لهذا المجتمع بكامله أن يتطور من نفسه ويسير قدماً بصورة متناسقة. ثم ان قوة الاندفاع الذاتي هذه يجب أن تصبح ـ عندما نصل الى مرحلة معينة ـ قوة للاصلاح الذاتي. وانه ليجب أن يكون في ردود الفعل التي تبدر من كل جماعة في وجه الجماعات الاخرى، وردود الفعل التي تبدر عن طبقات المجتمع فيما بينها، وردود الفعل التي

تصدر عن القوى المختلفة التي يواجهها المرء في المجتمع، ما يكفي لتصحيح الاخطاء التي ترتكب في سياق التنمية والتي لا مفر من ارتكابها.

★ ★ ★

٢ ـ الوضع في لبنان

لبنان بلد يكثر فيه عدد السكان وتتنوع فيه المناظر الطبيعية ايما تنوع. ولقد حدثتنا نفوسنا عندما بدأنا عملنا بأن "مساحة لبنان من الصفر بحيث يكون العمل يسيراً". ولكننا وجدنا انفسنا في الواقع نواجه من التعقيد المادي والبشري ما يحملني على الاعتقاد بأن لبنان اكثر تعقيداً من مجموع البرازيل حيث عملت عدة سنوات وحيث تبلغ المساحة ١٧ ضعفاً مساحة فرنسا. وهذا امر مهم للغاية لأن هذا التنوع يشكل ثروة في حد ذاته وهو أيضاً يعقد كثيراً من بعض المشكلات وخصوصاً مشكلات التنمية. ولبنان الذي يستمد تنوعه البالغ أيضاً من تعدد فئاته، هو احد الاقطار المعدودة في العالم قاطبة التي يمكن لأكبر عدد من النزعات المختلفة ان تعبر عن نفسها فيها، كما يشهد على ذلك تاريخه. فإذا نشأت فيه أمة واحدة بالرغم من الاختلاف الأساسي في العقائد السائدة وفي التقاليد، فإن ذلك من أعظم التجارب التي يمكن أن يمر بها هذا العالم. وان لبنان ليجد نفسه لذلك في مكانة فريدة، إذ ان هذا يجعل لنجاحه صدى عظيماً في العالم. ولبنان بلد لا يمكنه أن يعيش في ظل نظام الاكتفاء الذاتي (Autarcie). فان لبنان، بما هو عليه من مساحة وسكان، لا يمكنه إذا أراد أن يكتفي بانتاج موارده الحالية أن يتطور وينمو، ولذلك يجب بالضرورة أن ينفتح على العالم. ومن هنا أصبح لبنان احدى النقاط التي تركز فيها التوتر العالمي.

وهذا هو السبب في انه قد أصبح لقطاع الخدمات هذه الأهمية الكبرى في لبنان، ولقد اكتسب لبنان، بفضل انفتاحه على البحر المتوسط وكذلك على البحار جميعها، مكانة فريدة تماماً في مجموع التوازن العالمي لا تتناسب مع أهميته من حيث عدد السكان. ولبنان بلد حديث الاستقلال وهو في ممارسته لهذا الاستقلال قد لا يزال من بعض النواحي في طور التحسن. ولكنه يسعى إلى الاهتداء إلى الاجهزة الحكومية والأجهزة الادارية التي تضمن باطراد إمكان وجود هذا التعدد في فئاته وتحقيق تنميته في نفس الوقت.

ولبنان هو بوابة الشرق الاوسط بالنسبة الى الغرب وبوابة الغرب بالنسبة الى آسيا. فهو يقع بصورة مواتية في نقطة الاختلاط ـ إذا جاز التعبير ـ لأقسام هامة من سكان العالم.

يواجه قضية تنميته

هذه لبنان بعد المقدمة التي قد تكون طويلة بعض الشيء ولكنها بدت لي من الضرورة بمكان. سوف اتبع الخطة التي رسمتها لي وزارة التصميم، ولا أقول فرضتها علي لأنني تقبلتها طائعاً مختاراً ومن الامور الطبيعية أن تقوم وزارة التصميم بتخطيط ما ينبغي أن يتحدث عنه الخبراء تاركة لهم في نفس الوقت قسطاً عظيماً من الحرية. ولقد فرضت علينا ثلاث كلمات أو بالاحرى ثلاثة تعابير: "مستلزمات التنمية" و"امكانيات التنمية" و"احتمالات التنمية"، وقد وجدت أن هذه الخطة وافية بالغاية المنشودة ولذلك قبلت بهذا التقسيم.

أ ـ المستلزمات

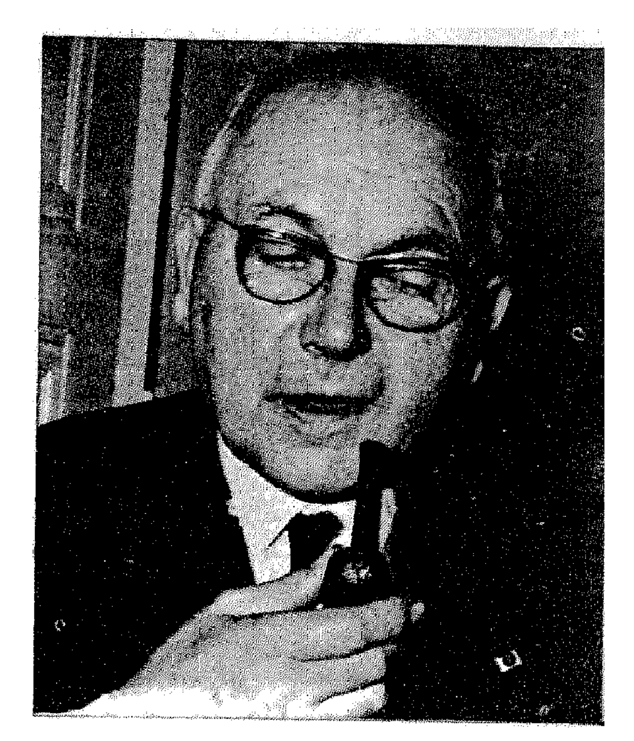
ان مستلزمات التنمية جد عديدة، ولا يسعني الا ان اختار منها عدداً محدوداً ثم احاول ان اضعها في ترتيبها المنطقي.

١ ـ في رأيي ان اول مستلزمات التنمية هو انها يجب ان تتجاوب مع نمو عدد السكان. ولا يمكن ان نعبر عن معدل تزايد عدد السكان بارقام دقيقة، غير ان الخبراء الذين عنوا بهذه المسألة قدروا انها تتراوح بين ٢،١ و٢،٥ في المائة في السنة.

والدراسات التي تمكنا من القيام بها بالاستعانة بالمعلومات المتيسرة تجعلنا نميل الى الظن بان معدل الزيادة يبلغ ٢،٣ في المائة في السنة، وهو معدل مساو لنظيره في اميركا اللاتينية. وهو ايضاً معدل مرتفع سوف ينتهي بلبنان الى تزايد متعاظم في عدد سكانه، بحيث يصبح عدد السكان بعد ١٥ سنة ٢،٤٠٠،٠٠٠ نتيجة للاسباب الطبيعية لتزايد السكان، بدلا من ١،٦٠٠،٠٠٠ نسمة هم سكانه الآن. ان واجبنا في مواجهة مثل هذه الزيادة في عدد السكان في خلال مثل هذا الوقت القصير هو احد هذه المستلزمات، ولا اقول انه يدعو الى الجزع ولكنه من المستلزمات الشاقة للغاية، لاسيما وانه لا يكفي ان نهيء للسكان المتزايدين مستوى الحياة الذي يعيش به السكان الحاليون، يجب ان ننجح في رفع مستوى حياة السواد الاعظم من السكان.

★ ★ ★

٢ ـ ولا يكفي ان نزيد الانتاج بمعدل ٢،٣ في المائة في السنة، اذ ان ذلك من شأنه ان يبقى السكان على حالتهم الراهنة. ان النتائج التي توصلنا اليها ـ وهي نتائج قابلة للتعديل ـ تهيء لنا منهجاً مثمراً نتتبعه. وانكم لتعرفون ان متوسط الدخل الوطني للفرد اللبناني يبلغ نحو ٣٠٠ دولار في السنة، وهو مستوى من الارتفاع بمكان، وهو في الواقع المستوى الصالح للبدء في التنمية. فالتنمية في العرف العام تبتدىء عندما يكون



متوسط الدخل الفردي ما بين ٤٥٠ ٣٠٠ دولار وهو رقم يدل على ان بلداً ما قد دخل في مرحلة التنمية. ولهذا فان لبنان الذي يبلغ متوسط دخل الفرد فيه الف ليرة لبنانية في السنة يجد نفسه في مكان ملائم. واننا اذا رحنا ننظر في توزيع مجموع الدخل الوطني بين فئات السكان المختلفة فاننا نتوصل تقريباً الى النتائج التالية التي نوردها هنا على أساس العائلة: حوالي ٩ في المائة من السكان يحصلون على أقل من ١٢٠٠ ليرة في السنة للعائلة الواحدة، وحوالي ٤١ في المائة من السكان يحصلون على ما بين ١٢٠٠و ٢٥٠٠ ليرة، وبذلك نتبين دخل ٥٠ في المائة من السكان.

ومن هنا نعلم أن نصف عدد السكان يتصرف بـ١٨،١ في المائة من الدخل الوطني. تذكروا هذه الارقام: ٥٠٪ من عدد السكان و١٨،١٪ من الدخل الوطني. وفي القسم الآخر نجد ان ٣٢٪ من السكان يحصلون على ما بين ٢٥٠٠ و٥٠٠٠ ليرة، وان ١٤٪ من السكان يحصلون على ما بين ٥٠٠٠ و١٥٠٠٠ ليرة وان ٤٪ يحصلون على ما يزيد على ١٥٠٠٠ ليرة، وبعبارة اخرى أن النصف الآخر من السكان يتصرف بـ٨١،٩ في المائة من الدخل الوطني. ومن هنا نجد انفسنا وجهاً لوجه أمام قضية في غاية الخطورة لا نستطيع أن نغمض اعيننا عنها. وانه لمن الجلي الواضح أنه لا غنى عن القيام بمجهود ضخم بالنسبة الى ذلك النصف من السكان الذي لا يتصرف الا بـ١٨،١٪ من الدخل الوطني. فاذا لم نفعل، يصبح من الواضح انه لا مفر من أن يؤدي انتشار التعليم إلى رد فعل بين السكان ينقلب الى عداء ومن ثم الى اضطرابات اجتماعية في غاية الخطورة.

ولقد حاولنا ونحن ننظر في هذا التباين في ظروف المعيشة ومستوياتها أن نحدد مكان فئات السكان المختلفة، الحضري.

ومن الواضح أنكم قد باعدتم في الشقة من حيث مستوى المعيشة بين الطبقات الاجتماعية، مما يمكن أن يصبح أمراً خطراً للغاية وغير إنساني في الوقت ذاته. ولذلك فان من الخطأ أن تقنعوا بزيادة الدخل الوطني بنسبة ٣،٢٪ في السنة. فان من الضروري الحصول على زيادة محسوسة في الدخل الوطني بحيث يمكن بالتأكيد لجميع طبقات السكان، وعلى الأخص المحرومة أن تستفيد وتجد لنفسها مستوى يليق حقاً بالانسان.

★ ★ ★

٣ ـ وحتى يزيد دخل الفرد (في خلال ١٥ سنة) نحو ٤٠ في المائة يجب ان يكون الحد الادنى للنمو في الدخل الوطني ٤،٧٥ في المائة في السنة. وهذا الحد الادنى قريب من النمو الحالي في لبنان ولقد كان النمو في لبنان في السنوات العشر الماضية في الواقع ٤،٤٪، فليس هذا أذن بالهدف الخيالي. غير ان النظر في هذا النمو في السنوات الأخيرة يبعث في النفس بعض القلق وذلك لان معدل النمو في الزراعة لم يتجاوز ١٪ وفي الصناعة ٣،٦ في المائة. فلقد جاء هذا النمو في معظمه من قطاع الخدمات حيث بلغ معدله ٧٪ ومن الادارة حيث كان ٨٪ ومن النقل حيث كان ١٠٪. وبعبارة أخرى، إن بنيان نموكم ـ وهو بنيان تجهيزي في جزء كبير منه ـ بنيان يمكن ان أقول أنه غير سليم. فهو ليس بذلك البنيان الذي يساعد على تحقيق هذا الارتفاع في مستوى معيشة الفئات المحرومة والطبقات المتوسطة من السكان.

ومن الواضح أننا إذ نقترح تحقيق هذا خلال خمس عشرة سنة فان علينا في الواقع ان نبحث في الامر على اساس ١٨ سنة، وذلك لاننا اذا ما بدأنا باعداد الوسائل اللازمة للوصول الى هذه الغاية المقترحة فسوف نحتاج الى فترة انطلاق يمكن تقديرها على وجه التقريب بثلاث سنوات. ولهذا فان البرنامج الذي يجب ان تضعوه امامكم لتحقيق هذه الزيادة يجب ان يمتد على ١٨ سنة. وعلى اساس ان عامل (Coefficient) رأس المال ربما كان ثلاثة ـ وهو ايضاً ما يجب ان نستعمله بمنتهى الحذر ـ فان ذلك يتطلب ان تستثمروا ١٤٪ من دخلكم. وليست نسبة ١٤٪ بالنسبة الهائلة. واذا كنتم تودون مضاعفة دخل الفرد خلال هذه المدة، فانه يجب عليكم ان تتوصلوا الى استثمار ٢٢٪ من دخلكم والى نمو بنسبة ٧،٣٪ في السنة. واني اعتقد انه يجب ان تضعوا اهدافكم ما بين هذين الحدين. اي انكم ما بين ٤،٧٥٪ و٧،٣٪ ـ حسب ما تكون الظروف اكثر او اقل مواتاة ـ تستطيعون في هذه الحالة ان تتوصلوا الى زيادة في دخل الفرد تتراوح بين ٤٠و٧٠ في المائة، وهذا يبدو



ممكناً اذا أحسن تصميم التنمية الفعلية واحسنت ادارتها • ويجب ان نستنتج من هذه الارقام – وهي ارقام تقريبية ولكنها تعطينا فكرة عما هو واقع وعما هو ممكن – ان من الضروري ان نعنى في نفس الوقت بالزراعة والصناعة ومجموع الخدمات ، لا الخدمات التجارية فحسب، بل الخدمات التي تستهدف رفعة الانسان بصورة مباشرة، الا وهي الخدمات الفكرية والثقافية والروحية • ولذلك فأن من الضروري أن ننظر الى جميع الحاجات العاجلة وجهاً لوجه •

★ ★ ★

٤ – وأولى هذه الحاجات العاجلة هي ان نواجه النمو في عدد السكان، والثانية هي ان نقلل من التفاوت بين مستويات المعيشة، والثالثة هي ان نسعى الى تعيين حد ادنى للنمو السنوي بقصد التوصل الى هذا الارتفاع في مستويات المعيشة بالنسبة الى السكان المتزايدين والرابعة هي تلك التي تختص باعطاء جميع موارد البلد قيمتها (mise en valeur) ، بما في ذلك الموارد الطبيعية وموارد التربة والموارد الجوفية والموارد البشرية • ولا يمكن لهذا أن يتحقق بطريقة ما في التوفيق بين هذين الاقتصادين المتباينين اللذين يتألف منهما الاقتصاد اللبناني في الوقت الحاضر •

★ ★ ★

٥ – ان النشاطات اللبنانية يوجهها الى حد كبير اقتصاد يتناهى وراء الحدود الوطنية، اقتصاد يقوم على الخدمات وعلى زراعة الفواكه وتصديرها • وأنتم هنا في الطليعة بالنسبة الى سائر العالم فكنتم بذلك السباقين • وهذا اقتصاد يتميز بصورة جلية واضحة عن الاقتصاد التقليدي • أما الاقتصاد الداخلي التقليدي في لبنان فهو مقصّر كثيراً من عدة نواح بالنسبة الى ما يمكن الوصول اليه وهذان الاقتصادان لم ينسق الواحد منهما مع الآخر حتى الآن، ولذلك فان عليكم ان تبحثوا عن كيفية اقامة بنيان اقتصادي يسمح باصلاح اوجه الاختلال هذه التي تؤدي الى البون الشاسع في مستويات المعيشة والى عجز في القوة الشرائية لدى الطبقات المحرومة • وان من هذا النقص في القوة الشرائية لدى الفئات الشعبية ان يؤدي الى تضاؤل التنمية الصناعية وانكماشها مما قد يعرض للخطر في يوم من الايام تنمية قطاع الخدمات أيضاً •

★ ★ ★

٦ – والسادس من المستلزمات هو الحد من نزوح السكان الى العاصمة • ان النمو الضخم في بيروت ، وتعدد الخدمات التي يمكن الحصول عليها فيها، والسهولة التي تهيئها وسائل النقل للوصول اليها، كل هذه الامور جعلت من بيروت لا مجرد عاصمة فحسب بل كذلك مركز الحياة بأسرها بالنسبة الى السكان • فبدلا من أن يتوقف السكان في المدن التي كانت فيما مضى صغيرة، اصبحوا يؤمون المدينة الكبيرة الزاهية حيث اخذوا يستقرون شيئاً فشيئاً • ومن الواضح اننا هنا أمام ظاهرة اجتماعية واقتصادية في منتهى الخطورة، اذ تصبح تكاليف المعيشة باهظة للغاية، وتنشأ طبقات اضافية من السكان يصعب تيسير التعليم لها كما يصعب توفير المستوى الانساني اللائق لها الذي وضعناه من قبل هدفاً لنا • وتترتب على ذلك مشكلات اجتماعية خطيرة • وسوف نرى بعد دقائق معدودة كيف يمكننا جزئياً على الاقل ان نعالج أمر هذا الاحتشاد من جانب سكان لبنان في العاصمة •

وانه ليجب أن ننظم هذين الاقتصادين بحيث يتم تأمين عمالة لمجموع السكان في قطاعي الزراعة والصناعة، وفي قطاع الخدمات أيضاً •

★ ★ ★

٧ – ايجاد عدد كبير من الاشغال: بالنظر الى نمو عدد السكان الذي سيتحول في خلال ١٥ او ١٦ سنة من ١،٦٠٠،٠٠٠ نسمة الى نحو ٢،٤٠٠،٠٠٠ نسمة، فانكم اذا لم تتخذوا من الآن الاحتياطات الضرورية التي تسمح بايجاد عمالة في الزراعة لعدد اكبر من الايدي العاملة وذلك عن طريق زيادة كثافة الزراعة (اي زيادة الاستفادة من نفس المساحة)، وكذلك ايجاد شغل في الصناعة لعدد اكبر من الأيدي العاملة وذلك عن طريق زيادة عدد المؤسسات الصناعية – إذ حيث تكون التنمية يكون نمو في الخدمات، وهو نمو قد يكون طفيلياً وقد يكون على النقيض من ذلك نافعاً في حد ذاته –



فإن الأمر سينتهي بلبنان إلى كارثة. فإنه إذا لم يكن هناك في هذه القطاعات الثلاثة امكانية لتشغيل عدد أكبر من الأيدي العاملة، فإنه سوف يتعين على السكان الذين تزايد عددهم أن يتقاسموا فيما بينهم موارد لم تنمُ بما فيه الكفاية، وبدلا من أن نقبل على فترة تنمية سوف ينتهي بنا الامر إلى التقهقر. والعمالة أو فرص العمل شيء لا يمكن ايجاده في النو او اللحظة، بل يجب أن يكون لدينا مخطط بعيد المدى يمكننا من أن نجد أشغالا للناشئة بمجرد بلوغهم سن العمل بحيث يستطيعون أن يعيشوا وأن يؤسسوا لأنفسهم اسراً جديدة.

وهذه مسألة يجب علينا أن نتصدى لها وجهاً فلا نكتفي بالاحتياطات والتدابير التي لا تغني عنا منذ الآن. ولقد كانت الهجرة الى الخارج حتى الآن بمثابة صمام، ولكن تزايد السكان لم يكن اذ ذاك بهذه السرعة. ولبنان قد حقق منذ ذلك الوقت تقدماً باهراً: فإني، وقد عشت فيه قبل اربعين سنة خلت، لأشهد بأن لبنان قد حقق هذا التقدم. لقد وثب لبنان في مضمار الصحة العامة وثبة كبيرة. وهذا هو السبب الذي أدى الى هذا النمو البالغ السرعة في عدد السكان.

★ ★ ★

٨ ـ التأهل الفني للمهاجرين: ستظل الهجرة من لبنان ضرورية ولكنه ليس من المحتم أن تبقى شروط الهجرة سهلة كما كانت عليه من قبل. وفي الايام الخالية كان في وسع أي لبناني على قسط من الذكاء، وإن كان غير متعلم، أن يذهب إلى أي جزء من العالم لينشيء لنفسه حياة جديدة هناك. وكان يجد استقبالا حسناً. كما انه بفضل حاسته التجارية غالباً ما كان ينجح في أن يوجد لنفسه وضعاً لا مقبولا فحسب بل ممتازاً.

ولذلك فأن هناك واجباً يقضي باعداد الافراد للهجرة التي هي من خصائصكم والتي تتلاءم مع طبائعكم الانسانية وهذا أمر جميل. فأنه أفضل بكثير أن يكون لدينا رجال يقدمون على ركوب المخاطر من أن يكون لدينا رجال يصرفون وقتهم بالتفكير في سلامتهم. وأن من شأن اتجاه جديد يقوم على اعداد المهاجرين فكرياً وثقافياً وفنياً أن يمكنهم من أن يسدوا الى البلاد التي يكونون فيها أقصى قدر ممكن من الخدمات، والا أصبحوا أشخاصاً غير مرغوب فيهم.

★ ★ ★

٩ ـ التعليم اللازم لهذه التنمية: وأخيراً، وعندما نتكلم عن التنمية فنحن انما نتكلم عن عدد من الاعمال التي يجب أن توضع موضع التنفيذ او من المشاريع التي يجب أن تحقق، مما يحتاج الى تدريب عدد من الناس واعدادهم لهذا الغرض. وسواء كان الامر يتعلق باعداد الناس أو باعدادهم للقيام بمشاريع داخل البلاد، فأن من المستحسن ان يوجه التعليم في مراحله الثلاث، وعلى صعيد التعليم العام وصعيد التعليم الفني على السواء، نحو المهمات الفعلية التي ينتظر من الناشئة في لبنان تحقيقها في مجرى حياتهم.

هذه هي مستلزمات التنمية مطروحة امامنا. وهي بحق مستلزمات جسام. فلا ينبغي لنا بحال من الاحوال ان نخطيء في تقديرها. إذ أن ما هو امامنا الآن ليس بالمشكلة السهلة، بل اننا نواجه مشكلة عسيرة. فما هي الامكانيات التي نواجه بها هذه المستلزمات؟ لكي نجيب على هذا السؤال دون الدخول في جميع التفصيلات، سوف نتفحص بسرعة امكانيات الزراعة وامكانيات الصناعة ثم مسألة الخدمات...

نحو تاريخ بدون تزييف...

الأمير فخر الدين الثاني بطلٌ وطني.. أم حاكم أراد البقاء؟!



■ الأمير فخر الدين يدخن الغليون في توسكانا.

رسالة من قارئ ورد من مدرس تاريخ عليها

من هو الامير فخر الدين الثاني المعني؟ هل هو وطني أم هو مجرد حاكم كان يريد أن يحافظ على حكمه ولو بالتعاون مع الاجنبي؟

هذا السؤال طرحوها يزال، وقد تعددت وجهات النظر في الاجابة عليه. واخيراً اثارته رسالة وردت الى "تاريخ العرب والعالم" تسأل عن التباين في النظرة الى الامير فخر الدين الثاني المعني بين كتب التاريخ التي تدرس في المدارس اللبنانية وبعض البحوث التاريخية التي تناولت تلك الفترة من تاريخ لبنان.

ولأن صورة الامير فخر الدين مشوهة الى هذا الحد في اذهان المواطن اللبناني والعربي، فقد عرضت "تاريخ العرب والعالم" الرسالة على أحد مدرسي التاريخ طالبة رأيه في الموضوع.

وهي هنا تنشر نص رسالة القارئ سامي الشامي ـ النبطية (لبنان الجنوبي) ورد مدرس التاريخ في ثانوية عمر بن الخطاب ـ بيروت الاستاذ محيي الدين قدورة ـ ماجستير في التاريخ.

وتفتح "تاريخ العرب والعالم " صفحاتها لكل وجهة نظر او واقعة تاريخية تزيل اللبس عن شخصية الامير فخر الدين، وصولا الى اعادة كتابة التاريخ ـ شعار المجلة ـ وتنقيته من كل الشوائب التي تعتريه.

نص الرسالة

ترتسم في أذهاننا ومنذ الصغر، صورة للامير فخر الدين الثاني كبطل وطني حاول أن يوحد لبنان ويخلصه من ربقة الاستعمار والتبعية العثمانية، صورة ما كانت لتتزعزع لولا قراءتي لاحد المصادر التي كتبها احد العامليين بعدها ارجو محاكمة هذا الامير الشوفي، فاما أن يكون ويظل بطلا، واما ان يكون متعاملا مع الاجنبي؟

واليكم مقاطع من كتاب "للبحث عن تاريخنافي لبنان" للمؤلف الشيخ علي الزين - الطبعة الاولى سنة ١٩٧٣م عدد صفحاته ٦٠٧ تحت عنوان "الظروف الدولية" صفحة ٤٣٨ - ٤٣٩ يورد ما يأتي:

"ومما يشعرنا بملاءمةالظروف لمحاولاتفخر الدين ما تضمنته رسالة محفوظة منه الى البابا يحثه فيها على السعي للاستيلاء على الاراضي المقدسة، ويؤكد له ان الوقت مناسب لان الفوضى ضاربة اطنابها في البلاد العثمانية والضعف باد عليها، وعرض فيها الامير على البابا أن يذهب بنفسه الى رومية ليتولى تنظيم هذه الحملة".

ثم في رسالة الى نائب ملك اسبانيا يقول "وان سألتم عنا فاننا لا نتغير لان قلبنا واحد ونيتنا واحدة". تحت عنوان "ماذا وراء المساعدات الغربية لامير الشوف" يورد في ص ٤٤٢ :

"أمن الصحيح ان حكام الغرب وملوكه قد عضدوا الامير فخر الدين وامدوه بالمساعدات المعنوية والمادية وبالسلاح والعتاد، وبالخبراء والقادة لمجرد انه كان ضد الدولة العثمانية؟ او لانه كان يسعى لتحرير لبنان من النفوذ الاجنبي؟ ام انهم عضدوه وساعدوه بكل ما يستطاع لكي يعيد الاراضي المقدسة الى الصليبيين ويستبدل مستعمراً بمستعمر ثم يكون بالتالي تحت حماية الاسياد الجدد ؟؟".

ثم يورد مقطعاً "أمن الوطنية اعادة الحروب الصليبية الى البلاد؟" ص٤٤٢

ثم يشكك ببطولته في معركة عنجر ويتهم فخر الدين بالتآمر والمراوغة (ص ٤٤٥) وما يليها.

هذا بعض من كثير من الاتهامات، وان كان كما يورد المؤرخ الزين حال فخر الدين فنكون في مدارسنا ومؤسساتنا التعليمية العالية نصنع التاريخ وننسج صوراً لابطال غير حقيقيين. ارجو الرد ولكم الشكر.

سامي الشامي - النبطية

نص الرد

لقد قرأت رسالتك وشغفت بما جاء فيها من تساؤل، يدور حول تشككك بوطنية الامير فخر الدين الثاني بعد اطلاعك على كتاب للشيخ علي الزين يحمل العنوان التالي: "للبحث عن تاريخنا في لبنان".

بناء على ذلك اخبرك بأنني قد تمعنت بقراءة مقتطفاتذلك الكتاب من خلال ما ورد منها في سياق رسالتك وتوصلت الى اقتناع يؤكد بأن شكك كان في محله مستنداً في ذلك الى ما عندي من حقائق تاريخية بالاضافة الى ما جاء في كتاب الشيخ علي الزين السالف الذكر.

اما بالنسبة لمطالبتك بمحاكمة هذا الامير الشوفي فهذا حق لك كما هو واجب علينا في الوقت نفسه كممثلين للطليعة العربية المثقفة ان نميط اللثام عن المخفيمن سياسة الامير فخر الدين الثاني كي يتسنى للقارئ العربي بصفة عامة واللبناني بصفة خاصة تكوين فكرة صحيحة عن تلك الشخصية، خالية من التبجيلوالتعظيم الزائفين.

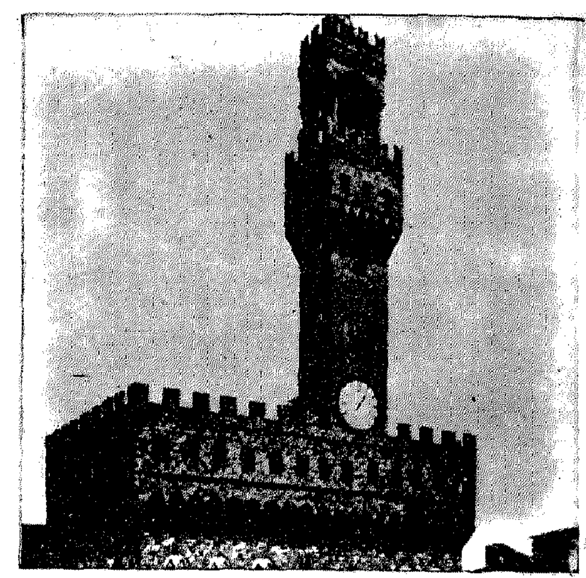
ان هذه المنطقة العربية قد نكبت بزعامات اقطاعية - منذ القرون الوسطى - كان همها الاول والاخير التفرد بالسلطة والجاه والتضحية في سبيلهما بكل غال ورخيص.

كما ان المحافظة على تلك الامتيازات المتوارثة كانت تدفع بتلك الزعامات للتعامل مع الشيطان متخذة من فلسفة "الغاية تبرر الوسيلة" مبدأ اساسياً تعتمد عليه لتحقيق مآربها.

هذه الاشياء تظهر لنا بوضوح في الصراع الدموي الذي حدث بين الامير فخر الدين الثاني وزعامات الحزب اليمني بالاضافة الى الصراعات التي حدثت فيما بعد بين الامراء الشهابيين وخصومهم من اليمنيين والقيسيين.

لكن الصراع عندما كان يحصل بين اي امير اقطاعي والدولة العثمانية كان هذا الامير او الوالي يستعين بقوى خارجية او اجنبية لتدعمه ضد الاستانة، لكن الدعم الاجنبي لم يكن ليتحقق الا اذا حصل توافق في المصلحة بين الفريقين الداعم منهما والمدعوم كي يتسنى لكل منهما تحقيق غاياته المرجوه متكافلين متضامنين حتىاتمام الصفقة.

. اما الشواهد التاريخية على ذلك فكثيرة ومنها: تحالف الامير بشير الثاني مع محمد علي والي مصر وتعاون محمد علي مع فرنسا ضد الدولة العثمانية لقاء تحقيق منافع مشتركة لا يسمح لنا المجال بذكرها.



كما ان ظاهر العمر تعاون مع الاسطول الروسي ضد العثمانيين متمثلين بولاتهم في صيدا وبيروت...

اما فخر الدين الثاني فقد اختلف عن بشير الشهابي ومحمد علي وظاهر العمر في هذا الامر حيث انه كان على استعداد لتقديم الدعم اللازم لاية حملة تقوم بها الدول الاوروبية لاسترجاع بيت المقدس بعد ان تكون تلك الدول قد بادرت بمساعدة الامير في تثبيت حكمه وسلطانه في امارته.

بالاضافة الى ذلك فان الامير فخر الدين لم يكن ليكتفي بتقديم المساعدة اللازمة للدول الاوروبية كيما تحقق اطماعها في المشرق العربي فحسب بل لقد كان يقوم بتحريض اوروبا وعلى رأسها البابا للاسراع في التحرك للوصول الى الاهداف المشتركة كي يأمن الامير على نفسه وسلطانه من دسائس الدولة العثمانية وولاتها في المشرق العربي ودليلنا على ذلك ايفاد فخر الدين ١٦١١م "للمطران جرجس بن مارون الاهدني" الى قورما الثاني امير توسكانة والى البابا بولس الخامس وذلك لتجديد التحالف مع كل منهما ولحثهما على الاسراع في خطى المؤامرة الآنفة الذكر ولو ادى به الامر الى مقايضة السيطرة العثمانية باستعمار اوروبي صليبي جديد ضارباً بعرض الحائط مصالح ابناء قومه ووطنه. وهناك امثلة حية لا زالت احداثها جارية الى يومنا هذا وتمثل صورة قريبة للاحداث البعيدة التي عاشتها منطقتنا العربية.

ان عقلية الحاكم الاقطاعي هي عقلية السياسي والتاجر نفسها حيث ان كلا منهم يزايد ويتاجر بمصالح ابناء قومه وعشيرته وامته تأميناً لمصلحته الذاتية. فلا عجب اذن ان يفعل فخر الدين ما فعله؛ ولكن الشيء الذي يثيرنا هو تغاضي المؤرخين عن ذلك ورفع فئة من المؤرخين اللبنانيين لهذه الشخصية المعنية الى مصاف رجالات العالم العظماء والمشهورين في التاريخ. كما ان معظم المراجع التاريخية واللبنانية منها على وجه الخصوص اعتبرت فخر الدين "مثالا" للوطنية والبطولة والرجولة يحتذى به.

ان النفوذ الاجنبي بدأ يتغلغل عميقاً في تربة منطقتنا منذ عهد فخر الدين الثاني وذلك عن طريق الجواسيس الاوروبيين المتخفين بثياب التجار والبعثات التبشيرية والتعليمية والقنصلية التي اتت لدراسة احوال المشرق العربي واصطناع العملاء - مستخدمين مختلف الطرق والوسائل المغرية - تمهيداً للانقضاض على المنطقة وابتلاعها طمعاً بموقعها الاستراتيجي وغناها المادي.

وعلينا الا ننسى المحالفة التي عقدت ١٦٠٨م بين الامير فخر الدين الثاني وامارة توسكانة والتي كان القصد منها التآمر على اقتسام المشرق العربي بين الدول الاوروبية المتمثلة بالتحالف التوسكاني - الاسباني - البابوي نظير تثبيت فخر الدين في امارته التي طرد منها فيما بعد على ايدي العثمانيين وذلك بعد انكشاف تحالفه واتصاله بدول اوروبا ضد الباب العالي. هذه الاتصالات التي قام بها فخر الدين مع دول اوروبا ضد الدولة العثمانية استمرت نيرانها متأججة فترة امتدت منذ عقد المحالفة المعنية - التوسكانية ١٦٠٨م الى عام ١٦٥٣ حين اعدم الامير فخر الدين في الاستانة بسبب استمراره في الاتصال بدول اوروبا الآنفة الذكر كيما تنفذ ما اتفق عليه بين الفرقاء المعنيين منذ اكثر من ربع قرن.

منها:

أ - كانت الدولة العثمانية تتمتع بقوة عسكريةلا بأس بها.

ب - تغير موازين القوى الدولية.

جـ - صدور العفو العثماني عن الامير فخر الدين وعودته.

د - تخوف التحالف الاوروبي السالف الذكر من ردات فعل تؤدي الى نشوب حروب دينية شبيهة بسابقتها التي حدثت بين اواخر القرنين الحادي عشر والثالث عشر.

هـ - ضعف قوة البابا العسكرية والسياسية كان له الاثر الكبير في عدم محاولته استعادة الاراضي المقدسة.

ارجو ن اكون قد اجبت على التساؤلات التي طرحت والتي لآمل ان نقوم في المستقبل بالتعاون مع بعض الاخوة المطلعين على تاريخ منطقتنا بمحاكمة هذا الامير الشوفي على صفحات "تاريخ العرب والعالم" خدمة للحقيقة التاريخية المجردة عن كل غاية تمهيداً لاصدار حكم عادل بحق الامير فخر الدين الثاني.

محي الدين قدورة



■ -اناء الوركاء (شكل - ١)

الآثار العراقية

من اقدم الازمنة حتى العهد الكلداني

د . ديمتري براميكي

يقول المؤرخ الشهير هيرودوت نقلا عن العالم هيكناتيوس ان مصر هبة من النيل، وهذا التعبير ينطبق تماما على العراق، فالعراق هبة من الفرات ودجلة اذ لولا هذين النهرين لكان العراق خليجا ومستنقعات، فالرواسب التي كان يحملها الرافدان كونت العراق وما فتىء هذان النهران بعد ذلك يرويان ارضها ويجددان تربتها الخصبة سنويا.

■ في العصر الحجري القديم لم يكن العراق مأهولا سوى من بعض المغاور في سفوح الجبال في منطقة شاندار، وفي الالف السادس قبل الميلاد عندما بدأ جفاف مستنقعات العراق الشمالي نشأت بعض القرى مثل جارمو وحسونة وسامرا وتل حلف وتل أربجية واخذت هذه القرى تتعاطى الزراعة وتدجين الحيوانات وتصنع الخزف بالايدي كما أن اهلها كانوا يسكنون الاكواخ المبنية من اللبن على اساسات من حجارة الحقول.

وفي اوائل الألف الرابع قبل الميلاد عندما جفت بعض المستنقعات في جنوب العراق هبطت اقوام من اعالي الجبال وحطت في سهول جنوب العراق في اماكن مثل تل العبيد والوركاء وجمدة نصر حيث اقاموا اكواخا من القصب والطين وتعاطوا الزراعة وتدجين الحيوانات وصناعة النسيج وسلال القصب وصناعة الخزف اولا على الايدي ثم على الدولاب، وفي عهد الوركاء اي حوالي ٣٢٠٠ق.م. ظهرت الاختام الاسطوانية المصنوعة من الحجارة لاول مرة في العراق وبقيت تستعمل حتى العصر الكلداني، كانت هذه الاختام مزخرفة بالاشخاص في بادىء الامر ولكن في اواخر عهد جمدة نصر اي حوالي ٢٨٠٠ق.م. ظهرت الاختام المزخرفة باشكال نباتية أو هندسية متكررة والتي اصبحت معروفة ببروكاد.

وفجأة في اوائل الالف الثالث قبل الميلاد ظهرت المدن المحصنة باسوار منيعة واقيمت المعابد والقصور الفخمة، من هذه المدن مدينة اوروك (الوركاء حاليا) ومدينة اور ومدينة اريدو ومدينة لبحش وغيرها من المدن السومرية. وكان الاهلون يعتقدون ان الالهة هي التي أسست هذه المدن وانها جعلت من الكهنة وكلاء عنها، فاستغل الكهنة هذا الاعتقاد واخذوا يحكمون المدن السومرية باسم الآله ويتحكمون فيها كما يشاؤون.

العصر السومري

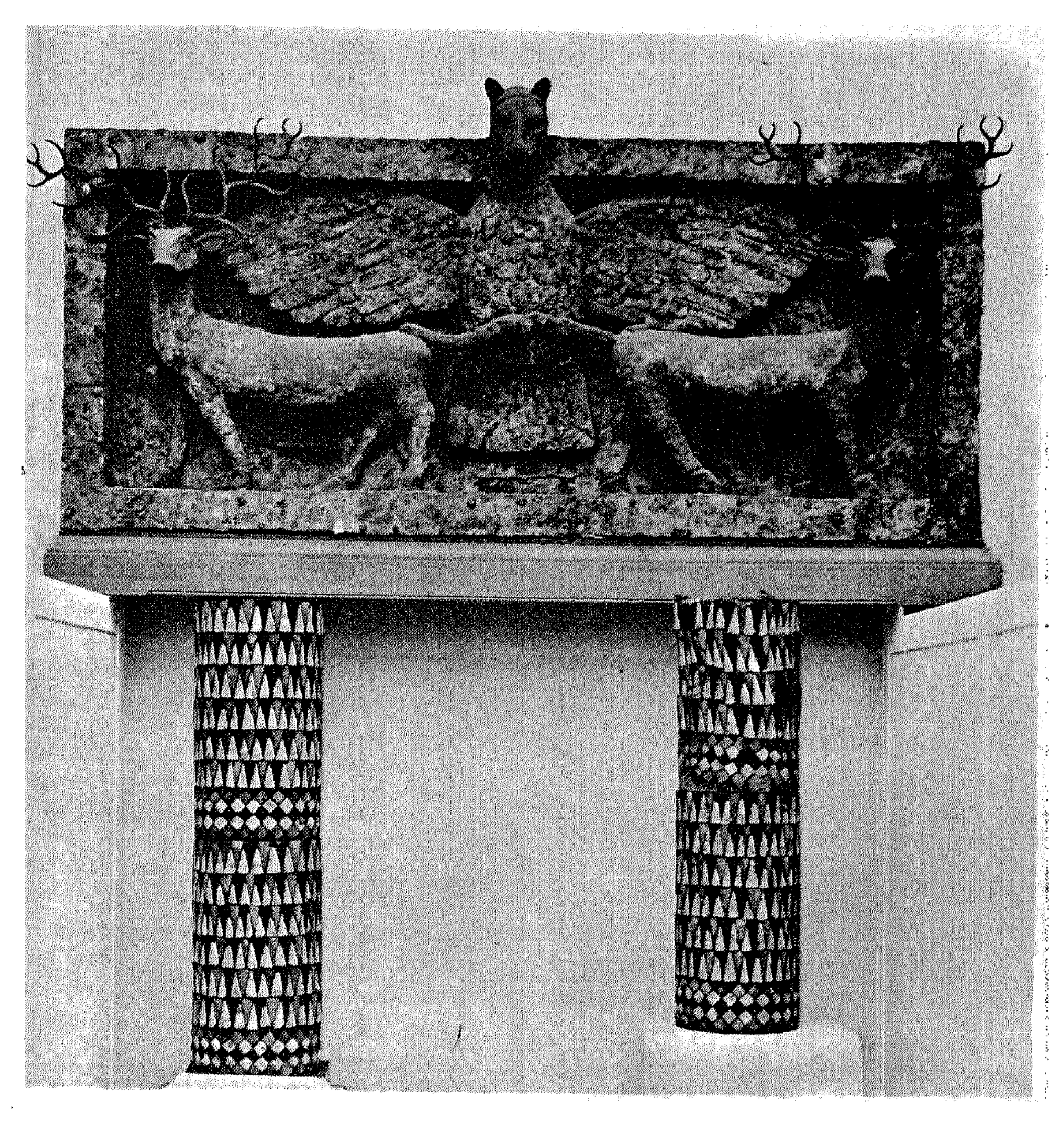
من ميزات العصر السومري (٣٠٠٠ – ٢٤٠٠ق.م.) ازدهار الفن بتشجيع من الكهنة، فمعتقدات السومريين وطقوسهم الدينية حفزتهم لممارسة الفن التمثيلي، مثال على ذلك الجرة المصنوعة من الالبسطر والتي وجدت في اوروك



■ – رأس امرأة من الالف الثالث (شكل – ٢)

فهذه منحوتة برموز دينية تمثل الآلهة اننا اوشتار تتقبل القرابين من كهنة عراة (شكل ١) كما وجد ايضا رأس امرأة منحوت بالمرمر الشفاف (شكل ٢).

وقد تفنن السومريون بصنع الاختام الاسطوانية وحفرها حفرا دقيقا ناعماً بمشاهد ولائم او مشاهد صراع بين البطل جلجامش ورفيقه انكيدو من جهة والاسود والثيران البرية من جهة اخرى بدلا من الاختام الاسطوانية التي الفناها في عهد جمدة نصر، وكذلك ابدع السومريون في صناعة التماثيل من المعادن وجعل المعادن اداة لفنهم، ومثالا على ذلك وجد في معبد نينخور ساج تمثال نسر مزود برأس اسد فارشا جناحيه فوق غزالين ويقبض عليهما بمخالبه (شكل ٣)، ووجد في تل اسمر وفي خفاجه وفي ماري عدد كبير من التماثيل المصنوعة من الالبسطر تمثل اشخاصا بلحى او بدونها مكتوفي الايدي وهم يقفون وقفة وقار تقليدية (شكل ٤).



■ – ام دوجود (شكل – ٣)

ومن اهم الانصاب التي ترقى الى هذا العهد نصب اقامة اينادو ملك لبحش تذكارا لانتصاره على مدينة اما . وهذا النصب محفور على الوجه والخلف . اما الوجه فمقسم الى ثلاثة اقسام . فالقسم الاعلى مشهد للملك اينادو ماشيا على رهط من رجاله المدججين بالسلاح يمشون فوق جثث القتلى من الاعداء وامامه عقبان تنهش جثث القتلى من مدينة اما . وفي القسم الثاني يسير الملك في عربة حربية وهو يقود جنوده الى الامام بينما الاعداء ينهزمون ويرجعون متقهقرين . والقسم الثالث والاخير منقوش بمشاهد لدفن الموتى من جنود لبحش بحفاوة بالغة بينما الملك اينادو يصب فوقهم العطور ويقدم ثورا قربانا عن أرواحهم . وعلى الجانب الخلفي من النصب نشاهد في القسم الاعلى الآله نين خورساج اله مدينة لبحش يمسك بشبكة تحتوي على الاسرى من جيوش مدينة اما (شكل ٥) وعلى القسم الادنى من النصب يظهر الآله ذاته راكبا عربة حربية يؤازر جيوش مدينة لبحش .

مقبرة الملوك

ومن آثار العهد تمثال جميل للملك انتمينا ملك مدينة لبحش يلبس ثوبا قصيرا ويداه مكتوفتان على صدره بحالة من الورع والتقى كما عثر على

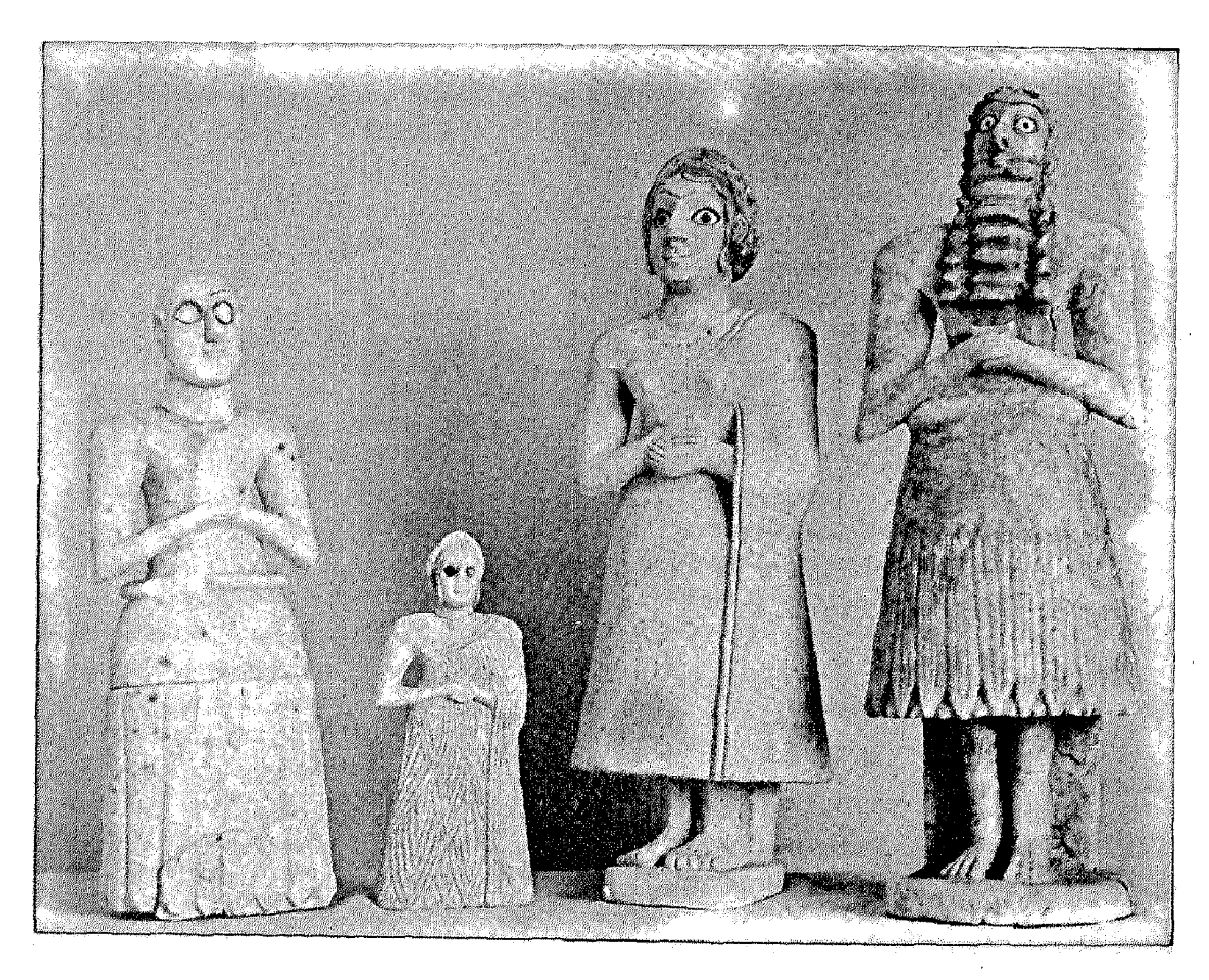
اناء فضي فوق قاعدة من النحاس ترقى الى العصر نفسه. والاناء محفور بنسر له رأس اسد في وسطه وتحت اجنحته غزالان. يذكرنا هذا الرسم بالنحت الذي وجد في معبد نين خورساج في تل العبيد والذي ذكرناه آنفا. والكتابة في اعلى الاناء تذكر ان الاناء تقدمة من الملك انتمينا الى الآله نين خورساج اله المدينة.

وفي مقبرة الملوك التي وجدت في مدينة اور عثر على اثار مدهشة منها رأس ثور مصنوع من الذهب والحجر اللازردي والخشب الذي يزين قيثارة موسيقية كما عثر ايضا على خنجر مصنوع من الذهب له بيت مزخرف بثقوب تصنع اشكالا هندسية بالطريقة المعروفة بالقلجري كما أن هناك خراباً وطاسات مصنوعة من الذهب الخالص وعثر في ذات المكان على خوذة الملك مس كلام دوج المزخرفة باشكال تشبه جلد السمك. ومن اهم محتويات هذه المقبرة جدي مصنوع من الذهب والحجر اللازردي وهو يتسلق على شجرة صغيرة ويقف فوق قاعدة مزخرفة بالمربعات على شكل الفسيفساء (شكل ٦).

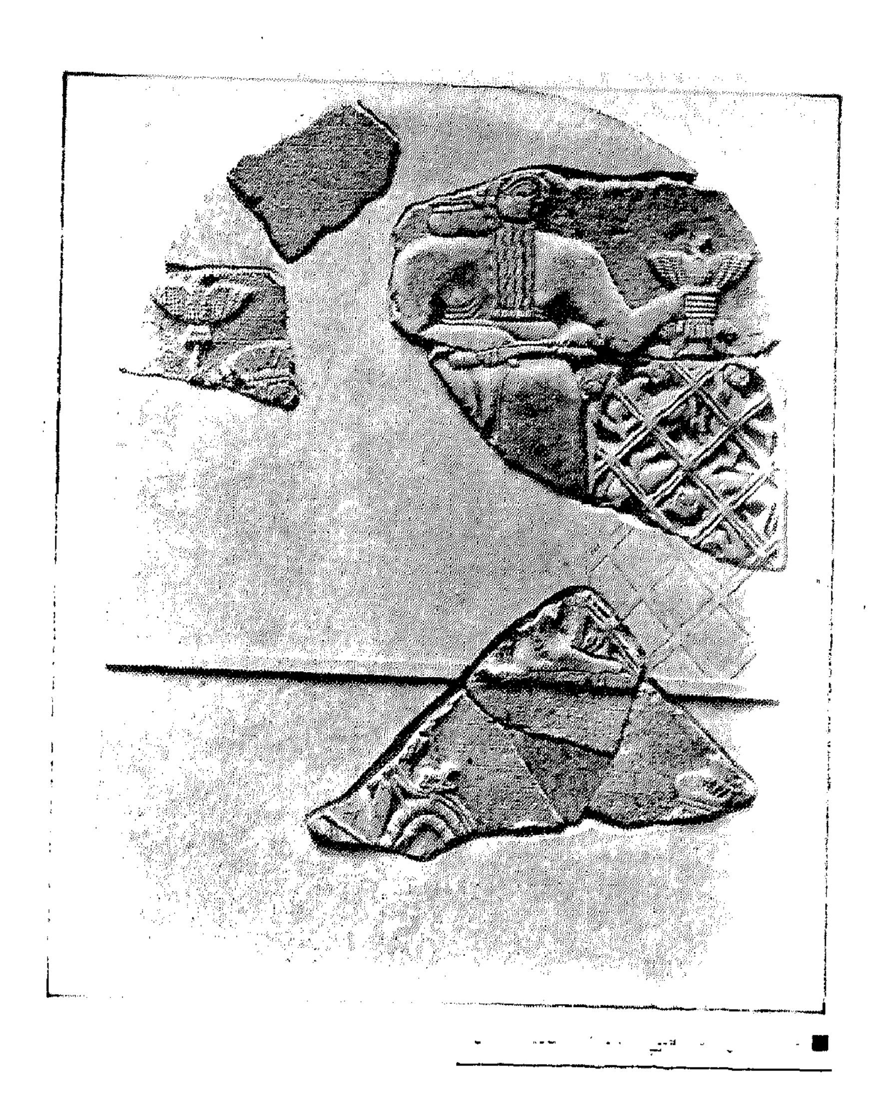
واقام السومريون الزاقورات التى كانت تستعمل كمعابد ومراصد في الوقت اذ برع الكهنة السومريون في علم الفلك ورصد الكواكب واستعملوا هذا الالمام للسيطرة على الشعب الجاهل. وفي فن البناء استعمل السومريون القوس والعقد والقبة كما ظهر جليا في المقبرة الملكية في مدينة اور كما أنهم استعملوا الاعمدة المبنية من اللبن والمغشاة بالفسيفساء المتعددة الالوان كما حصل في المعبد الابيض الذي وجد في مدينة الوركاء.

انواع الطوب

وفي زمن الاسر القديمة ما بين ٣٠٠٠و٢٤٠٠ق.م. درج استعمال الطوب المحدودب وكانوا يطلون الحيطان من الداخل بالالوان المتعددة ويستعملون صور الحيوانات كما نشاهد في تل عقير.



■ – تماثيل من تل اسمر شكل – ١٤



وفي معبد اقامه آبي بدا ملك مدينة اور استعمل الطوب المشوي في المداميك السفلى واللبن في المداميك العليا وكانت جدران المعبد من الخارج مدعمة بالركائز المائلة.

اقيم هذا المعبد فوق مصطبة يصعد اليه بدرجات من الحجر الكلسي وجدرانه مغشاة بالخشب. يؤدي الدرج الى مدخل المعبد وامامه رواق يرتكز سقفه على اعمدة من جذوع النخيل المكسوة بالنحاس. والباب قائم وسط مقدمتي اسود واقيمت على عضادتي الباب اعمدة من جذوع النخيل يكسوها موزاييك بالحجارة السوداء والحمراء وبالصدف ملصّقة كلها بعضها ببعض بالقار. وفوق الباب النسر ام دوجود الذي ذكرناه آنفا. وفي اسفل حائط المعبد صف من تماثيل الثيران بشكل اسود مصنوعة من الخشب ومكسوة بالنحاس وملصقة بالقار. وخلف صف الثيران كان الحائط مزخرفا بالمخاريط المصنوعة من الطين المشوي ومرصوصة باللبن. وهذه المخاريط مصفوفة بشكل الازهار ومزخرفة بالحجارة الحمراء والبيضاء والسوداء ومربوطة بالمخاريط باسلاك النحاس وملصوقة بالقار. وفوق الازهار يوجد افريز من العجول مصنوع من النحاس وفوقه افريز اخر يمثل ماشية الآله نين خورساج من بقر وعجول وماعز. ومشهد لحلب البقر وكهنة يجمعون الحليب وثور برأس رجل واله الطيور زو. والتماثيل مصورة على ارضية من الموزاييك من الحجر الاسود. ويعلو كل هذا افريز آخر مزخرف بالعصافير والحمام كلها مصنوعة من الحجر الكلسي على ارضية سوداء ضمن اطار من النحاس.

اساليب جديدة

وفي اواخر عصر الاسر القديمة اي حوالي سنة ٢٤٠٠ق.م. حاول الفنانون السومريون التخلص من التقاليد القديمة وابداع اساليب جديدة في الفن. ففي مدينة ماري ابتدعت اساليب حيوية في النقش فتمثال ابي هيل (شكل ٧) مثلا يرمز الى رجل ذي جلال ووقار كما أن تمثال أورنفشه الخادم يوحي

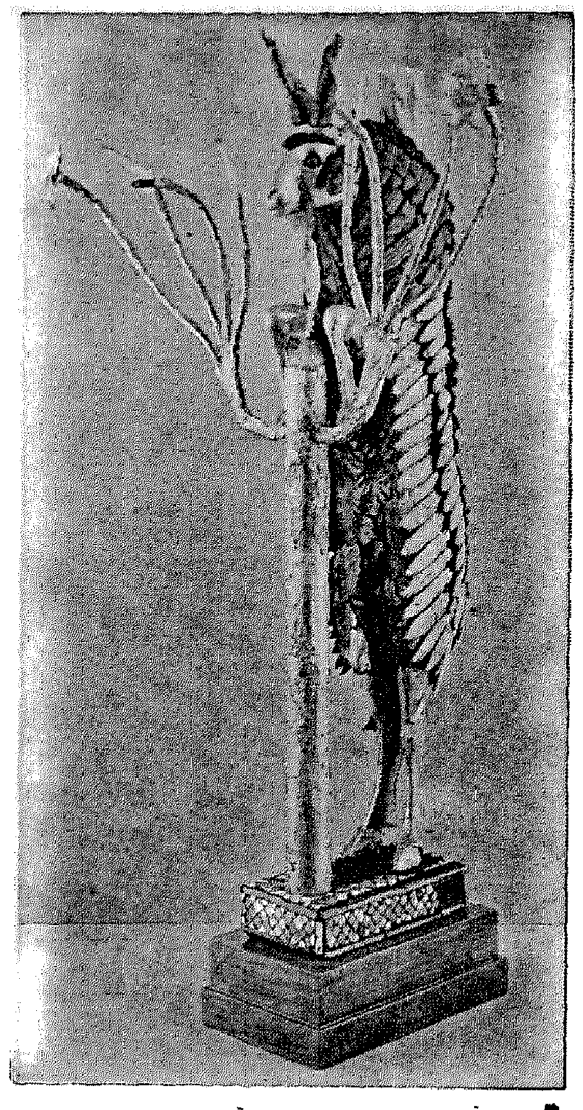
بالحيوية والواقعية. ويمكن قول الشيء ذاته عن التماثيل المصنوعة من البرونز. وقدوجد في تل اسمر تمثال امرأة عارية يبرز فيه تناسق اعضاء جسمها كما وجد في خفاجه تمثال مزدوج يمثل متصارعين يحملان الجرار على رأسيهما.

كما أن الفنان السومري ابدع بصنع تماثيل الحيوانات واستعمل طرقا عديدة في هذا المضمار مثل الضرب بالمطرقة والصنع في القوالب وطريقة الشمع المفقود. كما ابدع في صنع الحلي والمجوهرات بذات الطرق وترصيعها بالحجارة الكريمة واستعمال الحبات الصغيرة من الذهب وطريقة الفلجري. وبرع السومريون باستخدام الصدف كآلة للزينة فحضروه وملأوه بالمعجون الاحمر والاسود. واللوحات المصنوعة على هذا الشكل كانت تستعمل في صنع العلب والصناديق الصغيرة وعلى موائد اللعب وعلى الآت الموسيقى كالقيثارة وغيرها.

علم أور الشهير

ومن اهم دروب هذا اللون من الفن علم اور الشهير. وهو كناية عن لوح من الخشب يبلغ طوله ٥٤ سنتمترا وعلوه ٢٣ سنتمترا وهو مرصع بالفسيفساء على الجانبين ربما رفع هذا العلم في الحفلات والمواكب الدينية. اما الخشب فاندثر وتلاشى ولكن القطع المرصعة وجدت في مكانها الاصلي واقعة على الارض وهكذا تمكن العلماء من اعادة تركيبها. فالعلم مصور على الجهتين: جهة تمثل الحرب وجهة تمثل السلم. وكل جهة مكونة من ثلاثة صفوف الواحد فوق الاخر. والاشخاص على الصور مصنوعة من الصدف ومرصعة فوق ارضية من الحجر اللازردي. ففي الصف الاول من الجانب الذي يمثل الحرب يقف الملك نازلا من عربته الحربية امام جنوده الذين يجلبون الاسرى العراة من الاعداء وايديهم مقيدة خلف ظهورهم. وفي الصف الثاني يسير رهط من الجيش الملكي وهم يعتمرون الخوذ النحاسة ويلبسون الاثواب الطويلة ويحملون البلطات الحربية تسير امامهم المشاة بدون اثواب ويحاربون بالفؤوس والرماح القصيرة.

وفي الصف الثالث العربات الحربية وفيها حملة الرماح الطويلة يجرون العربات والحيوانات المطاردة فوق جثث قتلى الحرب من الاعداء. وعلى الوجه الآخر من العلم مشهد وليمة يظهر فيها الملك وحاشيته جالسين في وليمة بينما يعزف لهم الموسيقيون على الاتهم النافخة. وفي الصف الثاني الخدم يجلبون الطعام والشراب وفي الصف الثالث خدم آخرون يحملون الغنيمة التي غنمها الملك في الحرب من اعدائه.

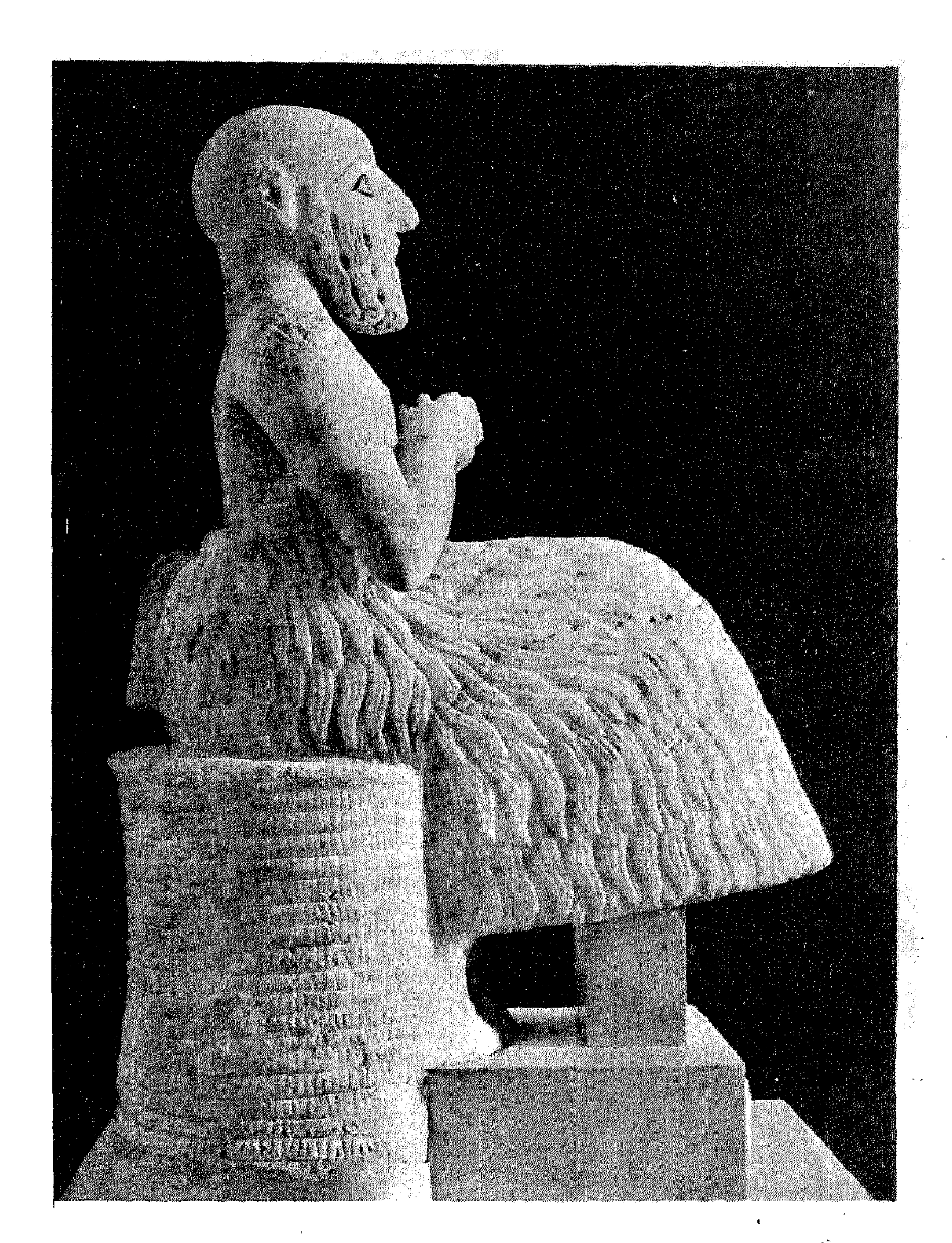


■ ...ـقي يـ... ـ... ٦

وفي زمن الاسرة الاكديه اخذ النحت لونا واقعيا اكثر فاكثر كما نرى في النصب الذي اقامه الملك نارام سين ذكرى لانتصاره على اعدائه من سكان الجبال بمؤازرة اله الشمس. (شكل ٨) ومن اهم الاثار التي ترقي الى هذه الاسرة راس الملك سرجون المصنوع من البرونز (شكل ٩).

وعند ظهور اسرة مدينة اورالثالثةالسومرية تعود الاساليب الى ما كانت عليه قبل الاسرة الاكدية انما تتأثر بحيوية وواقعية الفن الاكدي. ففي نصب اقامة الملك اورغو يظهر الملك وهو يقدم القرابين السائلة الى آله القمر ننار (شكل ١٠). ومن عصر الكاهن جوديا وصلنا عدد كبير من التماثيل (شكل ١١) يضع فيها الكاهن يديه على صدره وهما مكتوفتان بحالة الورع بدلا من الحيوية التي عهدناها من قبل.

وفي زمن الاسرة البابلية ازدهر الفن ثانية وعادت اليه حيويته ففي رأس الملك حمورابي (شكل ١٢) تعود الانطباعية الى سابق عهدها في



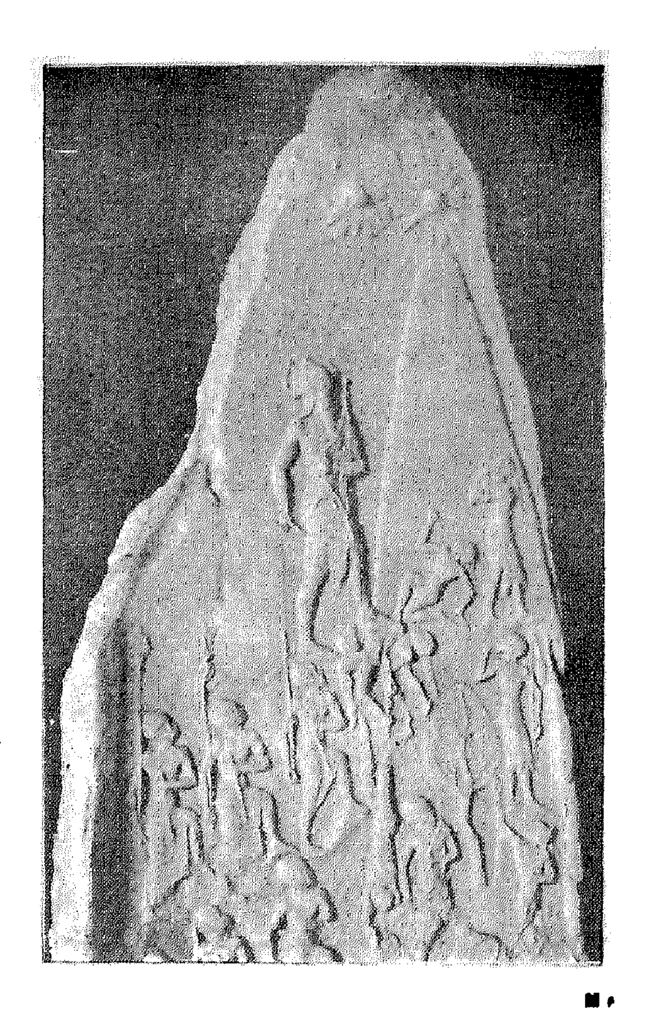
■ - تمثال ابي ميل. (شكل - ٧)

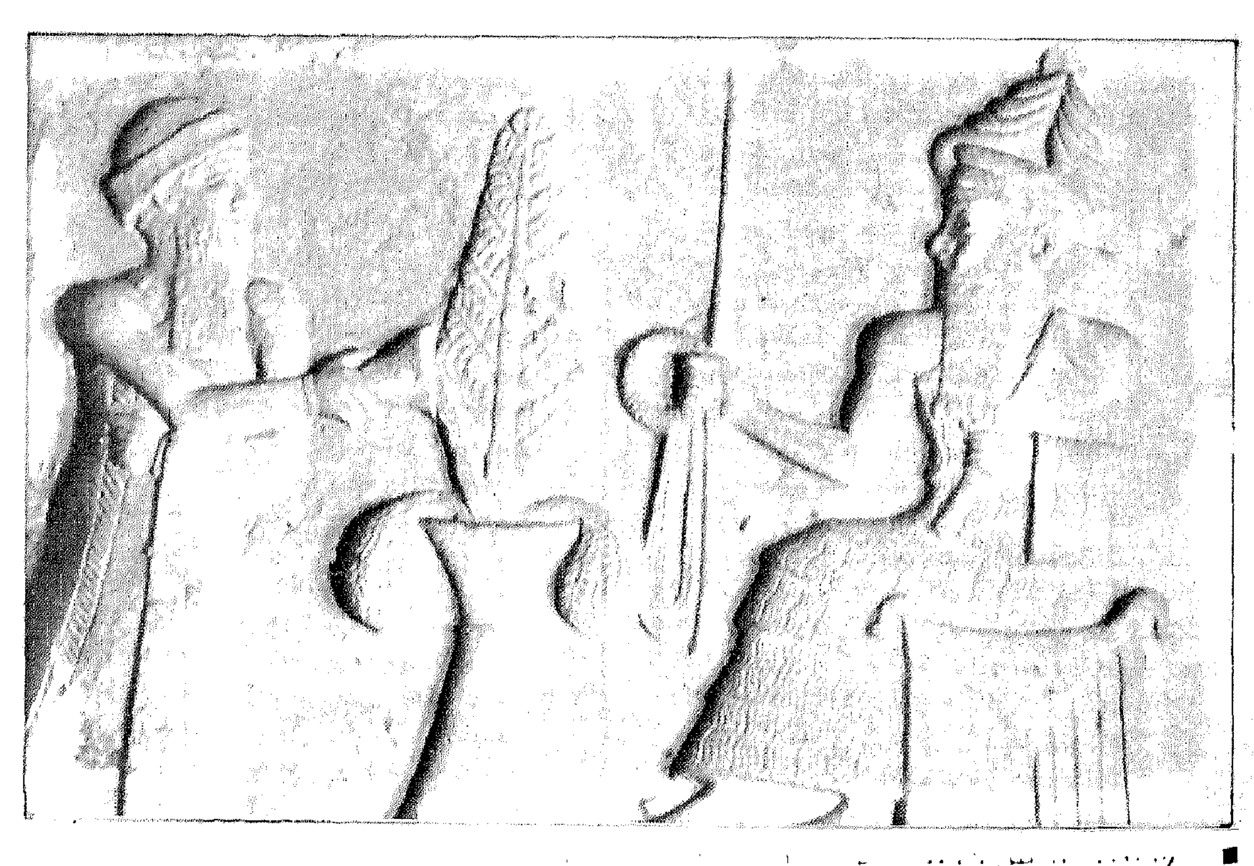
زمن الاسرة الاكدية. يظهر هذا جليا في النصب الذي اقامه حمورابي ودون عليه شريعته الشهيرة، يظهر الملك وهو يتناول القوانين من اله الشمس بمظهر القوة والجبروت

تطور الفن الاشوري

في بادىء الامر عندما تأسست الدولة الاشورية في شمال العراق سارع الفنانون الاشوريون في خطى جيرانهم من العموريين وبقوا على هذا النمط مدة طويلة من الزمن. ولكن في عهد توكولتي انيورتا الاول تطور الفن الاشوري وتبلور كما نشاهد في مذبح منحوت يعود الى هذا العهد. نقش هذا المذبح بنقش يمثل طقوسا دينية ويظهر فيه البون الشاسع بين الآله والبشر يظهر هذا جليا ايضا على النصب المدعو بالمسلة المكسورة. اقام هذا النصب احد خلفاء الملك تفلات فلصر الاول ويظهر فيه ايضا الفرق الكبير بين الآله والبشر. واستعمل الاشوريون الجدرانيات ودرج تصوير ونحت الشجرة المقدسة والاسد المجنح.











وابتداء من القرن التاسع اخذ الاشوريون يضعون امام قصورهم ثورين يدعيان لمسو لوقاية القصر من الشر.

واغلب النحت الاشوري كان نحتا نافرا وقلما صنعوا التماثيل المنفردة. لكن من اهم هذه التماثيل تمثال الملك اشور ناصربال. وكثر استعمال مشاهد الحروب والفتوحات عند الفنانين الاشوريين والهجوم على المدن المحصنة مثل محاصرة مدينة لاخيش. واشهر ما خلده الاشوريون القصور التي اقاموها في نمرود وخورسباد ونينوي. ففي مدينة نمرود اقام الملك اشور ناصربال قصرا كبيرا بني من اللبن ولكن جدرانه غشيت بالحجارة الضخمة من الخارج وطليت من الداخل بالكلس وازدانت بالصور المتعددة الالوان.

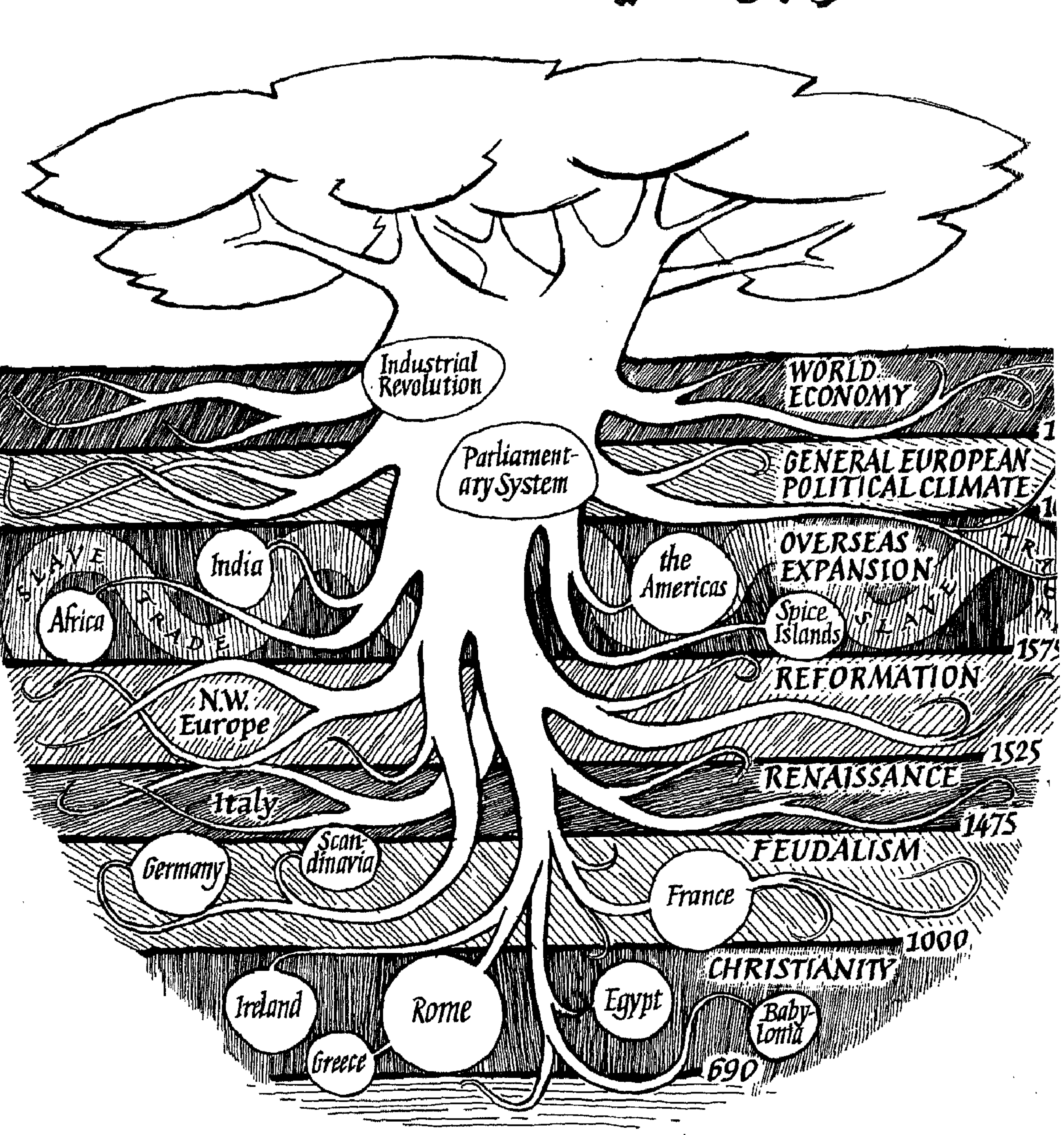
واستعمل الاشوريون الاقواس والعقود كما اقتبسوا في بناء قصورهم الطريقة السورية او الفينيقية المعروفة ببيت هيلاني. كما أنهم نقلوا عن السومريين بناء الزاقورات في اغلب الاحيان كانوا ينقلون هذه عن الزاقورات البابلية والسومرية التي كان يصعد الى اعلاها بواسطة الدرج ولكن في زاقورة اقيمت في خورسباد استعاضوا عن الدرج بطريقة منحدرة تصعد تدريجيا الى اعلى الزاقورة وفي عهد الاسرة الكلدانية ازدهر البناء في زمن الملك نبوخذنصر الثاني الذي زين عاصمته مدينة بابل بالابنية الرائعة ولكن اغلب هذه الابنية اندثرت وطمست معالمها. انما الحفريات التي اقيمت في بابل كشفت عن بوابة اشتار المزودة بالابراج الضخمة والمزخرفة بالثيران والاسود والحيوانات الميثولوجية بالطوب المزجج على ارضية زرقاء. كما عثر علماء الاثار على جنائن بابل المعلقة والتي كانت تقوم فوق عقود تتدلى منها الاشجار والازهار. واقام حفيد نبوخذنصر الملك نابونايدوس زاقورة في مدينة اور. اقيمت هذه الزاقورة على سبع طبقات. والمظنون ان كل طبقة من هذه الطبقات كان لها لون مختلف كما يصفها المؤرخ هيرودوت الذي زار المدينة في القرن الخامس.

وعدا الاثار العديدة التي ذكرناها ففي العراق مجموعة كبيرة من العاجيات القيمة معروضة في المتحف الوطني في بغداد. ومن بين هذه العاجيات تلك المحفورة التي وجدت في نمرود. فهذه نهبها الملك اشور ناصربال الثاني من بعض المدن السورية التي احتلها وزين فيها قصره في نمرود. والاغلب ان هذه العاجيات من صنع فينيقي واهمها رأس امرأة باسم تذكرنا بالموناليزا الشهيرة والثانية اسد يفترس زنجيا في حقل من زهور اللوتس. ■

نظرة سريعة

على الحضارة الانغلو ـ ساكسونية ... وبريطانيا

د. سيد نوفل



■ جدور الحضارة الانكلو ـ سكسونية
(من كتاب دراسة في التاريخ لارنولد توينبي ـ ص ٤٠)

لم يكن لبريطانيا، ولم يكن لما يسمى بالحضارة الانغلوسكسونية، شأن مذكور في تاريخ الحضارات البشرية العريقة....فحين كانت الحضارات المصرية واليونانية والاشورية والبابلية، وغيرها من الصينية والهندية والسبئية والمعينية ترفع في العالم القديم الوية النظام والعلم والتقدم كان اهل الجزيرة البريطانية يحيون حياة بدائية، يسكنون الكهوف ويعيشون على صيد الحيوان، ويستخدمون الوسائل الاولى للحياة البشرية..وكان النازحون الى بريطانيا هم المغلوبون على امرهم من سكان اوروبا، الذين فروا للنجاة بانفسهم من الجماعات الاوروبية الاقوى..

أما التقدم البريطاني أو الحضارة الانغلوسكسونية، فانها لا تعود الى أبعد من العصر الحديث بعد كشف العالم الجديد الامريكي واستخدام طريق رأس الرجاء الصالح في الملاحة العالمية، والتفوق البريطاني في الصراع البحري مع أسبانيا والبرتغال، وهو تفوق أكدته هزيمة أساطيل الدولتين الغازيتين على أيدي الاسطول البريطاني، الذي أنزل بها أشد الضربات والخسائر وردها عن الشواطىء البريطانية مغلوبة مدحورة...ومكن التفوق البحري بريطانيا من غزو العالم بعد ذلك وتوفير وسائل التقدم الحضاري لها، حتى استطاعت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين ان تصبح القوة الاولى في العالم، وأن تفاخر بأن الشمس لا تغرب عن امبراطوريتها التي تبسط سلطانها على خمس العالم وثلث سكانه...

بريطانيا والغزو الانغلوسكسوني

وبريطانيا، هو الاسم القديم لما سمي من بعد انكلترا وويلز واسكوتلندة، وقد يشمل الجزر البريطانية كلها...ويروي التاريخ القديم أن أهل بريطانيا ظلوا في عزلة بدائية حتى العصر الحجري الحديث. وذلك حين هاجرت، في عام ثلاثة آلاف قبل الميلاد، جماعات من الشمال الغربي لاوربا الى الجزر البريطانية، ونقلت الى أهلها الكثير من أسباب التقدم لذلك الزمان. وشملت هذه الاسباب شؤون الزراعة ورعي الماشية والادوات الحجرية والاواني الفخارية...كما شملت المعتقدات الدينية. وقد ساعد هؤلاء المهاجرون أهل بريطانيا على الاستغلال البدائي للمعادن المتوفرة في غربي بريطانيا وأيرلندة، وعلى تنشيط حياتهم بالتجارة مع الاوروبيين.

وفي العصر الحديدي، عام أربعمائة قبل الميلاد، غزت الجزر البريطانية جماعات أوروبية أوفر حظا من الحضارة فزادت امكاناتهم الزراعية والتجارية.

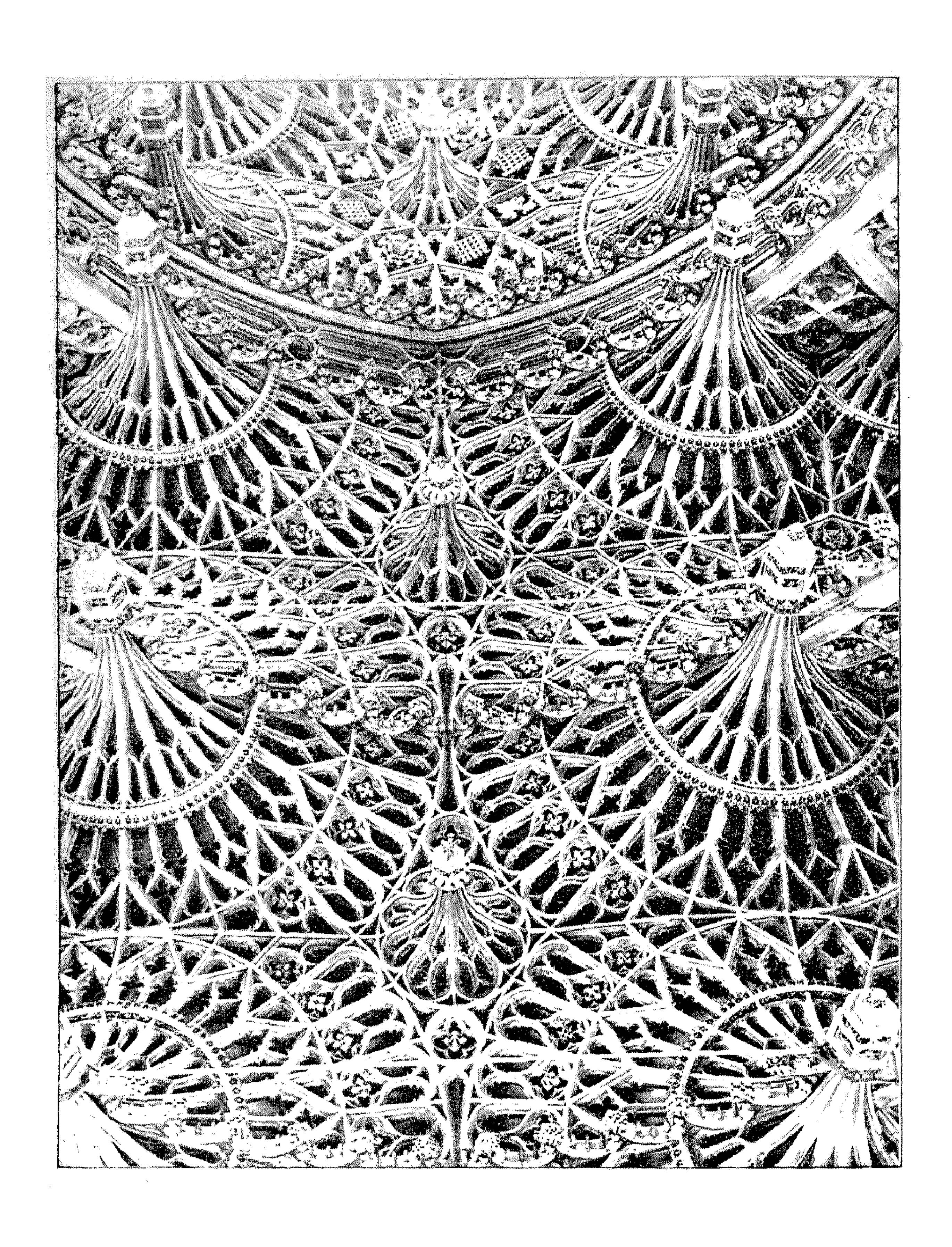
وفي العصر الروماني ازداد نمو التجارة البريطانية، واستخدم البريطانيون العملات الذهبية ثم الفضية فالبرونزية، ونمت علاقاتهم بمنطقة البحر الابيض المتوسط..

ومن بعد ذلك تعرضت بريطانيا لغزوات القراصنة السكسونيين، حين كانت القرصنة من أعمال البطولة. وقد جاء اليها هؤلاء القراصنة، وهم من أصل جرماني، عبر بحر الشمال من المنطقة التي تعرف اليوم بالدانمارك...ولم يلقوا مقاومة في غزواتهم، وانما اخلى البريطانيون شرقي البلاد متراجعين الى غربيها...وكان هؤلاء الغزاة وثنيين فانكروا العمارة الرومانية والقانون الروماني، واخذوا يقطعون الغابات، ويزرعون أراضيها ويقيمون قراهم بينها.

وفي عام ستمائة ميلادية انتهى العهد الروماني لبريطانيا وسميت بلاد الأنغل Angleland ثم عدل الاسم الى England أما الفرنسيون فقد احتفظوا بأصل الكلمة وأطلقوا عليها انكلترة

وفي عام سبعة وتسعين وخمسمائة قدم الى بريطانيا راهب أيطالي، مبعوثا من البابا غريغوري الاول، مع طائفة من الرهبان لنشر المسيحية في بريطانيا...ولقي الرهبان نجاحا فائقا في مهمتهم، وانتشرت المسيحية في بريطانيا انتشارا سريعا...والى هذا التاريخ يرجع الكثير من المؤرخين الانغلوسكسونية..ذلك بأن الرهبان المسيحيين لم يحملوا الى بريطانيا المسيحية وحدها، وانما حملوا اليها مقومات الحضارة ودعائمها في العمارة والقانون والفلسفة واللغة اللاتينية.

وبدأت بذلك حضارة جديدة تنمو في البلاد...واستطاع الملك الفريد ملك السكسونيين أن يرد عن بريطانيا،من بعد،الغزاة الاسكندنافيين القادمين من الدانمارك والنرويج..وسجل اسمه بذلك في سجل الابطال المنتصرين لاوطانهم لكن عظمته الخالدة في أنه مهد لبداية النثر الادبي الانكليزي والتخلص من سيادة اللغة اللاتينية على الادب البريطاني..وذلك بأنه ترجم الكتب اللاتينية الى اللغة الانغلوسكسونية، وانشأ المدارس، وحاول تأصيل الفكر الانكليزي بكتابة السجل التاريخي الانغلوسكسوني...



■ كنيسة هنري السابع في (ويستمنستر ابي) بنيت ما بين ١٥٠٣ و ١٥١٩

حضارة العصور الوسطى

وفي أواخر الستينات من القرن الحادي عشر الميلادي، نجح الغزو النورماندي لبريطانيا، وتولى وليم النورماندي ملك انكلترا...وهكذا بدأت الروابط الفرنسية البريطانية، وهي روابط تقلبت بين الصداقة والعداء من بعد ذلك مع تقلب الليالي والايام.

ومع أن النورمانديين أدخلوا نظام الاقطاع الى بريطانيا، وانتزعوا الاراضي من السكسون ليمنحوها الى أتباع الملك من الغزاة الجدد فقد طوروا التنظيم الاداري والكنسي والاجتماعي في الجزر البريطانية، وسنوا قوانين واضحة الحقوق والواجبات في شؤون الادارة والكنيسة وأفراد المجتمع، كما أبقوا على القوانين التي تكفل الحريات الاساسية للانسان. وبهذا لم يستطع الاقطاع أن يقضي على كرامة الانسان، واستطاع مناخ الحرية أن يتهيأ ليبلغ من بعد ذلك اقصى المدى في الاكتمال...

وأدى تفوق النورمانديين في شؤون العمارة والهندسة الى تشييد الكثير من الكاتدرائيات التي تعد من أجمل المباني في العالم... ولا يزال برج لندن وكاتدرائية كانتربري يشهدان بالتفوق النورماندي في العمارة والهندسة... ولا يزال العهد الاعظم، أو الماجناكارتا، يعبر عن التقدم الديمقراطي الحر للنورمانديين، ويعتبر المقدمة لوثيقة الاستقلال الامريكي، ولمبادىء الثورة الفرنسية... وفي هذا العهد ظهر "شوسر"، رائد الشعر الانكليزي الحديث، في النصف الاول للقرن الخامس عشر، ومهد لظهور شكسبير العظيم من بعده في النصف الثاني للقرن السادس عشر...

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر، وبعد اكتشاف أمريكا وحركات الهجرة الكبرى العالمية اليها، والملاحة العالمية عن طريق رأس الرجاء الصالح، واحتلال بريطانيا مكانا وسطا في العالم بعد أن كانت تعتبر أحد اطرافه في هذين القرنين ظهرت التغيرات الكبرى في الحضارة الانغلوسكسونية...وكانت بريطانيا مسرحا للتطورات الجديدة في الدين والسياسة والاجتماع والثقافة... وتولى رجال من الطبقة الوسطى شؤون الادارة والحكم، وظهرت فيها بداية الاكتشافات العلمية التي مهدت لقانون الجاذبية على يدي نيوتن، ولاختراع الميكروسكوب والتلسكوب... كما شيدت آيات الفن المعماري التي لا تزال تأخذ بالابصار والعقول لكن ذلك العصر لم يخل من بذر شرور نمت من بعد، حتى تفاقمت في هذا الزمان. فقد كانت الملكة اليزابيت الاولى، وغيرها من حكام بريطانيا يعاملون الايرلنديين معاملة الامريكيين للهنود الحمر، وينهبون ثرواتهم ويبدلونهم بالرخاء والغنى عسرا وفقرا...وقد أدى ذلك الى كراهية الايرلنديين للانكليز، وهي كراهية نمتها عوامل الاختلاف المذهبي الديني بين الكاثوليك والبروتستانت...حتى أخذت طابع الحرب الاهلية في هذه الايام...

لكن عصر الملكة اليزابيت الاولى شهد انتصارا تاريخيا كانت له اثاره القوية في بناء مستقبل بريطانيا الدولي، وسلطانها العالمي، وحضارتها الرائدة.

ففي حومة الصراع الدولي، أعلن "فيليب" ملك أسبانيا الحرب على بريطانيا..وتحرك أسطوله البحري الضخم، "الارمادا"، نحو الجزر البريطانية حتى بلغها في تموز عام ثمانية وثمانين وخمسمائة وألف.

وأستطاعت السفن البريطانية الصغيرة السريعة، بما تحمله من مدافع بعيدة المدى فوق سطحها وفي باطنها، وأعداد قليلة من المحاربين المهرة فوق كل منها، واستطاع التقدم العسكري البريطاني أن يدمر الاسطول الاسباني، وأن يرد ما بقي منه على أعقابه مهزوما متداعيا.

وكانت هذه المعركة نقطة تحول في الحضارة البريطانية...فقد هزمت "الارمادا" على يد البحرية التجارية، وبأيدي التجار الذين حصنوا سفنهم لمواجهة أعمال القرصنة، وتأمين ما يصيدون ويستوردون من البضائع والمنتجات...ولهذا وقف هؤلاء التجار الاحرار يؤازرهم الشعب، وقد زاد ثقة بنفسه، في وجه محاولات الطغيان، وادعاءات الحق الالهي التي حاول جيمس الاول وشارل الثاني النكوص اليها...وانتصرت الحرية الشعبية على مطامع الاستبداد الفردي.

وصحب هذا النصر العسكري السياسي نصر أدبي لعله كان من دعائم الاول وبواعثه...ذلك هو ظهور "شكسبير" الخالد على الزمان، وما ملأ به الافكار وقوى من الارادات والعزائم...وكانت آراؤه، في مواجهة الازمات والتغلب على المصاعب، ذات اثر كبير في تنمية الحرية الفردية، وفي اثارة معاني البطولة والمغامرة والانتاج والتفوق..

قمة الحضارة الانغلوسكسونية

وبلغت الحضارة البريطانية قمتها في القرن التاسع عشر...وظهر التفوق على أتمه في ميدان الثورة الصناعية التي مكنت بريطانيا من تحقيق أهدافها في الداخل وسيطرتها الاستعمارية العالمية...

ففي بريطانيا اخترعت الآلة البخارية والآت الغزل الحديثة، وأنوال النسيج الآلية، وتطورت

وسائل صهر الحديد، كما تقدمت وسائل المواصلات من انشاء الطرق وبناء الجسور ومد السكك الحديدية وحفر القنوات...

واذا تم لغيرهم اختراع تفوقوا في الاستفادة منه. وفي ذلك تقول الامريكية "ماي لمبرتون بيكر" في كتابها: "انكلترا: شعباً وحكومة":

"وعندما اخترع "روبرت فولتون" الامريكي السفينة البخارية تنبه الملاحون الانكليز الى أهميتها، ولم ينقض وقت طويل حتى كانت ثلاثة أرباع السفن التي تجوب البحار سفنا بريطانية، وذلك فضلا عن أن تسعة أعشار السفن البخارية في العالم كانت بريطانية أيضا. ففي يوم وليلة تقريبا ظهرت بين الانكليز موهبة في الاعمال الميكانيكية استطاعوا بواسطتها أن يتوصلوا الى تطبيقات عملية مفيدة لاية فكرة جديدة.

"قامت المصانع في انكلترا بالمئات والآلاف، في الشمال كما في الجنوب، ونشأت مدن جديدة، وأبحرت السفن الى اقاصي الارض تحمل المنتجات التي كتب عليها (صناعة بريطانية) لتعود محملة بالمواد الغذائية التي لم تعد حقول انكلترا الخصبة تنتج كفاية البلاد منها. وهكذا أصبحت بريطانيا – تلك الجزيرة الصغيرة – اعظم مراكز العالم الصناعية. وأتاحت لها أسبقيتها في هذا الميدان أن تصبح أغنى بلاد العالم".

كما تقول في المقدرة البريطانية على مواجهة الازمات وتخطيها، وأن كان للاستغلال الاستعماري الفضل في هذا:

ومن الازمات التي واجهتها البلاد في ذلك القرن تلك الازمة التي حلت بصناعة القطن في لانكشير في اثناء الحرب الاهلية الامريكية اذ اضطرت معظم المصانع الى التوقف عن العمل لانقطاع ورود القطن الخام الذي كانوا يقومون بغزله. وقد أمكن في النهاية انتاج بعض القطن في مصر، ولكن بعد أن كانت الفاقة قد شملت عددا كبيرا من الاسر التي كانت تعتمد على مصانع القطن. ومع ذلك، فرغم هذه المشكلات المحلية، ورغم انتشار البطالة من حين لآخر، فأن مستوى المعيشة ظل مضطردا في ارتفاعه طيلة القرن التاسع عشر.

والواقع أن بريطانيا لم تكن تنتج الا قدرا ضئيلا من استهلاكاتها الوطنية ومن أسباب الترف والبذخ في حياة أبنائها...فقد كانت تستورد من مستعمراتها المترامية في أرجاء العالم...كانت تستورد من كندا وسائر الامريكتين، ومن أستراليا والهند وجنوبي افريقية، وسائر القارة السوداء من الجنوب حتى اقصى الشمال في مصر، ومن جزر الهند الغربية والملايو وسائر القارة الاسيوية، ومن البلاد الاوروبية...وكانت سيطرتها الاستعمارية تمكنها من الاستيراد في كثير من الاحوال بأرخص الاثمان أو بما يشبه المجان...

انكماش بريطانيا الحضاري

وفي القرن العشرين واجهت بريطانيا التحول من الدولة الغربية الاولى، عالية الكلمة في المجال الدولي والحضاري الى دولة من الدرجة الثالثة...وتنازلت عن مقوماتها المستقلة ودورها القيادي لتصبح دولة أوروبية من الدرجة الثانية تسبقها في المجال الحضاري المانيا الغربية وفرنسا...وانضمت بعد لاي وجهد الى مجموعة الدول الاوروبية الغربية التسع تلتزم بخططها السياسية والاقتصادية، بعد أن ظلت حليفا أو تابعا لامريكا منذ الحرب العالمية الثانية...

واذا تحدثنا عن الانكماش الحضاري لبريطانيا في هذا العهد، يجب أن نذكر مقومات الحضارة المعاصرة من التفوق الاقتصادي، والتقدم التكنولوجي، والقوة العسكرية بأسلحتها المتطورة الشاملة التدمير...أما المعاني الفكرية والفلسفية فقد أصبحت في متناول الجميع، بعد ان اصبح الانسان في أي جانب من الارض مواطنا عالميا...

وكانت أسباب الانكماش الحضاري البريطاني ما حل ببريطانيا في الحربين العالميتين الاولى والثانية...لقد كانت الحرب العالمية الثانية أول حرب في المواقع ينزل دمارها بالجزر البريطانية، وتتعرض مباشرة لقصف المدافع المغيرة وقنابل الطائرات الفتاكة...ولم يسبق في تاريخ بريطانيا أن تعرضت لمثل هذه الحرب، وأن ظلت أرضها وبقي ماؤها بمعزل عن الحرب حتى اليوم...

وفي الحرب العالمية الاولى أرهقت بريطانيا، وفقدت ثلاثة أرباع المليون من أبنائها البالغ عددهم ستة وثلاثون مليونا ونصف المليون...ولهذا دخلت الحرب العالمية الثانية بشعب كثرته من الشيوخ والاطفال، وبذكريات أليمة عن الحرب الاولى، وبميزانية مثقلة بالاعباء بعد اضطرار بريطانيا لاقراض الكثير من الدول لتؤازرها في الحرب الاولى ثم اضطرارها آخر الامر الى الاقتراض من الولايات المتحدة الاميركية لمواجهة المطالب التي تزداد الحاحا على الخزانة البريطانية الخاوية.

وتعرضت بريطانيا لغارات المانية جوية لم يخطر مثلها هولا ببال الانسان من قبل...وامتد بعضها ثمانية وخمسين يوما كاملة.

وظل الشعب يقاوم وظلت دائرة الحلفاء تتسع ودائرة الاعداء تضيق، حتى خرجت بريطانيا منتصرة من الحرب العالمية الثانية رسميا لتتخلى عن قيادة المعسكر الغربي للولايات المتحدة الامريكية ولتفقد مستعمراتها، ولتسعى للتعاون مع الدول التي تحررت من الاستعمار البريطاني، ولتذوق شيئا من مرارة الآلام التي جرعت شعوب الارض الكثير من كؤوسها...

لكنها لا تزال تحتفظ بمقوماتها الحضارية، وبدورها الثالث في المجتمع الدولي...

العقد الفريد لابن عبد ربه

د. الطاهر احمد مكي

■ كانت الحملة الاسلامية في شبه جزيرة ايبريا، المدخل في الجنوبي الغربي لاوروبا اروع عمل حربي عرفه تاريخ العصور الوسطى. ففي خلال سنوات سبع تم فتح شبه الجزيرة، وقدر للحضارة العربية، بعد نصر يبدو كأنه اسطورة ان تستقر فيها وتزدهر. وان يصبح لها بعد قليل طابعها المميز على الرغم من اصولها المشرقية.. وان تصبح قرطبة عاصمة الدول الجديدة مركز الثقافة في اوروبا، وبؤرة التحضر، فكانت مدينة مرصوفة الطرق، مضاءة الشوارع، تزخر بالحمامات العامة، في الوقت الذي كانت فيه جامعة اكسفورد - مثلا - ترى في الاستحمام عادة وثنية ينبغي الابتعاد عنها.

وكانت لها احدى وعشرون ضاحية ولها سبعون داراً للكتب، ويتجاوز سكانها المليون عدداً، عامرة بالمدارس والمساجد، واليها الرحلة في رواية الشعر، ومنها كان علماء الاندلس، واليها يقصد علماء المشرق، ممن يرومون الشهرة، او يبغون الثروة، او يريدون ان يضيفوا الى علمهم جديداً.

وكان المجتمع الاندلسي بعامة، والقرطبي بخاصة، حضرياً مترفاً، بلغ فيه الذوق العام قدراً عالياً من الرقة وتذوق الفنون الجميلة، يطرب للموسيقى، ويهتز للانشاد الجميل، والغناء الحلو، وتأسره الطبيعة بجمالها. وتميزت حضارته بأنها تعشق المياه الجارية، والجنان الخضرة، والبحيرات المتصلة، والانوار المنتشرة، في عصر الحصون والاسوار والقصور المظلمة.

ولقد وصفتها بحق راهبة المانية شاعرة، من القرن العاشر الميلادي في قصيدة لها، بأنها: "جوهرة العالم المتألقة، نافقة بماهجها، مختالة بثقافتها، فاضت بينابيع المعرفة السبعة، وطبق اسمها الافاق، ابد الدهر، بما احرزت من نصر متواصل".

في قرطبة هذه ولد ابن عبد ربه، ذات يوم من عام ٢٤٦هـ - ٨٦٠م، وبها عاش طول حياته، وفيها توفى عام ٣٢٨هـ - ٩٤٠م.

★★

يذكر المؤرخون في التعريف بنسبه انه: "ابو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حيدر بن سالم القرطبي". ولا نعرف شيئاً كثيراً عن اسرته او طفولته، ولكن يمكن ان نتصور انه كعامة الاطفال على ايامه ذهب الى المدرسة الابتدائية، وكان التعليم في قرطبة دائماً ومجانياً، فحفظ سوراً من القرآن، وقصائد من الشعر، ودرس قليلاً من النحو، وشيئاً من اللغة، وبعضاً من شعائر الدين، وتعلم جانباً من الرياضة، والكتابة والقراءة، وكان ذلك هو منهج التعليم في المرحلة الابتدائية بمدارس الاندلس، على ما يذكر ابن خلدون.

فاذا تجاوز سن الطفولة الى مرحلة الشباب، درس الشائع في عصره من ادب وتاريخ ولغة، وفقه وتفسير وحديث، على أجلة العلماء في المدينة، فكان من اساتذته: محمد بن وضاح، وبقى بن مخلد، ومحمد بن الحارث الخشني. وعن تحصيله يقول ابن خلكان: "كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس".

وقد انتمى الى بلاط الامير محمد بن عبد الرحمن الداخل شاباً فتياً، ولازمه طوال مدة امارته (٨٥٢ - ٨٨٦م)، وترك هذا فيه ابلغ الاثر. لقد كان الامير واقعاً تحت تأثير اعظم شخصيتين في قرطبة في ذلك الوقت يحيى بن يحيى الفقيه، وزرياب المغني، فجاء ابن عبد ربه موزع القلب بين هذين الامرين، كان فقيها دارساً، وبهذا اللقب عرف تكريماً له على طريقة عصره، وكان صاحب لهو يطرب ويشرب ويعشق. واذا كان مؤرخو عصره قد مروا بالجانب الثاني من حياته سراعاً، ورعاً منهم

او اجلالا له، فقد اعترف هو بأنه يحب سماع الموسيقى والاغاني، على طريقة اهل المدينة، وانه يشرب النبيذ جرياً على مذهب اهل العراق.

وقد حار المتأخرون من علماء المشرق والمغرب في امره، ازاء المتناقض من خبره، فبينما يمدحه مواطنه صاحب كتاب "بغية الملتمس" بأنه: "كانت له ديانة وصيانة"، ويقول عنه ياقوت الحموي في "ارشاد الاريب": وكانت لابي عمرو بالعلم جلالة"، نجد فيما وصلنا من شعره، ومن الملامح العامة "لعقده"، انه عب من المباهج الحسية لعصره، وشارك فيما كان يجري حوله من شرب ولهو وطرب.

روايتان غير متناقضتين

ولا تناقض بين الروايتين فيما ارى، فاحداهما تصفه شاباً مقبلا على الحياة اخذا من مباهجها بقدر واسع، والاخرى تتحدث عنه شيخاً مدبراً عن الدنيا، زاهداً فيها، يحاول ان يتزود لاخرته باوفى نصيب، ولقد عمد في اخريات ايامه الى اشعاره في الغزل والشراب فمحصها، ونقضها بمثيلها في المواعظ والزهد، وسماها "الممحصات وجعلها على اعاريض تلك وقوافيها.

وقد لازم ابن عبد ربه بعد الامير محمد ابنه المنذر، ثم أخاه عبد الله من بعد، وعبد الرحمن الناصر اخيراً، وكان معهم جميعاً شاعر البلاط ونديمه، وقال في غزوات الناصر وانتصاراته شعراً كثيراً، وخصه بأرجوزة ذكر فيها كل سنة من مغازيه على حدة، ولكن ليس في شعره او "عقده" ما يدل على انه شخصياً كان يشارك في الحرب، او يسهم فيها بنصيب، مقاتلا او مدافعاً، او مقوياً لعزائم الجنود.

★★

كان ابن عبد ربه كاتباً وشاعراً ووشاحاً.

وفي مجمل الكتابة لا نعرف له نثراً وصلنا، يمكن ان نستدل به على مكانته في هذا الفن غير مقدمات لابواب "عقده"، وهي تمتاز بوضوح العبارة، ودقة الاسلوب، وازدواج الجملة، والخلو من الغريب والبعد عن التكلف والتعقيد.

وتنسب اليه المصادر الاندلسية انه كان وشاحاً، ويذهب بعضها الى انه مبتدع فن التوشيح، والاحتمال الاول ممكن والثاني بعيد، ذلك ان الموشحات ابتدعت في ايامه، وعلى يد زميل له شاعر واعمى في بلاط الامير عبد الرحمن، هو مقدم ابن معافى القبري، فمن المرجح أن ابن عبد ربه سابقه منافسة، وواكبه اعجاباً، ولكن موشحات الاثنين ضاعت كلها، ربما لانها كأي عمل رائد في خطواته الاولى، لم تبلغ الغاية تجويداً واتقاناً، فنسيها الناس مع روائع الموشحات التي اغرقت الاندلس بعد ذلك بمائة عام.

أما شعره فكان موضع اعجاب القدامى وتقديرهم، قال عنه الفتح بن خاقان في "مطمح الانفس": "انه حجة الادب، وان له شعراً انتهى منتهاه، وتجاوز سماك الاحسان وسهاه".

وروى ياقوت في "معجم الادباء" ان ابا الوليد ابن عسال لقي المتنبي في مسجد عمرو بن العاص، وان المتنبي قال له: "انشدني لمليح الاندلس، يعني ابن عبد ربه، فانشده:

يا لؤلؤاً يسبى العقول انيقاً
ورشاً بتقطيع القلوب رقيقاً
ما ان رميت ولا سمعت بمثله
دراً يعود من الحياء عقيقاً
واذا نظرت الى محاسن وجهه
ابصرت وجهك في سناه غريقاً
يا من تقطع خصره من رقة
ما بال قلبك لا يكون رقيقاً

فاستعاده المتنبي، ثم صادق بيديه وقال: "يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حبوا".

وقد ذكر ابن خلكان في "وفيات الاعيان": أن له ديوان شعر جيد"، وذكر الحميدي في كتابه "البغية": انه كان في نيف وعشرين جزءاً. وقد ضاع ديوانه، ولم يصلنا من شعره الا ما اورده في "العقد" وما رواه له الثعالبي في "يتيمة الدهر"، وهو قدر يكفي للحكم على شاعريته واراها في مستوى معظم شعراء الاندلس، محققة، ذات عرض بارع، ووقع موسيقى حلو، وخيال جيد، وبساطة جملة، لا ترتفع به الى مستوى الشاعر الفحل، كما لا تهبط به حيث الشعر ساقط، والشعراء اراذل.

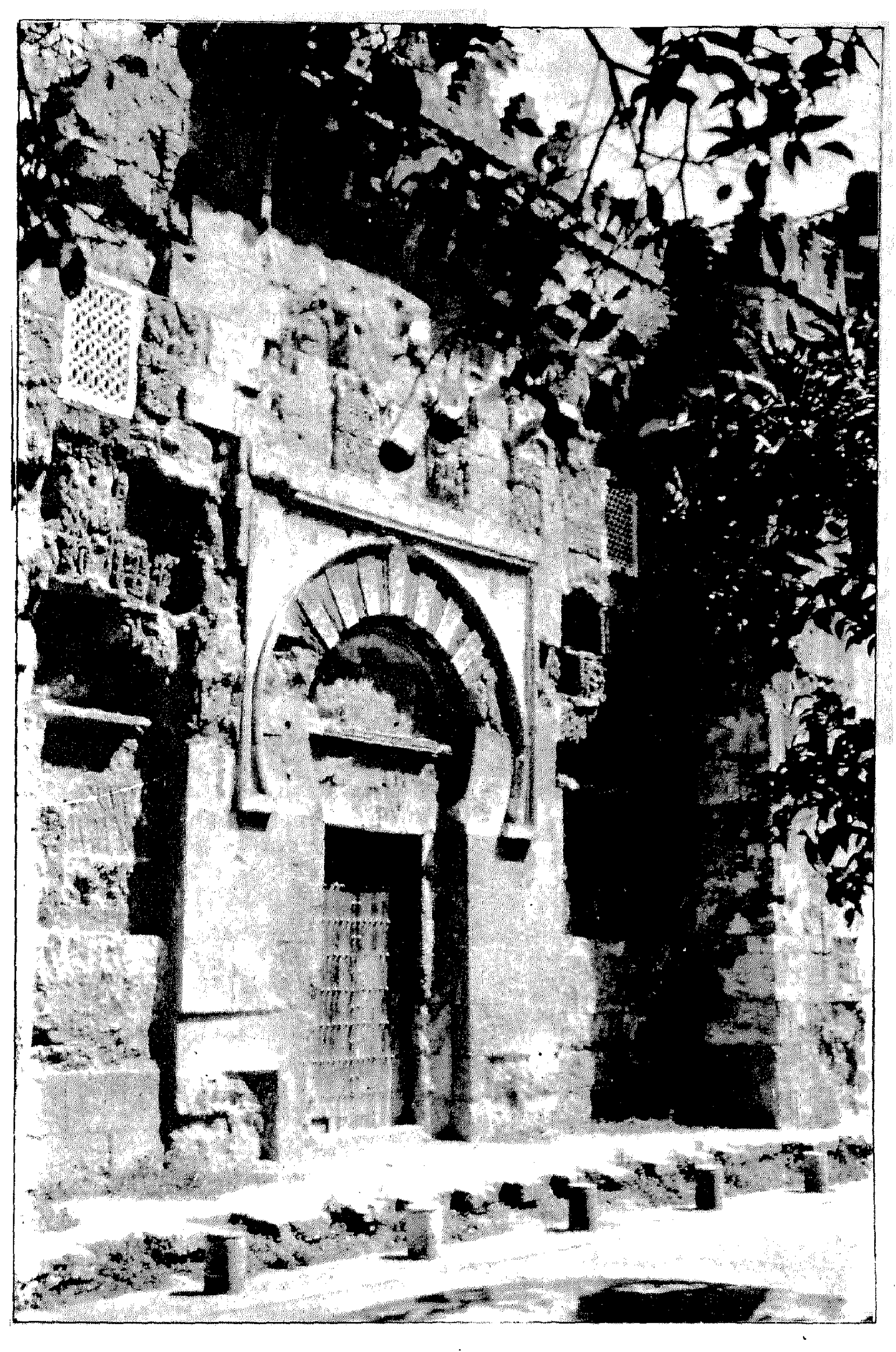
وله ارجوزة تاريخية، فيما شهد من حكم الناصر واحداثه، واذا كان النقاد العرب، ومفهومهم للشعر يقف عند الجانب الغنائي منه، يرونها نظماً لا اهمية له، فان المستشرقين الاسبان يرونها، وغيرها من مثيلاتها الاصل الذي احتذاه شعر الملاحم الاسباني فيما بعد.

"العقد الفريد"

وقد شهر ابن عبد ربه بكتابه "العقد الفريد"، وليس له بين أيدينا كتاب آخر، وان كان حاجي خليفة في فهرسه: "كشف الظنون" ذكر ان له مؤلفاً ثانياً اسمه: "اللباب في معرفة العلم والادب"، ولم ترد اليه اية اشارة اخرى في مصدر اخر، ولم يعثر له على اثر. ومن هنا يظن ان "اللباب في معرفة العلم والاداب" ليس الا جزءاً من "العقد" نفسه، اورده المؤلف تحت عنوان "الياقوته في العلم الادب".

بقي لنا اذن من تراث الاديب الاندلسي كتاب "العقد" وحده، وليس ذلك بالشيء القليل فهو يمثل الان في حياتنا الثقافية والادبية المرتبة التي تلي كتاب "الاغاني".

وقد درج الناس على تسميته بالعقد الفريد دون شك يراودهم في ان زيادة لحقت اسمه، او تحويراً اصابه، الى ان كتب المستشرق الالماني بروكلمان



□ المدخل الشرقي للجامع الكبير ـ قرطبة ـ اسبانيا من كتاب روائع الآسلام ـ ويلفريد بلنت ـ (ص-٣٩).

مادة "ابن عبد ربه" في دائرة المعارف الاسلامية، فاوضح ان كلمة الفريد "اضافها المتأخرون" دون ان يستطرد الى ذكر ما يساند رأيه، وان يكن من الواضح الان ان العالم الالماني قرر ذلك اعتماداً على ان جميع المصادر الاولية، لا يرى فيها "العقد"منعوتاً بالفريد، وكان الوحيد الذي اورده منعوتاً هو الابشيهي في كتابه "المستطرف في كل فن مستظرف"، ومع ذلك فان من الصعب الجزم بأن هذه الكلمة اضيفت فيما بعد، واصعبمنه تحديد الزمن الذي اضيفت فيه،وتعدد من اهملها وتفرد من اوردها، لا يقوم وحده دليلا كافياً على نفي او اثبات، وبخاصة ان كلمة "الفريد" توجد في كل المخطوطات التي بين ايدينا.

وقد قسم صاحب العقد كتابه الى خمسة وعشرين كتاباً، اي فصلا او باباً، في خمسة وعشرين فنا، ثم تصور عقده مؤلفاً من خمس وعشرين جوهرة كريمة، اثنتا عشرة في جانب واثنتا عشرة اخرى في جانب، وجعل للعقد واسطة، لكنه لم يسم الا الاثنتي عشرة الاولى، فلؤلؤة وفريدة وزبرجدة وجمانة، ومرجانة وياقوتة، وجوهرة وزمردة، ودرة ويتيمة، وعسجدة ومجنبة واما الاثنتا عشرة التي في الجانب الآخر فهي نفسها التي في الجانب الاول مكررة.

وشملت هذه الكتب نظم الحكم، تحت اسم السلطان، والحروب ومدار امرها الاجواد والاصفاد، والوفود، ومخاطبة الملوك، والعلم والادب. والامثال، والمواعظ والزهد، والتعازي والمراثي، والنسب وفضائل العرب، وكلام الاعراب، والاجوبة، والهدايا والفكاهات والملح، والطعام والشراب، وطبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان، والمتنبئون والممرودون والبخلاء والطفيليون، والنساء وصفاتهن، وعلم الالحان واختلاف الناس فيه، واعاريض الشعروعلل القوافي، وفضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه، وأيام العرب ووقائعهم، واخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة، والخلفاء وايامهم، والتوقيعات والفصل واخبار الكتبة، والخطب.

★★

دائرة معارف

من استيعاب مادة العقد يبدو ان مؤلفه كان يهدف الىوضع دائرة معارف صغيرة، تفي بمطالب الاديب على النحو الذي كان يطلب منه في ذلك العصر، من الالمام بطرف من كل علم، فهو يعرض لكل ضروب المعرفة في عصره، على النحو الذي ازدهرت عليه في المشرق، على يد الجاحظ والمبرد وابن قتيبةواخرين.

وكان "عيون الاخبار" لابن قتيبة من اوضح المصادر المشرقية اثراً في العقد الفريد، فقد كان الكتاب رائجاً في الغرب الاسلامي، وتميز مؤلفه بين معاصريه، ومن سبقهم، بتنظيم مؤلفاته، وتسلسل افكاره، يسوق الباب ثم يتبعه بما هو قريب اليه او مناسب له وهو المنهج نفسه الذي سلكه ابن عبد ربه في العقد، بل اخذ ابن عبد ربه جانباً كبيراًمن مادة "عيون الاخبار" ونقلها الى كتابه. ويعترف بذلك احياناً، ويسكت احياناً اخرى.

كما افاد مما حكاه ابو عبيدة في "النقائض" و"أيام العرب" ومن الجاحظ في "البيان التبيين"، فنقل عنه فصولا في العتاب واستنجاز الوعد، والاعتذار وكتابة الرسائل. واخذ عن "الكامل" للمبرد الكثير من اخبار الخوارج، وعن الطبري من كتابه " تاريخ الامموالملوك"، وعن ابن سلام الجمحي من كتابه "طبقات فحول الشعراء"، واخرين كثيرين.

واورد كثيراً من الايات القرآنية والاحاديث، واخذ عن التوراة والانجيل وتمثل بكثير من الحكم الفارسية والهندية، واقتبس من ارسطو، وهي معارف توجد متناثرة بكثرة في المصادر المشرقية التي افاد منها.

لكن ابن عبد ربه لم يقف عند المصادر المشرقية وحدها، وانما عرض لتاريخ الاندلس حتى زمنه، وخص عبد الرحمن الناصر بأرجوزة اورد فيها مآثره، ولكن حظ الاندلس اذا قيس بما خص الشرق العربي قليل، وهي ملاحظة لم تغب عن الاقدمين انفسهم. فقد رووا ان الصاحب بن عباد حينقرأ "العقد" قال: "هذه بضاعتنا ردت الينا".

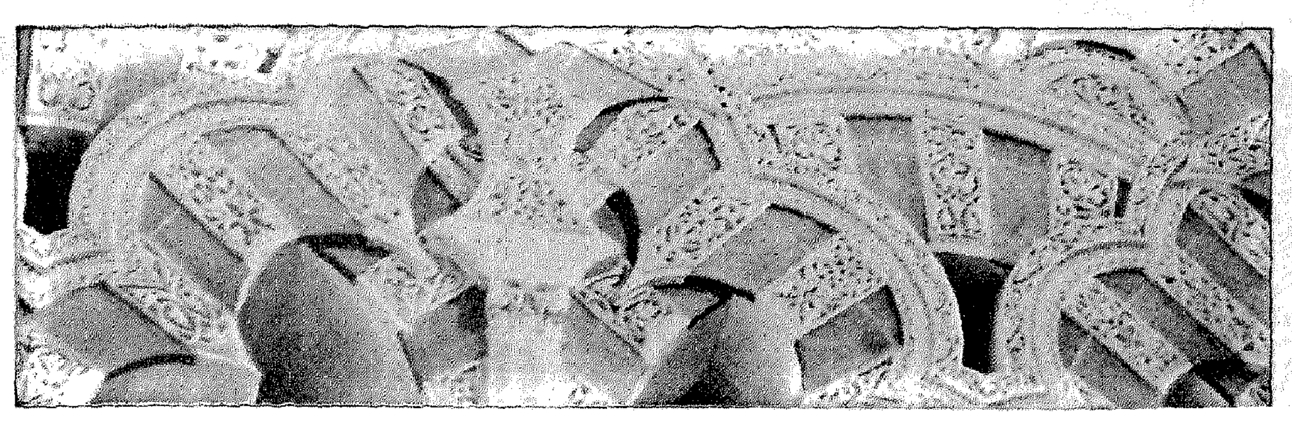
وقد اورد ابن عبد ربه منهجه في تأليف الكتاب واضحاً في مقدمته فهو:

يختار، ويحسن الاختيار، وينتقي جواهره من خير ما في الادب، ومن جوامع الكلم، وان له : "تأليف الاخبار، وفضل الاختيار، وحسن الاختصار، وفرش في صدر كل كتاب، وما سواه فمأخوذ من افواه العلماء، ومأثور عن الحكماء والادباء، واختيار الكلام أصعب من تأليفه".

وانه نخل نظائر الكلام، واشكال المعاني، وجواهر الحكم، وضروب الادب، ونوادر الامثال، ثم قرن كل جنس منها الى جنسه، فجعله بابا على حدة، ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب، ونظيره في كل باب.

وانه تخير من جملة الاخبار، وفنون الاثار، اشرفها جوهراً، واظهرها رونقاً، والطفها معنى، واجزلها لفظاً، واحسنها ديباجة، واكثرها طلاوة وحلاوة.

وانه حذفالاسانيد من اكثر الاخبار، طالباً للاستخفاف والايجاز، وهرباً من التثقيل والتطويل، لانها اخبار وحكم ونوادر، لا ينفعها الاسناد باتصاله، ولا يضرها ما حذف منها.



[illegible] عام ٩٦٥

وانه نظر في بعض الكتب الموضوعة فوجدها غير متصرفة في فنون الاخبار، ولا جامعة لجمل الاثار. فجعل العقد شافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة، وتدور على السنة الملوك والسوقة، وحلى كل كتاب منها بشواهد من الشعر، تجانس الاخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها، وقرن بها غرائب من شعره، ليعلم الناظر في كتابه ان للمغرب على قاصيته، ولبلده على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور.

★★

يعد العقد واحداً من المصادر الهامة لتاريخ الحياة العربية بجوانبها المختلفة، سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، فهو يضم بين صفحاته مادة وافرة من الاخبار والقصص والوثائق التي تعين على تصور حركة تطور المجتمع العربي.

اخبار ووثائق

فكتاب السلطان - مثلا - يعطي صورة واضحة عن سياسة عمر، رقابته لعماله،والرسائل المتبادلة بينه وبينهم فيما يتصل بالثراء الفاحش الذي اصابوه فجأة، بعد ان تولوا الولاية، في هذا القطر او ذاك، من الامبراطورية الاسلامية الشاسعة، وفي كتاب الحرب حديث طويل عن فرسان العرب في جاهليتها واسلامها، وانفرد بأخبار ليست فيما وصلنا من المصادر الاخرى، كمشاورة المهدي لاهل بيته ووزرائه فيما يتصل بحرب خراسان. وأخبار زياد والحجاج والطالبيين تحتوي حقائق يعز العثور عليها في مكان آخر.

وقد سلمت اخبار "العقد"، نسبياً، من التشويه والتحريف والبتر، ومن هنا يمكن الاعتماد عليه في المقابلة بين النصوص المختلفة عند تحقيق ونشر المصادر التي اخذ عنها، او التي نقلت من رواة استند اليهم، وهو ما فعلته دار الكتب المصرية عندما حققت "عيون الاخبار"، لابن قتيبة، فقد الحقت به زيادات كثيرة نقلتها عن "العقد" وصححت عنه كثيراً من الاخطاء التي وجدتها في مخطوطات "عيون الاخبار" عند مقابلة نصوصها بما اورده العقد عنها.

وقد نقل عن "العقد" كثيرون جاءوا بعده، وافادوا من مادته الوفيرة، مثل: الابشيهي في كتابه المستطرف في كل فن مستظرف"، واعترف بذلك في مقدمة كتابه، وابن خلدون في تاريخه، والقلقشندي في كتابه "صبح الاعشى" والبغدادي" في خزانة الادب" وغيرهم.

وعلى الرغم من المكانة التي يحتلها "العقد"في التراث العربي، كان حظه من الترجمة الى اللغات معدوماً، فلا نعرف له ترجمة الى اية لغة اجنبية، شرقية او غربية،وان كان من المعروف ان مستشرقاً فرنسياً نقل منه الى الفرنسية كثيراً من النصوص التي تتصل بعرب الجاهلية، ونشرها في باريس اعوام ١٨٣٦ - ١٨٣٨.

كذلك اعتمد المستشرق الاسباني خوليان ريبيرا على الكتاب الاول منه، والخاص بالسلطان، في بحثه عن: "اصول القضاء في ارغون" والذي استهدف فيه بيان تأثير النظم السياسية والقضائية والادارية لمسلمي الاندلس في مثيلاتها بممالك الشمال الاسبانية المسيحية.

★★

وقد اختصر "العقد" قديماً كل من:

الاول: ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن الوادي اشى القيسي. المتوفي عام ٥٧٠هـ = ١١٧٤م وهو اندلسي من وادي اش. مدينة جميلة، تقع في مقاطعة غرناطة باسبانيا الان.

والثاني: جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الانصاري الخزرجي الشهير بـابن منظور، صاحب معجم "لسان العرب" المتوفي عام ٧١١هـ = ١٣١١م.

واختصر حديثاً مرتين:

الاولى عندما عمدت لجنة من اساتذة دار العلوم في مصر الى اختصاره، استجابة لرغبة وزارة المعارف اذ ذاك، فاختارت بعض كتبه، وانتقت من هذه بعض اخبارها، وسمته "مختار العقد" ونشر عام ١٩١٣. والثانية تمت من عشرة اعوام عندما نشرت وزارة الثقافة بعض مختاراته في سلسلة كانت تشرف على اصدارها. ■

قـاموس اقـتـصادي



يقصد بالخطة التنظيم الذي يوضع خلال فترة معلومة من أجل تحقيق اهداف معينة. وحتى يتسنى للخطة القومية ان تحقق اهدافها، يرى المعنيون بالامر أن يتبع النهج التالي:

اولا – يطلب الى الهيئات والمنظمات الانتاجية ان تقدم مقترحاتها بشأن ما تريد وما تستطيع انتاجه في فترة معينة، وان تحدد تقديرها لما يحتاج اليه التنفيذ من خدمات ومعدات وعمل وغير ذلك. وعلى أساس هذه المقترحات والتقديرات يمكن اعداد المشروع الابتدائي للخطة.

ثانياً – تقوم هيئة (او لجنة) التخطيط العليا بدراسة هذه المقترحات والتوفيق بينها، على أن تراعى امراً آخر هو تقرير نسبة ما يخصص من موارد البلد الانتاجية (خلال المدة المقررة) لكن من ادوات الانتاج وسلع الاستهلاك وهكذا يصبح لديها مشروع متناسق الاجزاء. ولابد لها من النظر الى مسائل الدفاع، ورفع مستوى الحياة الثقافية (معاهد التعليم، الصحف، الكتب الخ). وتحسين المستوى الصحي باعداد الاطباء والمستشفيات

ثالثاً – يرسل المشروع المؤقت الى الادارات الحكومية المركزية والمحلية والى الهيئات الانتاجية والمشروعات والمؤسسات المختلفة، لدراسة كل ناحية من الاجزاء الخاصة بها، وابداء ما يعني لها من ملاحظات ومقترحات.

رابعاً – ترفع هذه الملاحظات الى الهيئة العليا التي تعمل على ازالة اي نوع من التناقض فاذا تم ذلك عرض المشروع المتكامل على الجهات المختصة لتصدر القانون الخاص به..

وينبغي عند اعداد الخطة ان تراعى بمنتهى الدقة مجموعة من الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، نذكر منها:

١ – حركة السكان من حيث معدل الزيادة او النقص، وذلك لتقدير طاقة المجتمع الانتاجية وكمية السلع الاستهلاكية ومستوى الاجور والميزانية

٢ – التركيب الاجتماعي للسكان..

٣ – مقدار الدخل الاهلي والنسبة التي ينبغي ان يقسم بها بين انتاج سلع الاستهلاك وعمل ادوات الانتاج.

٤ – معدل الزيادة في الانتاج في عام بالنسبة الى العام الذي قبله

٥ – مسائل التجارة الخارجية واصدار النقد وموازنة الميزانية والضرائب، وتحديد مقدار الاجور بطريقة توفق بين مصالح الاقتصاد القومي العامة ومصالح العاملين..

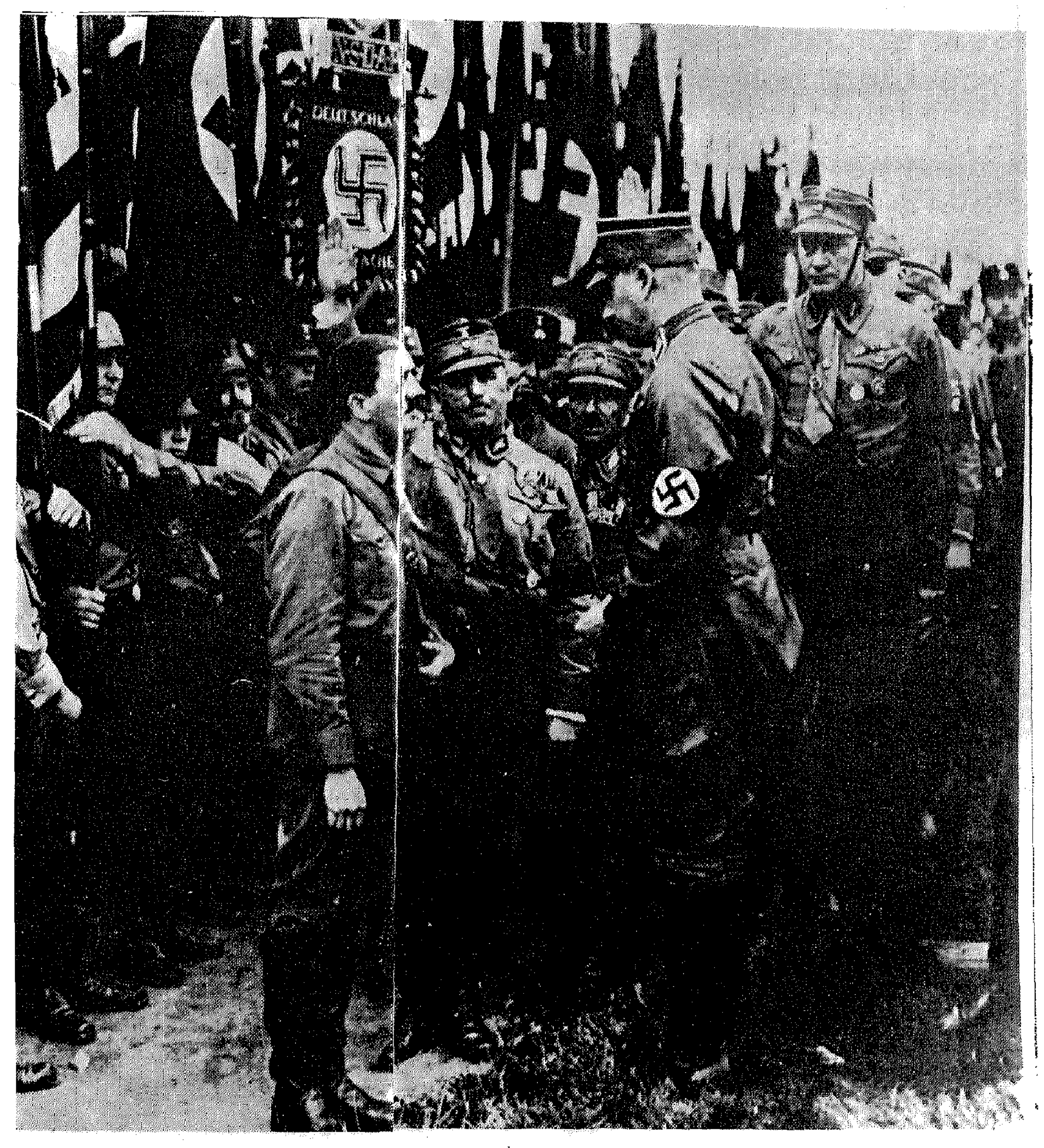
٦ – مقتضيات الدفاع الوطني من جميع نواحيه المادية والبشرية والفنية.

٧ – تهيئة الخدمات الثقافية والاجتماعية المختلفة

ليلة الأمواس الطويلة...

ساعة تحكمت بمصير العالم !

عصام نعمان



هتلر محاطا بفرقة من "القمصان البنية" ويبدو روهم في الوسط رافعا يده بالتحية النازية!

■ الثاني من آب (اغسطس) تاريخ بارز في حياة المانيا النازية، انه اليوم الذي توفي فيه، لثلاثين سنة خلت، الرئيس العجوز الماريشال هندنبرغ الذي كان يشكل العقبة الاخيرة في طريق استبداد هتلر المطلق. وبموته وحد الديكتاتور النازي منصبي الرئاسة والمستشارية (رئاسة الوزراء) في شخصه، فأصبحت ارادته قانونا وكلمته دستورا واهدافه مطامح للرايخ الثالث برمته.

على ان ذلك اليوم التاريخي ليس الحدث الاعظم في صعود هتلر الدامي الى قمة السلطة، اذ سبقته سلسلة من الاحداث بلغت ذروتها المفجعة في الثلاثين من حزيران (يونيه) ١٩٣٤. عندما نفذ هتلر، بلا رحمة، أضخم عملية تصفية في تاريخ حكمه المرعب، ذهب ضحيتها اكثر من خمسة آلاف شخص. انها الليلة التي دخلت التاريخ باسم "ليلة الامواس الطويلة" التي وطد فيها هتلر، وحده، نظامه النازي وكرس نفسه حاكما بأمره والها معبودا في طول المانيا وعرضها.

كيف تبدأ القصة...

لعلها تبدأ في الثلاثين من كانون الثاني (يناير) ١٩٣٣ عندما زين المستشار الاسبق فرانز فون بابن والجنرال فون بلومبرغ، وزير الحرب الالماني، للرئيس هندنبرغ ان تسليم المستشارية لادولف هتلر (ونيابة المستشارية لفون بابن نفسه) هو الحل الامثل لانهاء جو الانقسامات الدامية والاضطرابات الواسعة التي كانت تعصف بالمانيا في مطلع عام ١٩٣٣.

وفي الواقع لم يكن الرئيس هندنبرغ معجبا بهتلر ابدا. اوليس هو القائل بعد مقابلته له عام ١٩٣٣: "اهذا الرجل يصبح مستشارا؟!... في وسعي ان اعينه مديرا للبريد، ليلصق الطوابع التي تحمل رسمي بلسانه". ومع ذلك فقد قبل بتكليفه بالمنصب نظرا لما كان لفون بابن من دالة عليه. اما فون بابن فكانت غايته من وراء ذلك واضحة: لماذا لا نهدىء هتلر بأخفاء مسؤوليات الحكم واعبائه عليه؟

ومع ان اعضاء القيادة العليا للجيش - وهم رمز عظمة المانيا العسكرية وكل ما بقي لها من رصيد بعد الحرب - كانوا منقسمين على انفسهم، فقد شاركوا فون بابن الاعتقاد بان مجيء هتلر الى الحكم مع اثنين من رفاقه فقط سيمكنهم من تحقيق هدفين مرة واحدة: الاول ان يركبوا المد الشعبي الهتلري. والثاني ان يعملوا على تقليم اظافر القادة النازيين اثناء مشاركتهم السلطة... بل ان بعضهم كان يمني النفس، الى جانب هذا كله، باعادة الملكية الى ربوع المانيا.

حساب الحقل.. وحساب البيدر

وطبيعي ان هتلر لم يكن غبياً ليصبح اداة في ايديهم بل كان يعتقد، على العكس من ذلك، انه



ـ هتلر مع الرئيس هندنبرغ.

من القوة بحيث يتمكن من استغلالهم للوصول الى مآربه. وجاءته - لحظه السعيد - فرصة سانحة في اواخر شباط ١٩٣٣ اذ احرق الريخيستاغ (البرلمان) بظروف مشبوهة فبادر فوراً، ووسط ذهول الجميع، الى استغلال الحادث الى اقصى ما يمكن، فحل الحزب الشيوعي وطارد اعضاءه، وصادر الحريات العامة، وضيق على كافة خصومه السياسيين، حتى اذا جاءت الانتخابات، في مطلع اذار (مارس) وكان قد اعد لها العدة، فاز حزبه بـ ٢٤٨ مقعداً واقترع الى جانبه ١٧،٣٠٠،٠٠٠ ناخب. ومرة اخرى رأى من الافضل ان يضرب الحديد وهو حام فطلب من الريخيستاغ سلطات استثنائية سرعان ما حاز عليها باكثرية ٤٤١ صوتا مقابل ٩٤، والطريف انه ما ان اعلنت النتيجة حتى التفت الى مقاعد النواب الاشتراكيين وقال بلهجة دراماتيكية: "والان لم اعد بحاجة اليكم"!.

وفي خلال عام واحد كان الفوهرر قد قطع اشواطا بعيدة في تثبيت سلطته بعد ان اخمد كل معارضة، وحل كافة الاحزاب باستثناء الحزب النازي طبعا، وقبض على ناصية الاجهزة البوليسية ووضعها تحت قيادته مباشرة ممهدا لذلك بتعيين ساعده الايمن غورنغ وزيرا لداخلية بروسيا، وبربط كافة الاجهزة البوليسية في الولايات الاخرى بزعيم الحرس النازي الاسود هنريك هملر.

جيش الصاعقة... بالمرصاد

على ان وصول هتلر الى السلطة لم ينجه من خلافات حادة مع الذين عاونوه وحملوه على اكتافهم. وكان هؤلاء فئتان من الخصوم: الفئة الاولى تتمثل في قيادة الجيش العليا التي كانت على كرهها لهتلر وتخوفها من طموحه الشره - تماشيه على مضض لانه الوحيد، في نظرها، القادر على انهاء الاضطرابات التي مزقت البلاد، وعلى

توفير جو صالح لتحقيق حلم العسكريين الاغلى ـ اعادة تسليح المانيا وبناء جبروتها العسكري العظيم٠

وكان جيش الصاعقة او فرق القمصان البنية بزعامة الهر روهم يمثل الفئة الثانية من الخصوم٠ انهم عناصر نازية متطرفة وعميقة في تعلقها بالثورة الاجتماعية، قادتها تطورات الاحداث الى التعاطف مع شلة الهر غريغود شتراسر (من قدامى اعضاء الحزب) الذين خافوا بعد وصول هتلر الى قمة السلطة، ان تجتذبه الفئات الحالية الحاكمة، والقيادة العليا للجيش، والطبقة الرأسمالية المتحكمة، الامر الذي يعرض "الثورة الاجتماعية المستمرة" الى اخطار جمة٠

روهم يثير مخاوف الفوهرر

وفي ربيع عام ١٩٣٤ كان قلق هتلر الشديد من خصومه المتجمعين في جيش الصاعقة قد اخذ منه كل مأخذ٠ وكيف لا يخاف وقد اضحى جيش الصاعقة الان ـ بعد اندماج العديد من المنظمات في صفوفه ـ ثلاثة ملايين من المجندين والمدربين الذين، وان كانوا يمحضونه الولاء المطلق، الا انهم ليسوا تحت اشرافه على كل حال٠ وزاد في قلق هتلر ان روهم ما كان ليخشى تهديدات هتلر المتواصلة الموجهة "الى كل من يجرؤ على رفع رأسه ضد سلطة الدولة"، اذ انه اصدر في ١٨ نيسان (ابريل) على الرغم من تحذيره من خطورة هذا السلوك التحدي التالي:

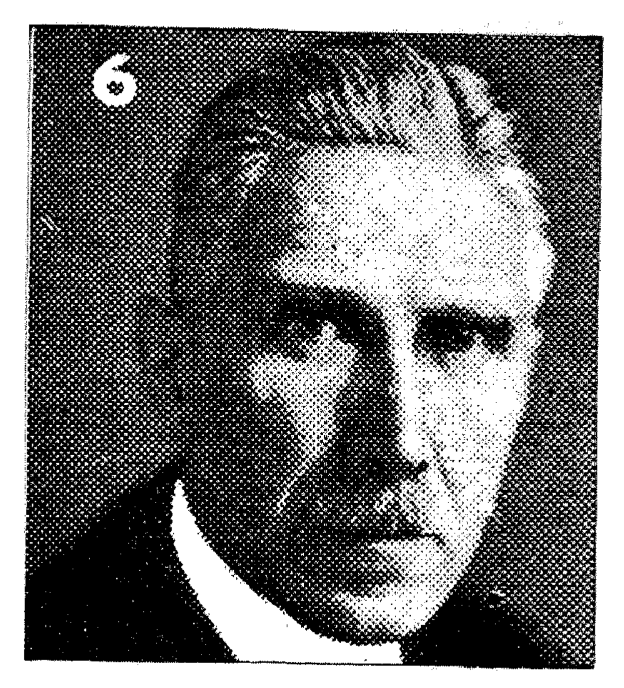
"ان الثورة التي قمنا بها ليست مجرد ثورة وطنية بل ثورة وطنية اشتراكية، وعلينا ان نؤكد بصورة خاصة كلمة اشتراكية٠ والحاجز الوحيد الذي يقف في طريق الرجعية ممثل في فرقنا الهجومية التي هي التجسيد المطلق للفكرة الثورية٠٠٠"

ولعل روهم نسي ان يختم مقاله هذا بعبارة "هايل هتلر" "المألوفة٠٠فكان ان اخذ هتلر علما بذلك!

لماذا لم يقنع هتلر بمفهوم الثورة الاجتماعية المستمرة؟ لان الثورة الاجتماعية كما يفهمها روهم وفرقه البنية كانت تعني امتصاص القيادة العليا للجيش والسيطرة على الدولة من خلال ما يسمى بالتعبئة الشعبية الدائمة٠٠٠وهي عملية طويلة ودقيقة لا تسمح للفوهرر ان يستغل، وبسرعة، خبرة القيادة العليا لتسليح المانيا من اجل تحقيق حلمه الغالي الذي تضمنه كتاب "كفاحي" وهو بسط سيطرة الرايخ الثالث على كافة اصقاع اوروبا٠

مطامع روهم ومخاوف القيادة العليا

وفي هذه الاثناء كانت القيادة العليا تراقب بحذر وخوف شديدين اتجاه روهم المناهض لكيانها



ــ فون ـ بن ٠

الخاص ولكرامتها العسكرية الشامخة ولدورها التاريخي في اعادة تسليح المانيا٠ وهي ما كانت لترضي باعلان هتلر لوحدة الحزب والدولة لولا وعده لها بان ذلك يستتبع عمليا انهاء المنافسة بينها وبين قيادة جيش الصاعقة بدمج هذا الاخير بالجيش النظامي لكي تصبح كافة القوات المسلحة تحت أمرتها٠ ولما غدت مشكلة دمج فرق القمصان البنية شغل البلاد الشاغل في منتصف الربيع حتى أخذ روهم ـ وقد عزت عليه التضحية بجيشه ـ يضع العراقيل في طريق الدمج الكامل في الوقت الذي اصبح فيه الجنرال بلومبرغ، وزير الحرب، دائم التذمر من نشاط القمصان البنية وحماقاتهم٠

هتلر والخيار الصعب

عند هذه النقطة بالذات كان على الفوهرر ان يختار بين القيادة العليا التي تكرهه وتماشيه وبين قادة جيش الصاعقة الذين مكنوه بأرهابهم الواسع من ان يصل الى قمة السلطة٠ انه لخيار صعب، ومع ذلك فقد كان بامكان هتلر ان يفكر في الامر مليا ليأتي قراره ناجحا وحاسما٠ وفي الواقع فانه ليستشعر خطورة انتصار روهم على القيادة العليا٠ ان ذلك يعني شيئا واحدا: وصول روهم الى حلمه القديم باستلام مقاليد وزارة الحرب للسيطرة على القيادة العليا، وبالتالي على الجيش النظامي الجديد والضخم الذي سيزداد عدده بدمج جنود الصاعقة٠ وعندما وصل تفكير هتلر الى هذه النقطة ادرك ان ما من قوة تمنع روهم، عندئذ، من ان ينقض على الحكم لتنكسف الى الابد شمس الفوهرر٠

ولم يكن روهم ليدرك من ناحية اخرى وجه الخطورة في ان يكون هتلر قد اعتمد عليه في يوم من الايام، وانه قد يصبح تحت رحمته مرة اخرى اذا قيض لروهم الانتصار على القيادة العليا. ومما زاد في سوء حظه انه لم يكن مستسلما لهتلر شأن بقية الزعماء النازيين، بل لقد حاول استمالته الى صفه وعندما اخفق لم يضرب بارائه الخاصة عرض الحائط بل اخذ يبحث عن حلفاء جدد. لقد عارض نزوع هتلر الشره نحو الطغيان الكامل، وهاجم تدمير النقابات العمالية، وتعاطف لنفس السبب مع غريغور شتراسر الذي كان هتلر قد حقد عليه بسبب عدم شجبه لنشاط الجنرال فون شليخر - عدوه اللدود ومنافسه الاقوى على المستشارية.

وفوق هذا وذاك كان روهم يقوم ببعض التصرفات التي تعكس استقلاله الذاتي وطموحه القتال، كان يستضيف مثلا السفير الايطالي عدة مرات، أو يجتمع بالسفير الفرنسي، او يصرح بأن جيش الصاعقة لا يشكل خرقا لمعاهدة فرساي.

روهم: هتلر حمار!

في وسط هذا الجو المكهرب اخذت شائعات "خيانة الفوهرر" لقضية الثورة الاجتماعية تعم بعض اوساط الحزب النازي. وقد نسب الى روهم قوله في سياق حديث له ان هتلر حمار وأن جيش الصاعقة سيتجاهل أوامره. ورغم ان هذا القول ظل يفتقر الى اثبات صحيح فقد كان ثمة قائد من قادة جيش الصاعقة اسمه فكتور لوتز يكن لروهم حقدا عظيما، تبرع بنقل الحديث الى هتلر الذي طلب اليه ان يتريث حتى تنضج الظروف!

واذا كان من حادث بارز ميز هذه الفترة - وقد أصبحنا الان في مطلع شهر حزيران (يونيه) - فهو المقابلة العاصفة التي اجراها هتلر مع روهم ودامت خمس ساعات متواصلة، من اجل الوصول الى تسوية. وفيها تأكد هتلر ان ثمة هوة شاسعة تفصله عن روهم وأن لا سبيل الى اقناع هذا الاخير مع انه تظاهر في نهاية المقابلة "بالاقتناع". ومرة اخرى أخذ هتلر علما بذلك!

فون بابن يتحرك...

في غمرة الصراع الخفي بين هتلر والقيادة العليا من جهة، وروهم وجيش الصاعقة من جهة اخرى برزت جبهة ثالثة من القوميين المحافظين والمستقلين، اخذت تلتقط انفاسها وتمسح عن أجهزتها اثار الذهول التي خلفتها ضربات هتلر المحكمة لخصومه السياسيين والارهاب الواسع الذي نشره جيش الصاعقة في شتى الميادين. وقد رأى هؤلاء الناس في شخصية نائب المستشار فون بابن ومكانته العالمية خير واجهة لهم في مقاومتهم للنظام الجديد. وكان ثمة اثنان منهم - الاول كاتب بروتستانتي يدعى "ادغار ينغ" والثاني كاثوليكي يدعى "هوبرت فون بوس" - يعاونان فون بابن في مكتبه. وحدث ان دعي فون بابن لالقاء خطاب في جامعة ماربورغ في ١٧ حزيران (يونيه) فلم يتوان "ينغ" عن استغلال الفرصة، وهي جد مؤاتية، اذ قام باعداد الخطاب - القنبلة الذي القاه فون بابن وسط ذهول الجميع، ماذا قال فون بابن؟

لقد حرص، في سياق كلمته، على امتداح هتلر اكثر من مرة، ولكنه حمل على تقييد حرية الصحافة واشاد بدورها الكبير في حقلي الاعلام والنقد والبناء، ثم لاحظ ان البلد تكاد ان تمزقه ثورة اجتماعية مستمرة الامر الذي يستدعي الاسراع في اسناد رئاسة الدولة الى شخص يعلو على المعارك السياسية لان ديكتاتورية الحزب الواحد ليست في نظره سوى فترة انتقالية تجد تبريرها فقط عندما يتوقف عليها استقرار النظام الجديد وختم خطابه بملاحظة قاسية:

يجب الا نعزل انفسنا عن بقية دول اوروبا...يجب الا نحبس انفسنا داخل قوقعتنا الفكرية، واذا كنا نتململ من غلاة النازيين فلأننا نفكر باولئك الذين يتطلعون، وهم بلا جذور، الى حرمان المفكرين والباحثين من نعمة الوجود لكونهم ليسوا اعضاء في الحزب. فلنحذر اذن من تنفير المفكرين في امتنا. وليسكت اولئك الذين يأخذون على المفكرين افتقارهم للحيوية. ان الخلط بين الحيوية والبربرية لا يعني الا الانحناء للعنف باخطر اشكاله..

انه ليصعب، في الواقع، تأكيد ما اذا كان فون بابن قد فهم الخطاب الذي اعده له "ينغ"، ولكنه قرأه على اي حال. اما الحضور فكادوا الا يصدقوا آذانهم. ومع ان غوبلز وزير الدعاية سارع الى حظر نشره وتوزيعه على صحف المانيا فقد تمكنت جريدة "فرانكفورتر زايتونغ" ان تنشر نصه الحرفي. كما ان جريدة "جرمانيا" الكاثوليكية تمكنت هي الاخرى من نشر نصه الحرفي وتوزيع اعداد منه. وسرعان ما تناقلته الالسن. والشائعات الى كافة اطراف المانيا. وما ان ظهر فون بابن في ٢٤ حزيران (يونيه) في حفلة للسباق في هاملولاغ حتى التفت الجماهير من حوله واخذت تهتف له وتحييه.

لقد كان الهدف منوراء هذا الخطاب، بالنسبة لينغ وفون بوس، تشجيع الاتجاه المعتدل في القيادة العليا - وهي للان اقوى قوة في المانيا - للوقوف في صف العاملين لاعادة الملكية الى البلاد. بيد ان قلة من الرجال، حازمة وصارمة، كانت تهيء، في نفس الوقت شيئا مغايرا، وقد اقنعها فون بابن والانباء المتواترة عن صحة الرئيس هندنبرغ ان عليها الان ان تكون في سباق مع الزمن.



□ روهم وغوبلز

اما فون بابن فقد هاج وماج لمصادرة خطابه وشفع غضبته بتقديم استقالته من نيابة المستشارية، ولكن سرعان ما تمكن هتلر من استرضائه واقناعه بانه ما دام قد رتب له موعدا لزيارة العجوز هندنبرغ فلماذا لا يذهبان سوية لمقابلته؟ وكان لهتلر ما اراد اذ اصطحب فون بابن الى نيوديك (مقر هندنبرغ) ولكنه استطاع تضليله هناك وحال بينه وبين مقابلة الرئيس في الوقت الذي كان هو يجتمع اليه ويحمله على الموافقة على الكثير من اعماله ومشاريعه.

على ان الفائدة الاساسية التي حصل عليها هتلر من ذلك الاجتماع، هي بلا شك، تأكده من أن هندنبرغ - وقد غدا الان في السابعة والثمانين - قد أنتهى وان عليه ان يضرب حوله ستارا من العزلة ليمنع عنه مقابلات الخصوم بانتظار اللحظة الحاسمة. ومنذ ذلك الحين اصبح يقال لفون بابن وغيره كلما حاولوا مقابلته ان صحته لا تسمح له بالقيام بأي نشاط.

صفقة الحياة والموت

قلنا ان صراع القيادة العليا مع روهم حول دمج جيش الصاعقة بالجيش النظامي قد وضعت هتلر امام الخيار الصعب... فمن اختار الفوهرر؟

لقد اقنعته مقابلة روهم الاخيرة في مطلع حزيران (يونيه) ان التفاهم مستحيل مع ذلك النازي المتصلب والطموح. فكان لا بد للفوهرر من أن يختار اهون الشرين - القيادة العليا.

وفي الواقع فقد بدا للمراقبين ان هتلر وبلومبرغ - ابرز قادة القيادة العليا ووزير الحرب.. قد عقدا صفقة فيما بينهما منذ زمن بعيد لعله يعود الى نيسان (ابريل) الماضي عندما اجتمعا على البارجة "دوتشلاند". وكانت الصفقة تنطوي على ما يلي: ان يخلف هتلر هندنبرغ في الرئاسة مقابل ان توضع سلفا كافة التشكيلات العسكرية في المانيا - وخصوصا جيش الصاعقة - تحت امرة القيادة العليا.

هذا هو مضمون صفقة الحياة والموت بين الرجلين.. فمتى توضع موضع التنفيذ؟

فرصة العمر

كان هتلر قد قرر، بموافقة روهم البريئة، منح افراد جيش الصاعقة عطلتهم السنوية، ومقدارها شهر واحد، ابتداء من اول حزيران (يونيه).. اذن، ها هي ذي فرصة العمر تلوح في الافق، فهل هنالك، بعد، مجال للتلكؤ؟

وسارع هتلر الى اتخاذ الاجراءات الاخيرة الكفيلة بتحطيم قادة جيش الصاعقة، وكان مما يساعده على تنفيذ نواياه الجهنمية وجود صديقه هملر، منذ نيسان (ابريل) الماضي، في رئاسة الغستابو (البوليس السري الحكومي) واشراف هنريك هايدريخ - الذي خلف غورنغ في رئاسة غستابو برلين - على البوليس السري الحزبي. وهكذا اصبحت كافة التقارير والاخباريات التي تذهب الى هتلر والقيادة العليا تمر تحت رقابة هملر وهايدريخ. ومن الان فصاعدا اصبح روهم موضوع رقابة شديدة اخذت شخصيته بنتيجتها تتخذ طابعاً شريراً ومتآمراً في كافة التقارير المرفوعة الى اعلى.

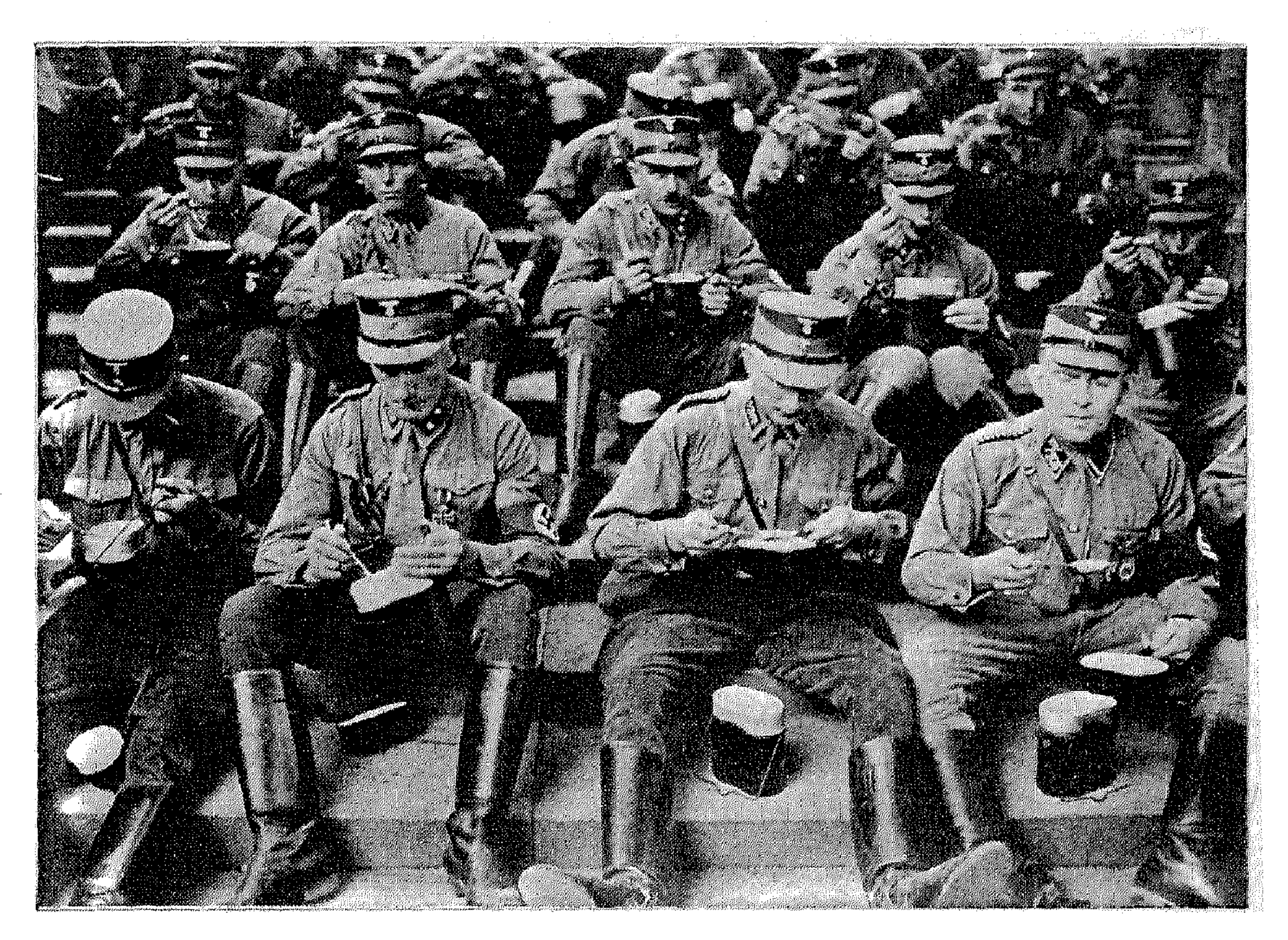
وكثرت في هذه الاونة لقاءات الجنرال رايخينو وقائد الغستابو الجديد وفكتور لوتز القائد الصاعقي الحاقد على روهم. ورايخينو هذا مسؤول عن التعبئة العامة للجيش وهو المحرك الضمني للجنرال بلومبرغ، فضلا عن كونه اشد المتحمسين للفوهرر بين اعضاء القيادة العليا.

هل كان روهم يشعر بما يخطط له في الخفاء؟ وهل كان جيش الصاعقة يعد، بالمقابل، حركة مضادة؟

صحيح ان العديد من جنود الصاعقة تفوهوا بكلام قاس، وليس اقلهم في هذا المجال روهم نفسه. ومع ذلك فان دليلا واحداً لم يعثر عليه يثبت اعتزام روهم القيام بانقلاب على الفوهرر.

وفي ٢٧ حزيران (يونيه) تقدم الهر "سب دايتريخ"، رئيس حرس هتلر الخاص، من القيادة العليا بطلب المساعدة في توفير السلاح اللازم لعملية خاصة سينفذها الفوهرر مبرزا في الوقت نفسه لائحة، زعم انها من وضع جيش الصاعقة، تتضمن اسماء اشخاص يعتزم جنود الصاعقة اغتيالهم وعلى رأسهم الجنرال فريتشه والجنرال باك الذي كان يستمع بنفسه الى معلومات دايتريخ. على انه في نفس الوقت او بعده بقليل تمكن الهر هاينز، قائد جيش الصاعقة في سيليزيا، من اقناع الجنرال فون كلايست، قائد الجيش النظامي في المنطقة، بان ما من حركة انقلابية يعدها جيش الصاعقة على الاطلاق، بل على العكس فان معلوماته تؤكد له بان القيادة العليا هي التي تتهيأ لضرب جيش الصاعقة. وللتو سافر فون كلايست الى برلين - وقد اصبحنا الان في ٢٩ حزيران (يونيه) - ليقدم تقريرا عن الامر الى الجنرال فريتشه والجنرال باك مضمنا اياه ما قد اصبح حقيقة واقعة وهو ان قوة ثالثة - اي الحرس النازي بقيادة هملر - يحاول الايقاع بين القيادة العليا وجيش الصاعقة.

استدعت القيادة العليا الجنرال رايخينو على الفور وعرضت عليه المعلومات الجديدة فكان ان استفاق هذا الاخير على الحقيقة... والتفت الى فون كلايست وقال له: "انت على حق، ولكن بعد فوات الاوان!!".



القمصان السمر (البنيذ)

هتلر يقرر ساعة الصفر

وفي تلك الليلة بالذات كان هتلر قد بدأ بتنفيذ قراره الرهيب: تصفية كافة الذين يعادونه ويستفزونه!

ولعدم اثارة الانتباه كان الفوهرر قد سافر عشية ٢٨ حزيران (يونيه) الى منطقة الراين بحجة زيارة احد المشاريع الصناعية. ومن هناك اتصل بروهم هاتفيا وطلب اليه، بكل براءة، ان يدعو قادة جيش الصاعقة الى مؤتمر يحضره هتلر بنفسه على ان يعقد في "وييسي" بالقرب من ميونيخ حيث كان روهم ينتجع الراحة منذ ٧ حزيران (يونيه). ويبدو ان روهم لم يفطن الى ان هذا المؤتمر ـ الفخ يجمع معظم مساعديه وفي مكان بعيد نسبيا ويضعهم دفعة واحدة تحت رحمة هتلر.

كانت هذه الخديعة الاولى. اما الخديعة الثانية فقد تولى امرها هايدريخ، رئيس غستابو برلين، الذي قام بوسائله الخاصة ـ مستغلا جو الترقب والشائعات المتواترة عن تحركات القيادة العليا ـ بالايعاز الى بعض قادة جيش الصاعقة بتنظيم تظاهرات واجتماعات خطابية في ميونيخ الامر الذي لا اعتراض عليه من قبلهم طالما انه يدعم قضيتهم ـ قضية الثورة الاجتماعية المستمرة.

وفي الساعة الرابعة من صباح الثلاثين من حزيران (يونيه) وصل هتلر بطريق الجو الى ميونيخ. وبينما كان يقود سيارته في المدينة تعاظم غيظه لمرأى بقايا جنود الصاعقة يجوبون الشوارع بعد انتهاء مسيرتهم الشعبية، الامر الذي عزز "شكوكه" بان روهم يوشك ان يسدد له الضربة القاضية.

اتجه هتلر اولا الى مبنى وزارة الداخلية حيث اعتقل بنفسه وعلى الفور اثنين من قادة جيش الصاعقة. ثم هرع الى وييسي ومعه غوبلز، وزير الدعاية، حيث كان بانتظاره قائد حرسه الخاص "سب دايتريخ" ورجاله الذين تولت القيادة العليا ـ قبل اكتشافها لحقيقة الامر ـ توفير وسائل نقلهم الى هناك ومعهم بعض افراد الحرس النازي في معسكر "داخو" المجاور. وفي تمام الساعة السابعة



ـ روهم

الا ربعا اقتحم هتلر ورجاله مدخل "شاليه" روهم، ثم مضى الفوهرر وحيدا ودون سلاح ـ وقد اضحى نمرا كاسرا ـ يصعد السلم ويقتحم على روهم غرفة نومه فكان ان اذهلته المفاجأة ولم يستطع ان يبدي اية مقاومة فاعتقل مع معظم اركان حربه الشخصيين دون حادث ٠

وعاد الركب الصغير مع الاسرى الى ميونيخ ليفاجأ في طريق الاياب برتل من السيارات الكبيرة تقل عددا من جنود الصاعقة في طريقهم الى وييسي لتأدية تحية الصباح لروهم بمناسبة المؤتمر الذي كان من المقرر عقده هناك ظهر ذلك اليوم٠ فما كان من هتلر الا ان ترجل واستدعي الضابط المسؤول وأمره ـ بقوة وسلطة وجرأة متناهية ـ ان يعود برجاله الى بيوتهم، فاطاع الجنود الامر فورا٠

ولو تأخر هتلر ساعة واحدة او لو بكر هؤلاء الجنود ساعة واحدة لتغير تاريخ هتلر والمانيا والعالم٠

أودع روهم وأركان حربه سجن ميونخ حيث لفظ هتلر خطابا ناريا صاعقا هشم فيه روهم وادانه بالشذوذ الجنسي وبسائر الموبقات البشرية٠ ثم بدأت المذبحة بعد الظهر واستمرت الى المساء في فترات متعاقبة٠ وقد جرى استبدال الفرق التي تطلق النار اكثر من مرة بغيرها، من جراء الاجهاد العقلي الذي اصاب الجنود٠ اما روهم فقد طلب اليه ان يقتل نفسه بيده ولما رفض دخل عليه اثنان من زعماء بلدة داخو المجاورة وقال له احدهما ويدعى أيك: "ان الرجال البارزين الذين يعرضون رقابهم للخطر يجب ان يعدموا بأيدي رجال بارزين"٠٠واصلي روهم فورا بوابل من العيارات النارية٠

ولما اطمأن هتلر الى استتاب "الامن" طار الى برلين بعد ظهر اليوم نفسه٠

مذبحة اخرى في برلين

وفي غضون ذلك كان غورنغ قد تلقى من ميونخ اشارة البدء بالعمل من غوبلز فبادر فورا الى احتجاز فون بابن في منزله وباشر مذبحته الواسعة٠ وقد اتسع نطاق الاغتيالات هنا فشمل اكثر من صفوف جيش الصاعقة اذ قتل فون شليخر وزوجته بينما كان يقرأ في منزله، وأعدم غريغور شتراسر ومساعدي فون بابن يونغ وفون بوس وغيرهما من الرجال المقربين اليه٠ ولكن فون بابن نفسه لم يصب بسؤ لسبب لا يزال مجهولا٠ وفي غضون الاربع والعشرين ساعة القادمة اختفى العديد من الرجال الذين لا علاقة لهم "بمؤامرة" روهم، قدر عددهم بخمسة الآف شخص٠

وفي مساء اليوم التالي (الاول من تموز يوليو) توقف اطلاق الرصاص ليظهر هتلر على شرفة المستشارية في برلين ليتلقى هتاف الجماهير التي خيل اليها انه كان ضحية مؤامرة٠

وفي تلك اللحظات بدا الفوهرر وكأن نشوة النصر تكاد ان تطفر من وجهه٠٠ كيف لا وقد حفظ في تلك الليلة التي دخلت التاريخ باسم "ليلة الامواس الطويلة" وحدة نظامه وقضى على كافة الذين اعتبرهم اعداء ومنافسين٠

ولكن هل ينسى الفوهرر اولئك الذين مكنوه من رقاب اعدائه؟

ابدا٠٠٠فها هو ذا هملر المرعب يدعوهم جميعا، وقد اربى عددهم على المائتين، الى احتفال مغلق في برلين شكرهم في اثنائه على جهودهم الجلي للفوهرر العظيم وأهدى كل واحد منهم خنجرا طويلا حفر عليه اسم هملر٠ ثم اقسموا جميعا، وتحت طائلة الموت، ان يدفنوا في قلوبهم والى الابد اسرار ليلة الامواس الطويلة٠

وفي الثاني من آب (اغسطس) مات الرئيس العجوز الخرف هندنبرغ ليصبح هتلر رئيس الرايخ الثالث والسيد الاوحد في طول المانيا وعرضها٠ ■

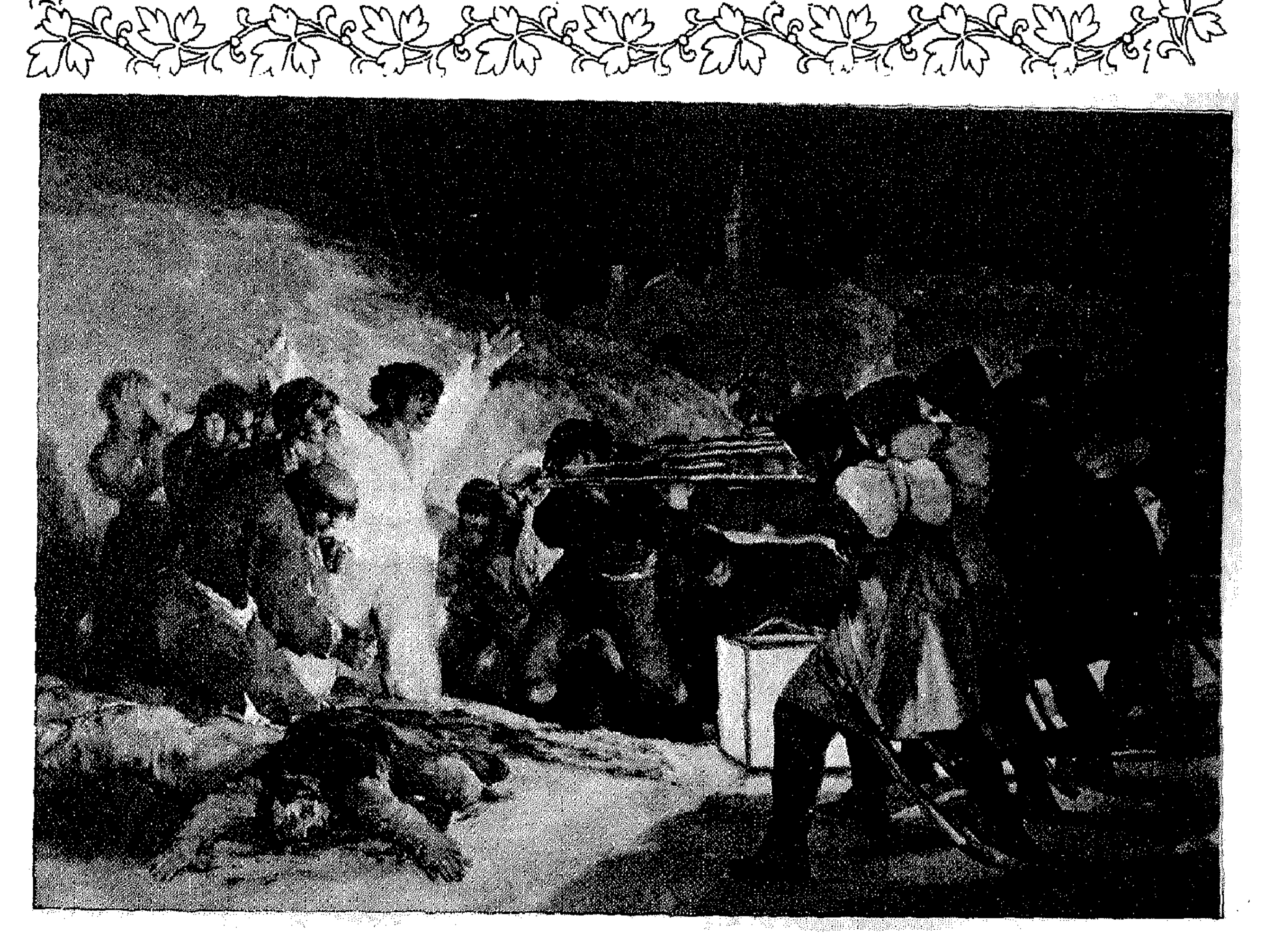
المراجع

☐ مذكرات ونستون تشرشل
☐ مذكرات فون بابن
☐ مقال لاليزابيت وسكمان في مجلة **History Today**

الفنان غويا

الوطني الصاخب

دوغلاس هالت
ترجمة : مركز الدراسات



□ عملية الاعدام في ٣ ايار ١٨٠٨، رسم معبر للانتفاضة الشعبية ضد القوات الفرنسية التابعة لمورا. (متحف البرادو - مدريد).

"نحن مجانين: ليس كأفراد بل على المستوى القومي، نحقق في ذبح انسان وجرائم القتل المعزولة، ولكن ماذا عن الحرب وجريمة ذبح شعوب بكاملها؟".

■ هكذا كتب سنيكا، رجل الدولة والفيلسوف الروماني الذي ولد في قرطبة، في جنوب اسبانيا، واكثر كتاب القرن الاول بعد الميلاد حساسية، وبعد ثمانية عشر قرناً اتخذت ملاحظاته قوة تنبئية خلال الحرب الضروس التي اثارتها غزوة نابوليون لاسبانيا سنة ١٨٠٨، وفي مرة ثانية خلال المأساة المدمرة التي سببتها الحرب الاهلية سنة ١٩٣٦ - ٣٩.

كان سنيكا يعرف شعبه جيداً، ولكن لم يكن هناك من اسباني استطاع ان يصور خصائص وانفعالات مواطنيه بقوة نابضة بالحياة وبنفاذ مثل فرنسيسكو غويا، رسام البلاط ومسجل اكثر اعماق الانسان ظلمة، يقال ان خادمه سأله مرة لماذا يرسم الاعمال البربرية التي يقترفها الانسان فأجابه غويا: "لكي اخبر الناس ابداً بانهم لا ينبغي ان يكونوا برابرة".

في ما يتعلق بشباب غويا والسنوات التي شكلته انساناً، هنالك بعض الحقائق التي لا تقبل الجدل، لقد ملأ هذا الفراغ مؤلفون خياليون وكتاب الشاشة السينمائية في هوليوود، يروون عن حفلات مصارعة الثيران والتقاتل في الحانات ومحاولات الاغواء، كمنطلقات رئيسية - من جميع النواحي - وبالتالي ارتقاء الى قبة الفاتيكان خلال السنوات التي بددها في ايطاليا، فلقد صورت الاساطير غويا ثائراً منذ طفولته، يغتاظ للقيود التي وضعها عليه مجتمع غير متفهم ونسيب له صارم غارق في تقاليد نيو - كلاسيكية لا يمكن تصورها، ان رواية الشاشة تظهر غويا رافضاً كل سلطة ومندفعاً بقوة متفردة، يبلغ اوج تحديه البغيض بينما يرسم على ضوء الفانوس جثث الضحايا الابطال في "دوس دي مايو"، ومن حسن التوقع، ان دوقة "البا" جلست امامه كنموذج للسيدة العارية "ماخا دي سنودا" وهكذا ملئت سنوات غويا الغاربة بذكريات الماضي العزيزة والعاطفية، فالحقائق تظل بكل اسف اكثر بعداً، ولكن ما تفقده من رومانيكيتها الشائعة بين الناس تعوضه بالثقة البسيكولوجية.

غويا الريفي

ولد "فرنسيسكو غويا أي لوسيانتس" في قرية صغيرة في الاراغون بالقرب من سرقسطة سنة ١٧٤٦، تدرب على يد والده الذي يعمل كصائغ محلي، وعلى يد عدة فنانين يرسمون على الطراز الباروكي وهو الاسلوب الشائع في تلك الايام، وكان الحج الى ايطاليا للدراسة ما زال يعتبر شرطاً لابد منه، ومع ذلك فيجب ان تكون زيارة غويا قد جاءت مع نشر رائعة "ونكلمان" في ١٧٦٤ التي اعادت تقييم الفن اليوناني واحيت الروح الكلاسيكية من جديد، والاكثر بداهة كانت اضطرابات "اسكويلاش" في مدريد التي شاهدها غويا في آذار ١٧٦٦، ومع ان الاضطرابات كانت موجهة ضد اشكال الازياء الاجنبية وانتشار الوزراءالايطاليين في البلاط، فقد كانت كذلك تأكيداً للتقاليد الاسبانية.

ولابد أن هذا الشاب الريفي الذي شاهدمدريد للمرة الاولى ان يكون قد ارتبك وابتهج للتيارات المعارضة من سياسية وفنية التي كانت شائعة في العاصمة في الثلث الاخير من القرن الثامن عشر.

لم تكن رسوم غويا في بدايتها عادية فحسب، فقد كانت تنم عن جوانب ساخرة ومتعددة تتكيف مع اي اسلوب، او رغبة، علمانياً كان او اكليركيا، وهكذا اتسمت سنواته الاولى: باختيار ينسجم مع ما يعطيه من امثلةغير بارعة من الزخرفة الكنسية المفرطة في التعقيد فضلا عن مواضيع معالجة بالطريقة الكلاسيكية، هذه المقدرة على العمل في وقت واحد في مواضيع متضاربة وعلى نطاق واسع من الاساليب بقيت صفة مميزة عند غويا طوال حياته، في هذه الحقبة كان يبدو غير مكترث للقضايا السياسية والاجتماعية في تلك الايام، بل يوجه جهوده لكي يصبح الرسام الرسمي للبلاط، وكان زواجه سنة ١٧٧٣ من خوسيا بايو شقيقة احد الفنانين الطليعيين في مدرسة "مانغس" للرسم الكلاسيكي الحديث خطوة مفيدة لتحقيق غايته، ففرانسيسكو بايو، ذلك الرجل الصارم، المتعكر المزاج، علم مع ذلك نسيبه تقنيات جديدة، وبالرغم من المشاحنات الشخصية العديدة، فقد ساعد ذلك غويا على التقدم في مهنته.

وكانت اولى النتائج تلك المناظر الريفية التي رسمها غويا في اولى لوحاته وتحولت بعد ذلك الى تصاميم للجدرانيات الملكية، والاشكال النموذجية الاسبانية كانت تلك التي تمثل "الماخا والماخو" والمتعجرفين بالالبسة الانيقة ذات الاسلوب المحبب الى الطبقة الفقيرة والاريستقراطية على السواء، ومع انها اخاذة اكثر مما هي مبتكرة فقد اشارت الرسوم "التصاميم" من البداية الى ما سوف يحدث في ما بعد، وقد قالت انطونيا فلانتين حرفياً: "ان غويا في رسومه "التصاميم" كان كالشاعر العظيمالذي يخطط بالنثر التافه عناصر قصائد ينظمها في ما بعد لتصبح خالدة".

والتقدم المفاجيء الذي حصل في سيرته هو تكليفه برسم صورة بالالوان للكونت فلوريدا بلانكا، رئيس وزراء شارل الثالث، وقد كان الكونت مثل غويا، من اصل متواضع، ليبرالياً حراً ومعادياً لكل من يعيق التقدم وانتشار المعرفة، والفرق بين الاثنين هو ان غويا، وقد اصبح في



ـ الكونت فلوريدا بلانكا (١٧٢٨ ـ ١٨٠٨) كان وزيراً بارزاً للملك شارل الثالث، ويبدو غويا الى اليسار.

السابعة والثلاثين من عمره لم يكن قد اشتهر بعد، بينما فلوريدا بلانكا ـ كما يظهر بوضوح من صورته الرسمية ـ كان ينعم بمركز رفيع، ويسيطر رئيس الوزراء على اللوحة تماماً، وتلتف حوله شارات الشرف والوظيفة: وجه متغطرس يحدق بتركيز في وجه الناظر اليه، متجاهلا تماماً امين سره الوجل في الخلف والفنان الذي يقف باحترام يعرض لوحة على انظاره.

مصور اشخاص

لا تعد اللوحة من الروائع ـ انها فعلا تفاهة نيوكلاسيكية ـ انما كانت الرائدة والمبشرة بصعود غويا والاعتراف به كمصور اشخاص. ومع الشهرة اتته الثروة وكذلك درجة من الاستقلال الفني اتاح له بدوره اساليب جديدة للتعبير الفني.

وقد تم لغويا الآن الانخراط في المجتمع الاريستقراطي وكذلك في عالم الادب، وبالرغم من ان الكثيرين من انبل العائلات الاسبانية يدركون نسبهم ومركزهم الاجتماعي الا انهم تشربوا روحاً ديموقراطية مما جعلهم يتقبلون بسرور صحبة الماخو (المتأنفين)، ومصارعي الثيران، والكتاب والفنانين. وغويا الذي دخل الاربعينات من عمره باشر سلسلة رسوم للافراد والعائلات، تشمل رسوم العائلة الثرية اوسونا، وابن الملك دون لويس وشقيق الملك. لقد دخلت ماريا تيريزا، حفيدة الملك البالغة من العمر سنتين، على الفنان وهو يرسم لوحة جامعة. وبعد سبعة عشر عاماً، تماماً، قام غويا برسم صورة لها كزوجة مانويل غودوي، الرجل المفضل في البلاد والحاكم الحقيقي لاسبانيا، يكشف فيها شقاء الزواج الخالي من الحب.

لم يكن يبدو هناك من تلميح الى مأساة مستقبلية في هذه الاعمال المبكرة، ولكن نزوع غويا الى النوعية المختلفة، وهو انعكاس لموقفه الشخصي تجاه موضوعه، عرف بسرعة وكثر التعليق على الموضوع، فصورة شارل الثالث بملابس الصيد تظهر عاطفة كبيرة وتفهماً لصاحب الجلالة الملكية، بينما الكونت كاباروس، والد مدام تاليان، قد رسم بوضع متوتر يفوق الخيال.

في ٢١ ايلول ١٧٨٩ بدأت احتفالات الايام الثلاثة الرسمية بمناسبة اعتلاء شارل الرابع وماريا لويزا كملكين جديدين عرش اسبانيا، وكان قد تم اقتحام الباستيل واحتلاله، ولكن ذلك كان عالماً آخر، وبالرغم من ان غويا كان ساخطاً لتعهداته بانجاز رسوم تصاميم الجدرانيات للبلاط، فقد كانت المهمات والطلبات تنصب عليه من الاغنياء وكذلك من الممثلين واصدقائه الشخصيين. وخلال هذه المرحلة التي تبدو في الظاهر مرضية فقد كان هنالك صخب داخلي يتجمع في اعماق الفنان يوازي كثيراً الاكتئاب الذهني الذي يعانيه السياسيون التقدميون والكتاب كجوفلانوس صديق غويا، وبالرغم من مواظبته على اعتماد الاساليب التقليدية، فقد اخذ غويا اكثر فأكثر يتحبيذ لمسات الفرشاة القصيرة والقوية، حتى استعمال الخرق والاسفنج لوضع التلوين. واخذ يعمل باسرع ما يمكن حتى يلتقط الانطباع الاول ويحوله الى لوحة، والخلفيات اصبحت مظلمة خالية من التفاصيل غير الضرورية، وظهر على نحو واضح تأثير كل من رامبرانت وفيلاسكيز في استعمال طريقة توزيع الضوء والظل في الصورة للحصول على تأثير نفسي اكبر.

شلل وصمم جزئي

وفي ١٧٩٢، تلك السنة المشؤومة التي تسلم فيها جودوي زمام الحكم من فلوريدا بلانكا، اصاب غويا مرض شديد اثناء زيارته للاندلس وبدأ في احد الاوقات تخوف من ان يفقد بصره، وحتى

حياته، فكانت النتيجة شللا وصمماً جزئييـن ممـا عوض الفنان رؤيا باطنية قوية، وما لبث ان قامت الحرب بين اسبانيـا وفرنسـا الثوريـة، واخـذت اسبانيا تفقد استقرارها، فضلا عن علاقة الملكة الفاضحة بغـودوي والتـي هـزت ايمـان الشعـب التقليدي بحكامه. وقد رأى غويا المجتمع على جميع المستويات وكأنه مختبىء وراء قناع ليخفي طبيعته المنحطة. فلم يعد مهماً ان تكون مواضيعه رسميين من الحكم او قرويين يحتفلون بانتهاء موسم عيدالمرفـع (الكارنفال) فالجميـع اصابهـم الخبل، وكذلك كل حشد من الناس الذين يتجمعون اما لمشاهدة موكب ضاربي السياط، او مصارعة الثيران، او نزلاء مصح الامراض العقلية. وسرعان ما يتحد المشاهدون والضحايا بهذيان شامل. هذه السلسلة من التسليات الشعبية سمحت لغويا ان يغزو ويتفحـص عالـم الهستيريـا الجماهيريـة، والخرافات والجهل، وهو موضوع يمكنه الرجوع اليه بصورة اقوى.

تعرف خلال احدايام عام ١٧٩٥ الـى دوق ودوقـة البا. وكانت ثروة الاخيرة تضاهي ان لم نقل تزيد عن ثروة العائلة المالكة، وكـان العـداء المشتـرك بين الملكة والدوقة موضوع فضيحة مستمراً ساعد على وضع الحوادث المشؤومة في باريس بعيدة عن الاضواء. وبعد وفاة الدوق في ١٧٩٦ امضى غويا عدة اشهر في ممتلكات البا في سانلوكار بالقرب من قادش، لمؤاساة الارملة التي نفتها ماريا لويز من مدريد وكانت تحقد عليها. ومع ان اللوحتين اللتين رسمتا بالحجم الطبيعي للدوقة، تلك المرأة القوية الارادة، هما مما يثير الاعجاب فنياً، الا ان فيهما شيئاً من الانقباض وتنقصهما الحيوية.

كان عمر غويا الآن قد تجاوز الخمسين، وهو ذلك الريفي الصلب، القوي البنية، الذي لا يزال قليل الثقافة. وكانت الدوقة التي تصغره بعشرين سنة تقريباً، تتـوق الـى رفيـق اكثـر اناقـة ومفعمـاً بالحيوية. من هنا انتهت تلك العلاقة وعاد الفنان الى مدريد والى افكاره الكئيبة.

مشروعان مختلفان

وكما هي الحال في اغلب ايام حياته، بدأ غويا الآن يعمل في مشروعين يختلفان تماماً الواحد عن الآخر. ففي ١٧٩٨ كلف بتزيين كنيسة سان انطونيو دي لا فلوريدا الجديدة بمشاهد تصور معجزة قام بها هذا القديس. ولم تكن الاشكال العامة تنم عن حيوية وروعة وانما يبدو ذلك بخاصة في حشد من الاشخاص، كل يمثل بحد ذاته معجزة فنية.

وبعد عدة سنوات من وفاة غويا في فرنسا اعيد جثمانه الى مدريد ودفن امام مذبح الكنيسة التي بث فيها حياة جديدة، تقريباً كما اعاد سان انطونيو الحياة الى الرجل الذي مات.



... دوقة البا - ١٧٩٧ - الجمعية الاسبانية ...

في الوقت ذاته تقريباً بدأ غويا سلسلة محفورات تحمل عنواناً عاماً هو Caprichos - "اهواء فنية" - يفترض ان تكون سلسلة بريئة لرسوم غريبة يقصد منها ان تمثل مرآة المجتمع. لم يتقبل احد هذا العمل الساذج وعلى الاقل معاصروه. فكانت الثمانون قطعة من هذه "الاهواء الفنية" سلسلة متعاقبة من الهجاء والسخرية تؤكدها تعليقات الفنان اللاذعة التي ترافق كل مشهد. فهي بغرابتها وهلوستها صورة خالصة عن مرض اسبانيا الاجتماعي والسياسي. ومع ان غودوي اغرق عن غير قصد بلاده بالحرب ضد فرنسا الثورية فقد تمكن من التمتع باللقب الوهمي: "امير السلام". وقد فاخر مرة بقوله: "ان اسمي يعني Goda Soy اي انا القوطي" وعلى هذا فان سلسلة نسبة ترجع الى القوطيين. وقد رسم غويا صورة حمار يدرس باهتمام سلالته بالطريقة نفسها. حتى ان دوقة البا لم تنج من اذاه نظراً للطريقة الوقحة التي صرفت بها الفنان. انما مثل هذه المؤشرات الشخصية هي عرضة لموضوع "الاهواء الفنية"



□ فرنسيسكو غويا: رسم للفنان بريشته حوالي عام ١٧٧٥ (المتحف البلدي ـ ساراغوسا).

الرئيسي الذي يمثل شبح الجنون المخيف بكل اشكاله، اذ يظهر في احدى المحفورات رجل ـ لعله غويا نفسه ـ يتهالك يائساً على طاولة تنقض عليه مخلوقات ليلية بطريقة بشعة. وقد كتب الفنان تحتها هذه العبارة: "نوم لعقل يولد الوحوش المخيفة".

وهكذا فان القرن الثامن عشر الذي يفخر بأنه عصر النور قد مات. وان عصراً من الرعب اللاعقلاني، كما تخططه "الاهواء الفنية" اصبح على الابواب.

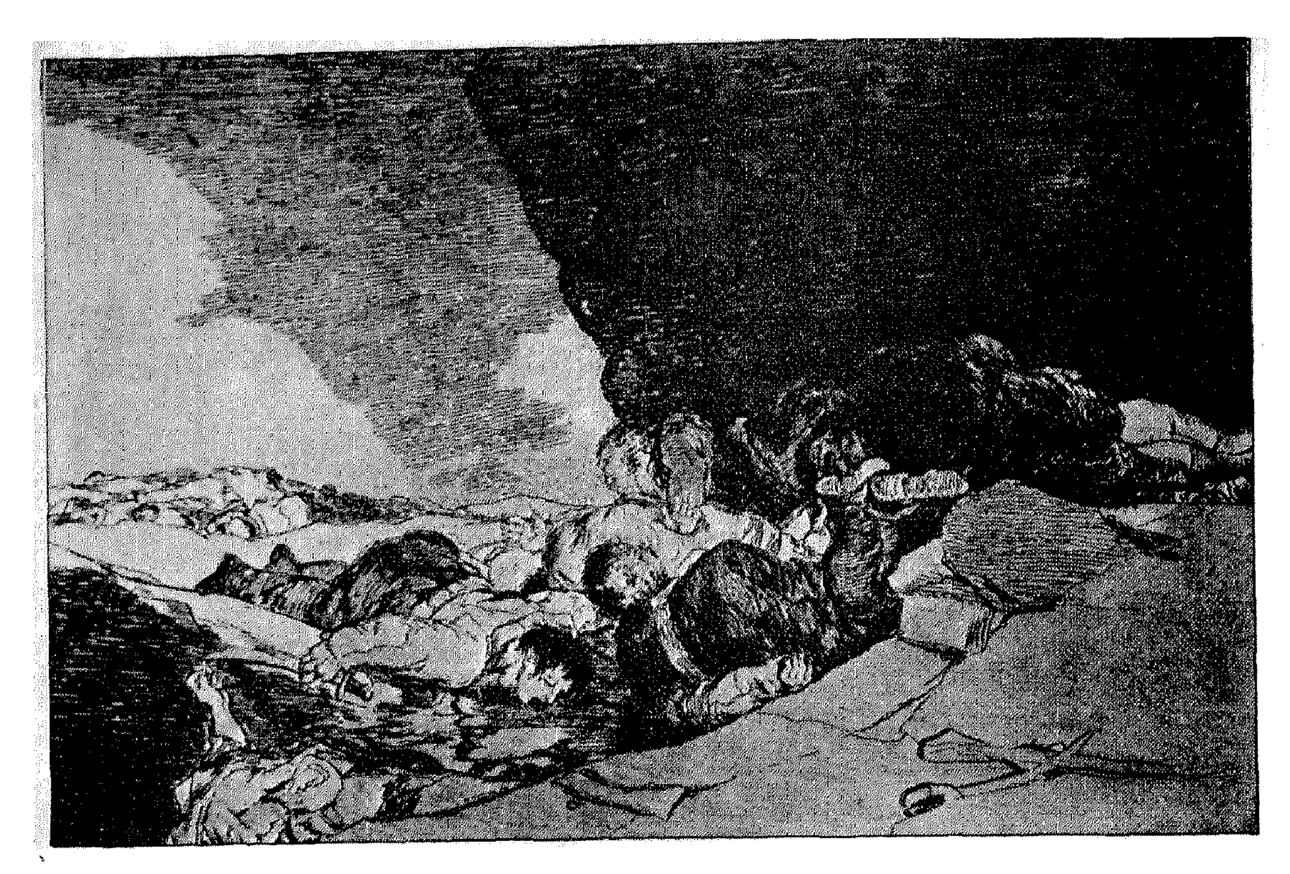
ولاء غويا

ومهما كانت مشاعر غويا الشخصية فانه في سلوكه العام اظهر تصرفاً مميزاً. وباستسلامه ظاهراً الى مراهنات غودوي ـ الذي تعلم حتى مبادىء لغة الاشارة التي يتحدث بها مع الفنان الاصم ـ فقد رسم غويا زوجة هذا المقرب من البلاط وبعد ذلك بوقت قصير رسم "امير السلام" نفسه بملابسه المبهرجة. ان زوجة غودوي، وهي ابنة عم الملك، والان الكونتس تشنشون، قد فقدت كل ملامح براءة الطفولة التي التقطها غويا قبل سبعة عشر عاماً. وفي رائعةاخرى تحليلية استطاع غويا ان يرسم نفسيتها وهي تحمل طفل زوجها القاسي. ويبدو فيها غودوي بمظاهر الابتذال في وضع غير عسكري وبهيكله الضخم مضجعاً على كرسي منقوش وفي خلفية متنافرة.

لعل غويا اخطأ في ولائه غير الواضح طوال حياته. ولكن صوته الباطني الفني كان ينطق بصدق اخلاصه. وليس ادل على ذلك من اللوحة الاخاذة لعائلة شارل الرابع التي رسمها عام ١٨٠٠. والواقع ان احداً من الفنانين لم يصف قبلا الانحطاط الشامل للاجيال القادمة بضربة ريشة ارشق من ريشته البارعة. اما وقد اصبح الان في الخمسينات من عمره فقد امتلك غويا اخيراً الثقة بفعل عبقريته القادرة.

ولم يحل تعيينه كرسام اول للبلاط سنة ١٧٩٩ دون اخماد مقته المتنامي للجنس البشري وانكفائه الى عالمه الداخلي. وسرعان ما سجن صديقه جوفلانوس لاوهى التهم، وسنة ١٨٠٢ ماتت دوقة البا بصورة غامضة، ولم يكن لها من العمر سوى ٤٠ سنة.

وفي الواقع فان غويا قد تقاعد بعض الشيء بينما هو في اوج عطائه وشهرته الفنية. فلم يعد



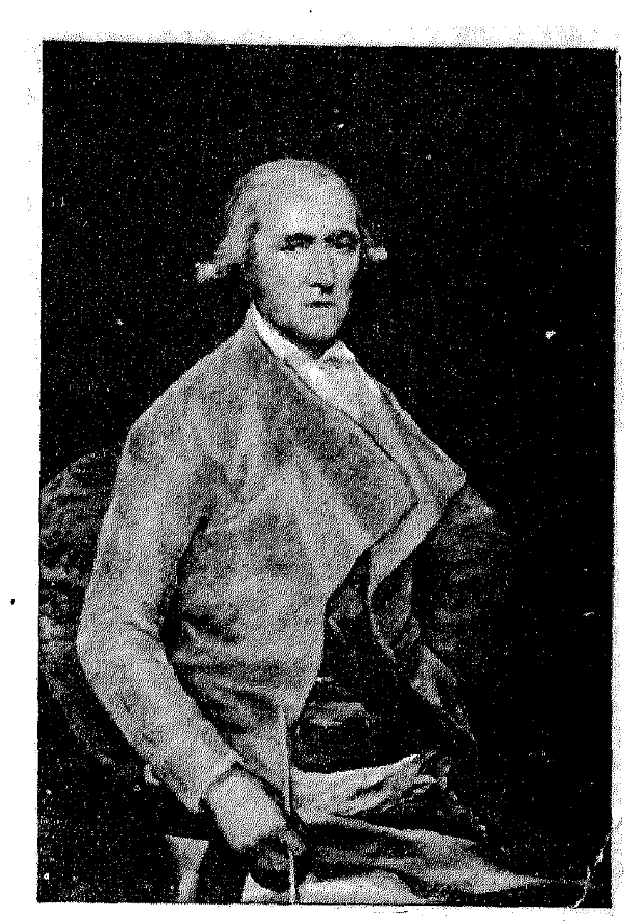
☐ مآسي الحروب . رسمت ايام حملة نابليون بونابرت لاسبانيا . (الجمعية الملكية للفنون الجميلة) .

ثمة من صور لشخصيات البلاط، ومن الصعب تحديد تاريخ لوحات هذه الحقبة القاحلة بدقة لانها تختلف من حيث الاسلوب والالهام . والوحيدة كانت الغزوة النابوليونية وما تبعها من ازمة وطنية سنة ١٨٠٨، هي التي ايقظت عبقرية غويا الراقدة في سن الثانية والستين . وقد اضيف آنئذ الى رؤياه الذاتية كرهه للحرب والدمار المنتشر .

فالحالة التي وجد غويا نفسه واقعاً فيها كانت نموذجاً يمثل الكثيرين من الاحرار الاسبان . وبالرغم من انه اغتبط لتنازل شارل الرابع وماريا لويزا، وابتهج لسقوط غودوي (الذي وجد في حوزته كلتا اللوحتين للسيدة الشهيرة)، فالمذبحة وما تبعها من انتقام غير ضروري بعد الثورة الشعبية في الثاني من ايار حولت الحماس المبتدىء للافكار الفرنسية الى نفور عميق منها . وبالرغم من ان هناك اساساً واهياً للقول بأن غويا قام بدراسات دقيقة للضحايا التي سقطت، فمما لا شك فيه ان وحشية تلك الساعات انطبعت في اعماق ذهنه . وعندما قام بعد ست سنوات برسم لوحتيه الزيتيتين الخالدتين فان تفاصيل هذه الحوادث الاليمة لم تكن قد تخلت عن تأثيرها عليه .

وبعد هزيمة الفرنسيين غير المتوقعة في "بايلن" والمقاومة البطولية لسرقسطه المحاصرة تحت امرة خوسيه بالافوكس، عاد غويا الى موطنه في تلك المقاطعة وتوجه منها لزيارة المدينة . وقد تأثر غويا للدمار المرعب الذي حصل خلال المراحل الاولى من الحرب ولبطولة الجنود الاسبان وكذلك المواطنين العاديين . ومحفورته لاوغستينا سرغوزا وهي تطلق المدفع بعدموت طاقمها اكتسبت قوة رمزية .

حادثتان متزامنتان كان لهما تأثير في موقف غويا . الاولى كانت قيادة نابوليون الشخصية للحرب وتثبيت اخيه جوزف على عرش اسبانيا الخالي . وخلافاً للرأي الاسباني، كان جوزيف من الاحرار المستنيرين، تواقاً حقاً للقيام باصلاحات كالغاء محاكم التفتيش والحقوق الاقطاعية . ومخططاته الطموحة لتحسين مدريد، ودعمه للفنون، جعلت هذا الملك الدمث الاخلاق شعبياً حقاً بين اولئك القلائل الذين تقربوا منه . ومع ان غويا لم يرسم لوحة رسمية "للملك الدخيل" فقد نسخ صورة لجوزيف عن مطبوعة وعرضها بشكل ظاهر في "رمزية لمدينة مدريد" . هذه اللوحة خضعت لتغييرات متتابعة في السنوات التي تلت عكست مساوىء الحرب . وفي ما بعد في القرن



[illegible]
(متحف البرادو - مدريد)·

التاسع عشر ازيلت التغييرات التي رسمت فوق صورة جوزيف واستبدلت بلفيفات كتب عليها "دوس دي مايو"·واهم من ذلك؛ فقد رسم غويا عدداً من الاعيان الفرنسيين خلال احتلال مدريد؛ بما في ذلك الجنرال نيقولا غوي وبضعة من الاسبان المتفرنسين·وبصفته رسام البلاط فقد اوكل الى غويا مهمة المساعدة على اختيار خمسين عملا من الاعمال الفنية الاسبانية لتزيين متحف نابوليون في باريس·

اما الحادثة الثانية فكانت نتيجة للاولى· اذ ان هزيمة نابوليون لعدة جيوش اسبانية قد بلورت المقاومة وحولتها الى حرب عصابات شاملة انهكت قوات الاحتلال بهجماتها المتكررة· وما نجم من فظائع قام بها الطرفان - غالباً من النوع السادي اشتملت على التمثيل بالجثث - غيرت تماماً طبيعة الحرب بأكملها· فامتلأت نفس غويا اشمئزازاً لهذه المذبحة المفرطة وذلك التدهور الانساني؛ وبادر الى رسم النهب والدمار بشكل دائم· والقوى المكبوتة التي لفتت الانظار سابقاً في "الاهواء الفنية" تفشت الآن في الارض؛ وظهر تخطيطها في المحفورات التي تشمل "نكبات الحرب" وتكشف الهول الكامل للحرب الشاملة· ان المشاهد الواقعية للاغتصاب والفظائع الاخرى التي قام بها المدنيون بعضهم ضد البعض هي اتهام بليغ للحروب في جميع الازمان·

والكرب الذي عاناه غويا كان باطنياً؛ في الواقع لم تعرف "النكبات" الا بعد وفاته بفترة من الزمن · فبدلا من توزيع الاثم على هذا الجانب او ذاك لاسباب وطنية فقط؛ فقد ادرك غويا ان الجريمة الحقيقية هي الحرب نفسها· لقد بقي اثناء القتال في مدريد يرسم اصدقاءه وافراد عائلته وكذلك الافراد العسكريين الذين كانوا يمرون عرضاً· وفي احدى نزهاته القليلة خارج العاصمة رسم دوق اوف ولنغتون في "البادي توميس" مباشرة بعد معركة ارابيليس (سلامنكا) سنة ١٨١٢؛ في جلسة قيل انه جرى فيها شيء من تبادل الهجمات بين قائد وفنان· واللوحة التي تمثل ولنغتون على متن جواد والتي رسمت في ما بعد لا تثير الاعجاب؛ حتى ان اللوحة الشهيرة التي تمثله في البزة الرسمية تفتقر الى التعمق الفني· ولا يقال الشيء نفسه عن اللوحة ذات الحجم الطبيعي لفرديناند السابع لدى عودته من المنفى الفرنسي· انها تمثل بعض ما اختزن من كراهية الملك الجديد وحقده على كل لمسة ريشة· وهي خلاصة وافية لكل الشر الذي واجهه به اولئك الاحرار والوطنيون الذين كانوا قد حرروا اسبانيا من الفرنسيين·

يبقى ان غويا غادر الحياة تاركاً للناس ومضة من الامل ان "نكبات الحرب" ذلك العرض للكراهية والرعب؛ ينتهي بسمة مميزة متفائلة توجب الدهشة "الحقيقة والصواب" عادا الى الحياة بتفجر من نور متألق· وكما كان في حياته الخاصة؛ فان غويا يروي لنا أن الشدائد هي تحد يجب التفوق عليه؛ ولعل هذا هو الجواب على كل ذلك·■

■ عن مجلة History Today
آب اوغسطس ١٩٧٣

جون روكفلر

اسطورة حقيقية جعلته أغنى أغنياء العالم..

الآن ديكو

ترجمة: مركز الدراسات والأبحاث في "تاريخ العرب والعالم"

جون د. روكفلر، اغنى اغنياء الولايات المتحدة الاميركية والعالم في القرن التاسع عشر، يعتبر نموذجاً للانسان الناجح في الدول الغربية الرأسمالية. تحدث وكتب عنه الكثيرون ولكن لم يستطع ان يبرز شخصيته الحقيقية بكل عريها الا الكاتب الفرنسي "ألان ديكو" (١) الذي ربط بحق بين طموح روكفلر الى النفوذ والسيطرة وبين الفترة الذهبية للرأسمالية الاميركية في بدء انطلاقها وازدهارها.

لا يسرد ديكو في مقالته مجمل السيرة العامرة والفاضحة لجون د. روكفلر، وانما يشدد على هذه الظاهرة الفريدة من نوعها في العالم والتي لن تتكرر اطلاقا في عصر الاحتكارات والتكتلات الاقتصادية الضخمة: ظاهرة تكديس اكبر ثروة مالية في عالمنا المعاصر بين ايدي انسان فرد انطلق من الصفر ووصل الى ذروة النجاح المادي باستخدام اساليب شتى لا علاقة لها اطلاقا بالاخلاق العامة. من هنا يؤكد ديكو على هدفه من خلال هذا البحث وهو الاجابة عن السؤال التالي: هل عرف هذا الملياردير السعادة؟ والجواب يصدمنا عند كل منعطف في حياة جون د. روكفلر.

(١) راجع مقالته في مجلة "ايستوريا" الفرنسية عدد تشرين الثاني ١٩٧٨، ص ٣٠ ـ ٤٥.

■ في الثامن من تموز ١٨٣٩، وفي قرية صغيرة من منطقة "ريتشفورد" شمال شرقي الولايات المتحدة الاميركية، ولد جون دافيدسون روكفلر.

كان والده، وليام الملقب بـ"بيغ بيل"، من اكبر دجالي عصره واكثرهم دهاء وعربدة. بطاقته الشخصية التي صادق عليها هو من غير استشارة اية سلطة رسمية في المقاطعة، كانت تتضمن الكلمات الآتية: "دكتور في الطب، اختصاصي في امراض السرطان والسل والروماتيزم وامراض الجلد". زبائنه: الصيادون والمغامرون على اختلاف مشاربهم والهنود الحمر. علاجه السحري الذي كان "يشفي" كل هذه الامراض: مياه طبيعية مع قليل من السكر محفوظة في اناء.

... وعلى الاقل فانه كان يبيع مرضاه بعض الامل.

معظم الاموال التي يجنيها كان يخسرها في القمار، وعند ذلك كان يعود مرة اخرى الى "مهنته" الطبية.

كان يزور زوجته واولاده في ختام كل جولة من جولاته الاستشفائية وقبل ان يرتاد الخمارات. فيدخل الى منزله المتواضع مبتسما فرحاً بجعبته المليئة بالدولارات. وكان جون الصغير لا يراه الا في هذه الحالة الميسورة، ومن هنا انطبعت في ذهن الفتى البريء صورة زاهرة عن والده.

لكن المال الحرام لا يدوم. وتقع المصيبة: ففي يوم من ايام تموز ١٨٤٩، وكان جون في العاشرة من عمره، تبلغت عائلة آل روكفلر قرار المحكمة بمصادرة كل املاك الاب وبيعها في المزاد العلني. ويكشف المؤرخ الاميركي "آلاين" عن حيثيات قرار الاتهام التي تقول ما يأتي: "... بسبب تعرضه في شكل عنيف وغادر للسيدة×...، واختطافها رغما عنها واغتصابها مما يشكل تجاوزا للقوانين العامة وانتهاكا لكرامة شعب دولة نيويورك" (٢)

من يومها اصبح روكفلر الاب مطاردا لا يأتي الى المنزل الا خلسة وتحت جنح الظلام ليلتقي مع افراد عائلته (زوجته واولاده الستة)، وما يلبث ان ينطلق هاربا كالطريدة، عند بزوغ الفجر. واصبح انسانا غريبا تروى حوله الروايات وتنسج القصص والاقاويل والاشاعات الى درجة ان احدا لم يعرف كيف واين مات.

جون وحياة التقشف

اذن، بدأ جون الصغير ومنذ العاشرة من عمره حياة تقشف تختلف تمام الاختلاف عن حياة "البذخ" التي عرفها في الصغر من دون ان يعيها. واخذ منذ ذلك الحين يقدّر قيمة المال حق قدره. ذات يوم اهداه احد الاقارب ديكين حبشيين. فما كان من جون الصغير الا ان رباهما فتكاثرا، ثم عرض كل ما لديه للبيع في اعياد نهاية السنة وكان قد بلغ الثانية عشرة من عمره، فحصل بالمقابل على الخمسين دولارا الاولى في حياته من تعبه وجهده.

بعد فترة وجيزة عمل عند احد المزارعين لمدة ثلاثة ايام في جمع البطاطا مقابل ٣ دولارات. لكن العمل كان مرهقا للغاية وهو لم يعتد بذل كل هذه الطاقة مقابل ٣ دولارات فقط. فكيف يزيد امواله القليلة بسرعة ومن غير جهد جسدي مرهق؟

وجد جون الصغير الحل صدفة بفضل جرأته: فقد عرض على احد المزارعين المعوزين الخمسين دولارا مقابل فائدة قدرها ٣ دولارات ونصف الدولار. وبعد اشهر قليلة استعاد المبلغ بكامله مع الفائدة. وهكذا اكتشف قانون الرأسمالية المقدس على طريقته الخاصة بما كان يناسب عمره، عندما قال: "فهمت منذ ذلك الوقت انه من الغباء العمل من اجل جمع الاموال. يجب ان تعمل الاموال هي لاغنائك".

لذلك كان من الطبيعي ان يدخله اهله، فور انتهائه من المدرسة الابتدائية، الى مدرسة التجارة في كليفيلاند حيث برع في الحساب في شكل قل نظيره في تاريخ المدرسة. صحيح انه كان ينفر من كل ما له علاقة بالادب والتاريخ والفنون والعلوم، الا ان ميله الشديد للارقام كان يعوض بعضا من تقدير الاساتذة له.

فور تخرجه من مدرسة التجارة، وكان في السادسة عشرة من عمره، بدأ بالبحث عن عمل ما اي عمل. وكان في كل مرة يصطدم بالرفض: "لا عمل لك عندنا يا صغيري". هذا هو الجواب الذي كان يتلقاه. ويعود في المساء الى البيت خائبا.

ذات يوم قال له احد الذين توجه اليهم، وكان مساعد مدير شركة "هويت اند تيوتيل" للنقليات: "اصبح الوقت ظهرا. اترك لي مجال الغداء. سنتحدث في الموضوع في ما بعد". وانتظر جون الصغير على باب المبنى من الساعة الثانية عشرة ظهرا حتى الثانية بعد الظهر. ولدى عودته استغرب رب العمل وجوده وسأله: "هل ما زلت واقفا هنا منذ الثانية عشرة ظهرا؟" اجاب جون: "نعم. قلت لي ان اترك لك مجالا للغداء فانتظرتك. لم اكن اعرف انك ستغيب طويلا لانني انا شخصيا اتغدى خلال ربع ساعة فقط".

وهكذا ببراءته كسب جون الصغير الجولة الاولى: عمل فترة قصيرة كمساعد محاسب في شكل تجريبي، ولما أبدى نشاطاً ملحوظا تمّ تثبيته في وظيفته. كان ذلك يوم ٢٦ ايلول ١٨٥٥. هذا اليوم التاريخي الذي كسب فيه جون د. روكفلر نصف دولار اصبح من الايام التي ظل يحتفل بها سنويا طوال حياته.

تقاليد صارمة

واخذت شخصية جون تنضج وتتكامل. وهذا لم يمنعه ابدا من التمسك الصارم بتقاليد عائلة آل

(٢) كثيرون من الصهاينة الاميركيين شككوا في صحة هذا الاتهام الا ان ر. كورو، مؤرخ سيرة جون د. روكفلر، ذكر في كتابه "روكفلر ملك النفط" (منشورات بايو، باريس ١٩٣٤) انه لدى مراجعته للسجلات القضائية الرسمية لتلك الفترة فوجئ باكتشاف ان الصفحة المطلوبة مفقودة.



البداية.. عندما اكتشف البترول عام ١٨٥٩!

روكفلر، ومنها اقتطاع جزء من مدخوله للاعمال الخيرية والمثابرة على تأدية الفرائض الدينية بانتظام وخصوصا تسجيل يومياته وارباحه ومصاريفه في مفكرة صغيرة خاصة بالعائلة.

كل شيء كان يشير من خلال يومياته المدونة هذه الى اصراره على ان يظهر بمظهر رجل الاعمال الناجح: كان انيقا لا يبخل في اقتناء افضل الملابس. يستمع جيدا الى محاوريه. يتكلم قليلا وبتركيز شديد، وقليلا ما كان يبتسم. يبدو انه قرأ بامعان ما كتبه كازانوفا (١٧٢٥ - ١٧٩٨) في مذكراته:

"على الانسان الذي يبحث عن الثروة ان يكون مرنا في تصرفاته، حذقا في معاملته مع الغير، متحفظا في احاديثه، ذا شخصية نافذة، متواضعا احيانا، صادقا مع شيء من الخبث، دائما يبدو وكأنه يفهم اقل مما يفهم في الواقع، صبورا، ومحافظا على اناقته...".

لم تكن تنقصه الا زوجة مخلصة. وأول من وقعت عينه عليها كانت الخادمة. ولكن عندما طلبها من والدتها، التي كانت مزارعة في القرية المجاورة، رفضت الطلب رفضا قاطعا بحجة ان ابنتها لا يمكن ان تتزوج من "شاب لا مستقبل له".

وتابع جون عمله الروتيني في الشركة محاولا تخطي هذا الفشل الاول في حياته. وبعد ٣ سنوات طالب المدير بزيادة في الراتب. فرفض الطلب. فما كان منه الا ان قدم استقالته.

ولكن لم يبق طويلا بلا عمل اذ التقى ذات يوم بشاب انكليزي اسمه كلارك. كان هذا اللقاء بحق لقاء عمل بين رجلي اعمال طموحين: جون كان يدخر حوالي ٩٠٠ دولار وكلارك ٢٠٠٠ دولار. فعرض الاول على الثاني انشاء شركة للنقليات مثل شركة "هويت اند تيوتيل"، ربما تحديا للذين رفضوا تقديره حق قدره.

وهكذا تأسست في كليفيلاند شركة "روكفلر اند كلارك" مدعومة بخبرة جون الشاب في مجال النقل والمواصلات.

وتشاء الصدف ان تنشب في هذه الفترة بالذات الحرب الاهلية الاميركية (١٨٦١ - ١٨٦٥). كان الحدث نقطة تحول في حياة آل روكفلر: من جهة اندفع احد اشقاء جون، وهو فرانك الى المشاركة في الحرب على رغم معارضة جون الشديدة له، ومن جهة ثانية استفادت شركة "روكفلر اند كلارك" من الازمة لزيادة اعمالها التجارية وتوسيعها. فقضى شقيقه نحبه في هذه الحرب في الوقت الذي كان جون يكدس الدولارات.

جون: الفا دولار

عند انتهاء الحرب كانت اعمال الشركة في اوج ازدهارها، لذلك كان لا بد من التوسع في الاستثمارات لتلبية الحاجات المتزايدة. من اين يحصل على المال اللازم؟ خطرت له فكرة الاقتراض بعدما اعياه البحث عن وسيلة اخرى. فذهب الى اكبر مصرفي في كليفيلاند يومها، ترومان هاندي، وطلب منه الفي دولار. ودهش جون لسرعة موافقة هاندي على الطلب. لم يكن يعرف مدى شهرته في المدينة ومدى تقدير رجال المال له ولشركته. أخذ المبلغ وانطلق الى المنزل مهللا: "اصبحت اساوي الفي دولار، اساوي الفي دولار..."

وعلى رغم ان بحثه عن المجد والثروة كان يتم من غير تصنع الا ان الانتقادات القاسية بدأت تنتشر في المدينة، خصوصا تلك المتعلقة بثروته التي جمعها خلال الحرب. كثيرون من اعدائه المهنيين والحاسدين عموما ركبوا الموجة ضد جون الشاب بهدف تحطيمه وهو بعد في بداية انطلاقته.

ولكي يقطع دابر هذه المحاولات رضخ لمصلحة الضرائب في المدينة ودفع ١٧ ألف دولار عن ارباحه السابقة. وكان هذا المبلغ الضخم يومها يشير الى ثروته الكبيرة.

لم يكن يسانده في هذه الفترات العصيبة الا القليلون جدا من غير آل روكفلر، من بينهم لورا سيليستيا سبيلتمان، زميلته في الابتدائية ورفيقة دربه الى الكنيسة صباح كل يوم احد. لذلك كان من الطبيعي ان تصبح لورا زوجته.

فتم زواجهما في العام ١٨٦٤ وكان جون يناهز الخامسة والعشرين من عمره. ونجح زواجهما (مع اطفالهما الخمسة) مدى الحياة، اي طوال ٦٥ عاما. وكلمة "نجاح" هنا تعني انهما لم يخدع احدهما الآخر مطلقا.

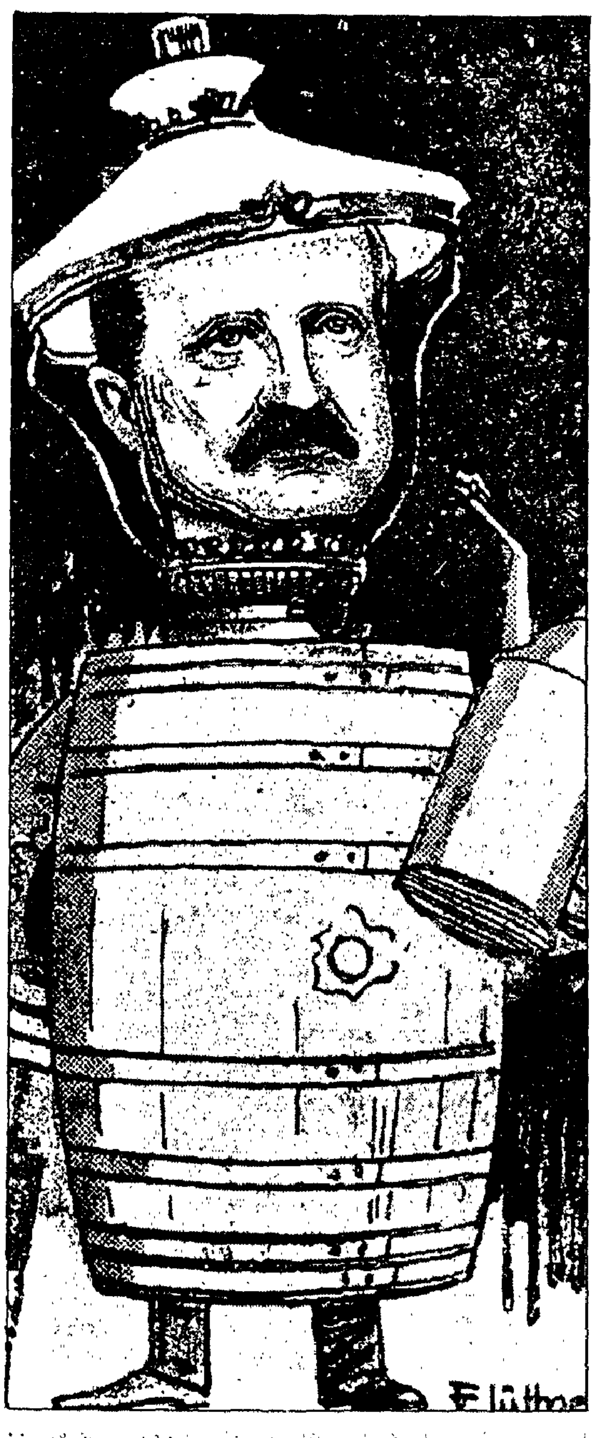
والآن، وبعدما استقر في منزل مستقل، تابع ملاحقته للمجد والثروة في كل زاوية من زوايا القارة الجديدة.

كان جون قد سمع منذ العام ١٨٦٢ عن مادة جديدة اسمها "روك اويل" (زيت الحجر) في مقاطعة بنسيلفانيا. لم يكترث للامر في البدء، الا ان هذه المادة التي سميت في ما بعد بـ"النفط" اخذت تستعمل في مجالات عديدة (كدواء لبعض الامراض، ثم كمادة للانارة...). فقرّر زيارة منطقة "الذهب الاسود" بنفسه ليستطلع الامر عن كثب.

ماذا وجد؟

صعق لهذه الحركة الهائلة من العمال الذين يقومون بحفر الابار هنا وهناك وهنالك وللتجار الذي يضاربون باسعار الاراضي التي يحتمل ان توجد في جوفها كميات من النفط وللهامشيين من الناس الذين يفرّخون في كل موقع تشتم فيه رائحة الدولارات.

لم تعجبه كل هذه الفوضى وكل هذه الاستثمارات التي يضيع معظمها من غير مردود سريع. والشيء الوحيد الذي جعل من هذه الزيارة زيارة ناجحة بالنسبة اليه كان اكتشافه على الطبيعة ان لا قيمة فعلية للتنقيب عن النفط بل كل الاهمية للنفط بحد ذاته ولتكرير النفط في شكل خاص. لماذا؟ لان حسه الرأسمالي اظهر له بحق ان التنقيب عن النفط يتطلب مخاطرة بينما تكريره لا يؤدي الى اية خسارة نظرا الى انه يوجد دائما من يريد بيع نفطه الخام.



ويبدو ان القدر كان يريد مكافأته على جرأته ، اذ عندما طرح جون افكاره هذه على شقيقه الكبير اندروز الذي كان يصنع الشموع ، فاجأه هذا الاخير باكتشافه طريقة جديدة لتكرير النفط تعطي نوعية افضل من تلك الموجودة في الاسواق .

لكن شريك جون ، كلارك ، لم يستوعب تماما هذه العملية الاستثمارية الناجحة سلفا . فتركه .

وهكذا تأسست شركة تكرير النفط الجديدة من ٣ اشخاص: جون وشقيقه اندروز وهنري فلاغلر . وهذا الاخير دعم المشروع بالاموال الاضافية اللازمة التي استقرضها من عمه الذي كان يقوم بتقطير الكحول .

ولع بالتوفير

وكلما كان العمل يتقدم والدولارات تتكدس ، كلما زاد ولع جون بالتوفير . كان يقتصد في كل شيء الى درجة انه اخذ يتدخل في كل صغيرة وكبيرة في اعمال الشركة الادارية منها والفنية: كان احيانا يوبخ مدير التوزيع بسبب نقصان عدد من سدادات البراميل داخل المخزن ...

بعد اشهر قليلة تمّ بناء مصفاة نفط ثانية في كليفيلاند تابعة لروكفلر ، وهذا شجعه على افتتاح مكتب تجاري في قلب نيويورك للتصدير نحو اوروبا .

لقد اصبحت لروكفلر ثلاث مؤسسات ، فلماذا لا يدمجها في شركة واحدة ؟

وهكذا تأسست في ١٠ حزيران ١٨٧٠ اولى الشركات الاميركية العالمية للنفط "ستاندرد اويل اوف اوهايو "برأسمال مليون دولار .

لم يكترث احد يومها لهذه العملية الاندماجية مع انها كانت بداية انطلاق الرأسمالية نحو مرحلتها الاحتكارية . كانت في الواقع ثورة في التاريخ الاقتصادي العالمي . ربما كان ما يلفت انتباه الناس حينئذ ازدياد تمسك جون بالتوفير الى درجة البخل ، رغم تدفق الدولارات عليه: فذات يوم كان يركب القطار والى جانبه سيدةمن معارفه يتحدث اليها . وعندما مرّ الجابي دفع جون دولارا ، فما كان من الجابي الا ان حسم ثمن تذكرتين . فتجهم وجه جون واحتد قائلا: "ينقص بعض البنسات" . اجابه الجابي مرتبكا: "لكن .. سيدي ... اعتقدت انكم ستدفعون ثمن مكانين" . عندها قال جون بهدوء: "لا تحاول ابدا ان تتصوّر أموراً طائشة" .

ولكن ... كيف كانت الصفقة المقبلة ، اذ لا بد ان تكون أية صفقة مقدمة لصفقات اخرى؟ بكلمة واحدة: السيطرة على كل شركات تكرير النفط الاخرى في كليفيلاند وعددها في تلك الفترة كان ٢٦ مصفاة .

وللوصول الى هذا الهدف بذل جون كل عبقريته الرأسمالية الفذة والتي يمكن ايجازها بالآتي:

– اولا – الاتصال بأصحاب المصافي الصغيرة وعرض مبالغ عليهم تفوق بكثير ارباحهم السنوية ، هذا ما حصل لاحدهم مثلا مقابل ٤٧٠٠ دولارا .

– ثانيا – شن حرب استنزاف اقتصادية وتجارية ضد المصافي الكبرى من خلال عقد الاتفاق السري الشهير مع شركات السكة الحديدية التي تنقل النفط . يتلخص هذا الاتفاق بتخفيض ٥٠ في المئة من اجور النقل لشركته مقابل زيادة ٥٠ في المئة على اجور النقل للشركات الاخرى والادهى من ذلك ان روكفلر استطاع الحصول ايضا على نسبة معينة من ارباح شركات النقل الاضافية . وهكذا كان اصحاب المصافي ، الذين لم يقدروا تحمل الزيادة الهائلة ، لقمة سائغة امام جبروت روكفلر . فماذا كانت النتيجة ؟

خلال خمس سنوات (١٨٧٢ – ١٨٧٧) ازدادت طاقة تكرير شركة روكفلر من ٤ في المئة الى ٩٥ في المئة من حاجات السوق العالمية للنفط . وتبقى اﻟ٥ في المئة الاخرى .

– ثالثا – بالنسبة الى "المتمردين" الاخرين ، كان روكفلر يمهلهم وقتا اضافيا لـ"اعادة التفكير" في الامر ، وفي الوقت المناسب كان يخفض الاسعار مما يهدد بافلاسهم . لكن البعض استمر في صموده . فجاءه الرد قاسيا: بكل بساطة ، وبقدرة قادر ، يتوقف المنتجون عن تزويدهم بالنفط الخام او يمتنع الزبون الاجنبي عن شراء النفط المكرر . وفي الحالتين تكون الكارثة حتمية في حال عدم الرضوخ لروكفلر .

– رابعا – من بين اﻟ٢٦ مصفاة الموجودة حينئذ في كليفيلاند لم تبق الا اثنتان خارج كارتيل روكفلر . واستنادا الى قوانين السوق الرأسمالية كان الامر يعني شواذا لا يمكن ان يستمر . وبالفعل لم يستمر .

المصفاة الاولى انفجرت في احد الايام والسبب: خطأ من المهندس الفني المشرف عليها . وحاول عبثا صاحب المصفاة مقاضاة روكفلر بعدما ثبتت علاقته بالمهندس ، الا ان الامر انتهى وطوى النسيان الماضي . المهم انه بقي على قيد الحياة .

اما المصفاة الثانية فصاحبتها كانت احدى الارامل التي تعيل اطفالها بعدما استشهد زوجها في الحرب الاهلية ، وعندما علمت بمخططات روكفلر ذهبت لزيارته وتوسلت اليه ان يتركها وشأنها واستحلفته بشقيقه الشهيد الذي قضى هو ايضا في هذه الحرب . فتأثر كثيرا للدموع ، وكعادته في مثل هذه المواقف الانسانية الحساسة وعدها روكفلر خيرا ، وفي صباح اليوم التالي طردت الارملة من مصفاتها .



روكفلر العجوز قبل سنتين من وفاته.

واخيرا استقر الوضع واصبح جون د. روكفلر ملك النفط غير المتوج. فنقل مقر شركته الاحتكارية الى نيويورك (في شارع برودواي) كما نقل اليها عائلته (في الشارع ٥٤ رقم ٤).

منذ ذلك الحين بدأت العقبات تعترض مسيرته، هذه العقبات التي كان يجد دائما سبل تخطيها باقل الخسائر الممكنة. واهم العقبات ثلاث:

ـ العقبة الاولى كانت في افتضاح امر اتفاقه السري غير المشروع مع شركات السكة الحديدية. وتنطلق الصحف في نيويورك في حربها الاعلامية والنفسية ضد روكفلر ويتحرك الشارع وتكثر التجمعات التي تسخر من لا اخلاقية جون. كما يهدد المنتجون بوقف امداد مصافي الشركة بالنفط الخام. وتكبر المسألة الى درجة احالتها على القضاء. لكن يبقى السؤال: من الذي كشف سر الاتفاق؟

ولا يطول انتظار الجواب لان الشخص المذكور، ويدعى "ارخبولد"، يكشف الامر بنفسه لجون مساوما على بعض الاسهم في الشركة. فيوافق روكفلر على الابتزاز.

مرة اخرى، وبقدرة قادر، تتوقف الحملات الصحفية وينتشر الخبر السعيد: الغى روكفلر اتفاقه السري مع شركات النقل! ورغم ذلك بقي الاتفاق كما كان في السابق.

ـ العقبة الثانية كانت في القانون الاميركي المناهض للاحتكارات ("شيرمان أكت" للعام ١٨٩٠) ومن جديد تقوم القيامة ضد جون روكفلر ويساق الى المحاكم ولجان التحقيق البرلمانية. ودائما كان يجد من يدافع عنه ويقدم الحجج القانونية والاجتهادات المختلفة. الا ان الاهم من كل ذلك كره الناس المتعاظم له. اصبح روكفلر رجلا مكروها حتى من الكنيسة التي كان يتبرع لصندوقها الخيري بملايين الدولارات، اذ ان الكهنة رفضوا في نهاية الامر هذا "المال الحرام".

ولم يكترث ملك النفط لكل هذه الحملات. لم يكن يأبه الا لحسه الرأسمالي الذي بشره بازدهار اعماله اكثر فاكثر عندما شاهد اولى السيارات في شوارع نيويورك. فطن فورا لاهمية هذا الحدث: نفطه سيشكل وقودا لا غنى عنه للسيارات الحديثة هذه.

ـ ... وكانت العقبة الثالثة هي القاضية: ففي غمرة مشاريعه واحلامه في المزيد من اطنان الدولارات، اضطر لاتخاذ قراره الذي هزّ السوق العالمية والاقتصاد العالمي: الاعتزال. كان ذلك في العام ١٨٩٥ وعمره لم يتجاوز الـ٥٦ عاما. والسبب: مرض خطير جعله اشبه بالهيكل العظمي خلال اشهر قليلة.

هكذا تشاء الصدف.

ويخلفه في رئاسة امبراطوريته عدوه الذي اصبح في ما بعد شريكه: ارخبولد.

وعلى رغم ذلك لم يرحمه المجتمع الاميركي الحاقد عليه حتى في عزلته ومرضه. فترفع الدعاوى ضده للتستر على ملكيته لاحتكار نفطي في صورة مخالفة لقانون ١٨٩٠. ويرضخ ملك النفط اخيرا لحكم القضاء، وانما ليس من غير مقاومة، اذ نجح في اقرار تصفية احتكاره تدريجيا وليس دفعة واحدة. يعطيه هذا الامر وقتا كافيا لتصريف ثروته في شكل او في آخر.

هل ارتاح جون د. روكفلر اخيرا؟ كلا.

حاول في عزلته ان يتسلى بأسهم شركات السكة الحديدة ومناجم الحديد. وسرعان ما تحولت هذه الاسهم الى ذهب، اذ ربح صدفة بضع مئات من الملايين من الدولارات نتيجة تحول لصالحه في البورصة. كل ذلك لم يعد يعني له شيئا. فقرر التخلي عن كل ما له علاقة بالمال والاهتمام فقط بالغولف.

بين سنوات ١٩٠٠و١٩٣٠ لم يهتم الا بالغولف صيفا وخريفا وشتاء وربيعا. اصبح احد اشهر لاعبي الغولف في الولايات المتحدة الاميركية. كان سعيدا بمهارته الجديدة كسعادته عندما أسس اول امبراطورية للنفط في العالم. لكن سعادته الوهمية هذه كانت تخفي وراءها الخوف. خوفه من الاغتيال لانه كان يشعر في قرارة نفسه انه اكثر الرجال المكروهين في العالم.

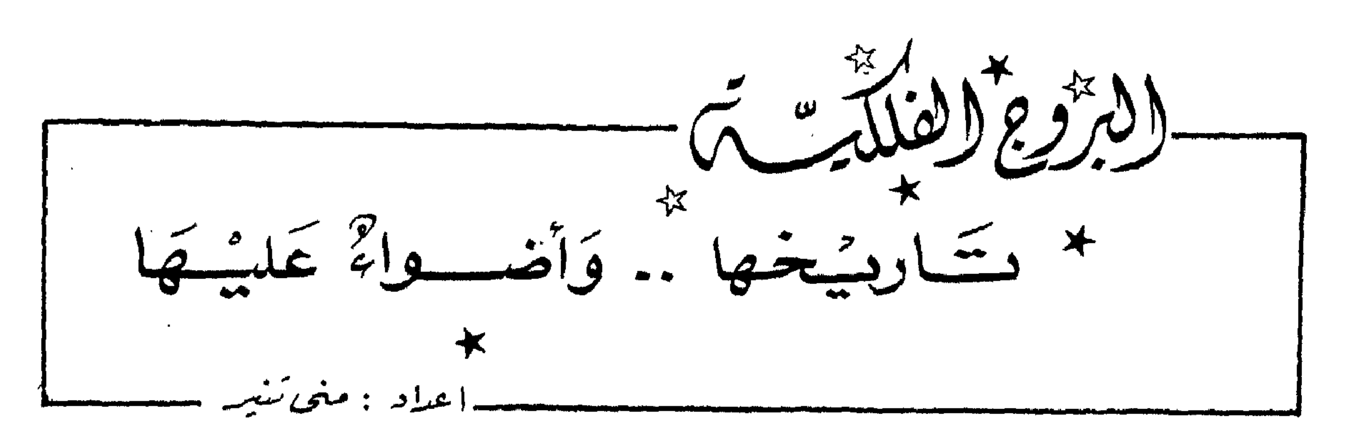
ذات يوم، وعلى غير عادة، زاره كاهن اسمه "غيتس" جاء يطلب ٦٠٠ ألف دولار لمشاريع الجامعة الملحقة بالكنيسة المجاورة.

لبى جون فورا الطلب علهيستعيد شيئاً من عطف المجتمع عليه. لكن الكاهن لم يمهله لحظة واحدة للتفكير وفاجأه بالقول: "جون. حان الوقت لكتابة وصيتك. لا بد ان تفكر في مستقبل اولادك واحفادك..." . مرة ثانية خلال اقل من دقيقتين رضخ روكفلر للطلب. كيف؟ لماذا؟ المهم انه رضخ.

ولسخرية القدر ان "يتخصص" ابنه البكر في الاهتمام بتوزيع ثروة والده وذلك من خلال مؤسسة روكفلر الخيرية التي اصبح يديرها الكاهن غيتس نفسه.

... لم تنته اسطورة جون روكفلر عند هذا الحد. فالقدر قسا عليه مرة اخرى واخيرة. ففي عيد ميلاده الـ٩٧ قال لافراد عائلته الذين التفوا حوله بشفقة: "اراهنكم انني سأعمر حتى المئة".

وللمرة الاولى فشل جون في رهانه عندما فاجأه الموت-يوم ٢٣ ايار ١٩٣٧، وكأنه يريد ان يقول لملك النفط: "كفى مراهنة". ■



تعتبر البروج الفلكية من المسائل القليلة التي فرضت نفسها على قطاع كبير من الناس، وهي تلعب دورا مميزا في الحياة اليومية (الاجتماعية والمهنية) لجهة التأثير المباشر وغير المباشر على نفسية الافراد وتصرفاتهم.

وبغض النظر عن الطابع العلمي او الاسطوري لهذه المسألة، فمما لا شك فيه، في عصر الفضاء الكوني الذي نشهد اليوم اشعاعات بزوغه الاولى، ان للنجوم والكواكب وكافة المظاهر الفلكية الاخرى تأثيرا معينا على التكوين البيولوجي للانسان.

اوائل علماء التنجيم الفلكي اعتقدوا ان السماء تسكنها حيوانات وآلهة وابطال. لذا فان اليونانيين القدماء، كأساتذتهم البابليين والكلدانيين، اطلقوا على البروج اسماء آلهتهم وابطالهم وصوروها على شاكلة الحيوانات في اساطيرهم. اما العلماء المسلمون والعرب فانهم - لاسباب لا مجال لدراستها هنا - اهتموا بعلم الفلك عموما اكثر من اهتمامهم بمسألة التنجيم الفلكي.

لكن القلائل الذين اهتموا بالتنجيم الفلكي ابدعوا فيه: نذكر منهم العالم عبد الرحمن الصوفي الرازي في كتابه "صور الكواكب الثابتة" الذي ضمنه صورا ورسوما، معظمها على شكل حيوانات، لنحو ١٤٢٠ نجما وكوكبا واعطاها اسماء ما زالت متداولة الى يومنا، مثل الحوت والعقرب والعذراء.. كما نذكر ابا الريحاني البيروني في كتابه "التفهيم لاوائل صناعة التنجيم" الذي يعتبر من امهات المراجع في هذا الموضوع بالنسبة الى الشرق والغرب معاً.

ومن بين العلماء الذين يبدو انهم لم يحظوا باجماع الباحثين والمؤرخين حول دورهم الخلاق في هذا المجال، نشير الى "ابي معشر" البلخي مولدا والبغدادي اقامة. اهم مصنف له هو "كتاب المدخل الى علم احكام النجوم".

وفي هذا السياق لا بد من التنويه بالاكتشاف المهم المتعلق بصورة دائرة البروج التي وجدت حوالي الاعوام (٧١١ - ٧١٥م)، في مبنى اثرى اموي يعرف باسم "قصير عمرو".

ومما لا شك فيه اليوم ان علم التنجيم الفلكي الاوروبي في القرون الوسطى لم يكن ليتطور وينتقل الى مرحلة نوعية جديدة لولا المساهمات الخلاقة للعلماء المسلمين والعرب الذين استفادوا هم ايضا من انجازات من سبقوهم ليطوروا ويعقلنوا الاسس الاولية لعلم التنجيم الفلكي الجديد.

وهكذا فان مسألة التنجيم الفلكي هي في الواقع جزء من التاريخ العام للحضارات البشرية. ولكل اسم من اسماء البروج الـ ١٢ المعروفة حاليا (١) قصة طريفة يمتزج فيها الخيال بالواقع



الحلقة الاولى : برج الدلو ٢١ ك٢ - ١٩ شباط

يرمز الى برج الدلو بتعبير "حامل الماء"، ذلك ان علماء التنجيم الفلكي يربطون دائما بين هذا البرج والماء، ربما بسبب ان الشمس تمر فيه خلال ايام شهر شباط الممطرة. ويذكر ان الفراعنة رمزوا الى هذا البرج برمز جزيرة "الاليفنتين" المصرية المقابلة لاسوان.

استطاع عالم الفلك الفرنسي "لوفيريي" (١٨١١ - ١٨٧٧) اكتشاف احد الكواكب في المجموعة الشمسية في العام ١٨٤٦ داخل "الحدود الفلكية" لبرج الدلو. فسمى الكوكب باسم "نبتون"، وهو اله البحر والملاحة عند الرومان الاقدمين.

واستنادا الى ابحاث العلماء فان برج الدلو له تأثير مباشر على انحاء محددة من الجسم البشري هي: الكاحل وعضل الساق خصوصا.

ان مواليد هذا البرج لطيفو المعشر واجتماعيون، شعارهم "الاخوة بين البشر مع الحرية الشخصية". من هنا يتميز هؤلاء بطبعهم المعقد بسبب صعوبة التوفيق بين الحرية الشخصية للفرد والعدل لجموع البشر. وهم يميلون للانضمام الى الجمعيات التي تعمل على تحقيق اهداف انسانية، فينشرون داخلها العديد من الافكار مما يسمح لهم مبدئيا بفتح حوار واتصال مستمرين مع الاخرين.

لكن بما انهم مستقلون في تصرفاتهم ويثقون في انفسهم ثقة كبيرة، فان الحوار معهم صعب للغاية لان كل ما يطرحونه بالنسبة اليهم صحيح. وبالتالي كثيرا ما يهملون الرأي الآخر ويكابرون في مواقفهم. اما في حال اختيارهم لصديق ما فانهم يكنون له كل الاخلاص والمودة.

وعلى رغم كل هذه التناقضات فهم يتحلون بروح الابداع وبعد النظر والعقلانية والذكاء.

من بين الشخصيات العالمية المشهورة في التاريخ القديم والحديث والتي ولدت في برج الدلو نذكر:

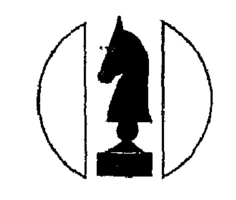
- الفيلسوف البريطاني فرنسيس بيكون
- العالم البريطاني شارلز داروين
- الكاتب البريطاني شارلز ديكينز
- الممثلة الفرنسية جين مورو
- العالم الايطالي غاليليو
- الرئيس الاميركي الاسبق ابراهام لينكولن
- الكاتب البريطاني سومرست موم
- العالم الاميركي توماس اديسون
- الممثلة البريطانية فانيسا ردغريف
- الرئيس الاميركي الاسبق فرانكلين روزفلت
- الممثلة الاميركية كيم نوفاك.



ـ رسم برج الدلو على لوحة قديمة.

---

(١) سنتطرق في حينه الى النظرية الجديدة للعالم الفلكي جان ريناك الذي اثبت وجود البرج الثالث عشر، وهو برج الافعى، لمواليد ما بين ٢٣ تشرين الاول و ٩ تشرين الثاني. وهذا البرج يقع بين كوكبي العقرب والقوس.



تاريخ

الصين مهد الشطرنج أم الهند؟

الامبراطور ياو اخترعه لتعليم ابنه فنون الحرب ام اخترعه هانسنك لالهاء جنوده؟

يكتبها محمد مراد بكر
رئيس الاتحاد اللبناني للشطرنج
الامين العام للاتحاد العربي للشطرنج

الصين واليابان

■ الشطرنج الصيني مؤلف من ٦٤ خانة كلها من لون واحد، في نصف الرقعة خط عريض يدعى "هو" يقسم ساحة المعركة (اي الرقعة) الى شطرين في كل قسم ٣٢ خانة، القطع في كل قسم لها لون مختلف عن الاخر، عادة احمر واسود. توضع هذه القطع على زوايا الخانات وليس في نصفها كما تصف احجار الشطرنج العصري الدولي اليوم، وهكذا وعلى الرغم من وجود ثماني خانات فمن الممكن وضع تسع قطع في كل خط.

لتربح جولة يجب وضع قائد الاعداء (اي الشاه) ويدعى في الصين (سيانغ) في وضع مات، واليك وضع القطع في بدء الجولة.

في الصف الاول

عربة الحرب ـ الحصان ـ الفيل ـ الملازم ـ الجنرال ـ الملازم ـ الفيل ـ الحصان ـ عربة الحرب ـ

الحرب الحرب

في الصف الثاني

مدفع مدفع

جندي ـ جندي ـ جندي ـ جندي ـ جندي

وكذلك في القسم المقابل.

المدفع يشبه الحصان في شطرنجنا اليوم، يستطيع القفز فوق القطع ولكن عليه كي يستطيع اسر قطعة عدوة ان يكون منفصلا عنها بقطعة من قطعه او من قطع خصمه والا فانه لا يستطيع ذلك.

الشاه والمدافع والعربات لا تستطيع قطع النهر اي الخط الفاصل، الجنود لا يتقدمون اكثر من خانة واحدة في كل مرة ويأسرون يمينا او شمالا ولا يحق لهم التقهقر.

لعبة الشطرنج تدعى في الصينية "كي" واللاعبون كيتزي Ki-Tsze وهناك انواع كثيرة منها لعبة تدعى واي كي Weï-ki وقد وضعت كما يقول المؤرخون الصينيون سنة ٢٢٢٠ قبل الميلاد.

في الموسوعة اليابانية الكبيرة الكتاب السابع عشر الصفحة الاولى، جاء ما يأتي: اخترع الامبراطور ياو YAO هذه اللعبة التي دعيت واي كي Weï-ki لتساعده على تعليم ابنه فنون الحرب. ويقول مؤرخون اخرون ان الامبراطور شون CHUN هو الذي اخترع هذه اللعبة لنفس الهدف.

ادخال لعبة الشطرنج الى اليابان يعود الى "كي ـ بي ـ كو ki-bi-ko هذه الشخصية التاريخية الشهيرة ويقال انها من المع شخصيات التاريخ القديم لنيبون Nippon. ولد سنة ٦٩٢ وتابع دراسته في الصين في سن الثالثة والعشرين ولدى عودته الى وطنه سنة ٧٢٣ ادخل معه كثيرا من العلوم والفنون الصينية وخصوصا الحروف المعروفة باسم كاتاكانا Kata-Kana ولعبة الشطرنج.

وتقول الموسوعة اليابانية، ان لعبة الشطرنج دخلت اليابان بواسطة كي ـ بي ـ ساما Ki-Bi Sama بعد ان عاش في الصين مدة عشرين عاما، ولما عاد الى القصر في نيبون في السنة السابعة من التقويم الامبراطوري (٧٣٥ ميلادية) اتى معه بهذه اللعبة وكان ذلك في عهد الامبراطور HIOUEN-T SOUNG في الصين، وعهد الامبراطور SZI-MOU في اليابان.

في الصين، كانوا يعلمون البنات لعبة الشطرنج في سن مبكرة بنفس العناية التي كانوا يعلمونهن بها الغناء والرقص.

بعد مرور ٣٧٩ عاماً على كونفوشيوس، ارسل هونغ كوشو Hung-Cochu ملك كيان غان Kian-Guan حملة عسكرية بقيادة هانسنك HANSING لفتح بلاد شنسي Shensi. وبعد حملة موفقة اوصلته الى ابواب المدينة دهم الجند فصل الشتاء القارص، وطال الحصار ولم يكن الجند معتادين على مثل هذا البرد، فاستبد بهم الحنين للعودة الى زوجاتهم واولادهم وطالبوا بالحاح بالعودة الى وطنهم. ولم يكن هانسنك محاربا عاديا، بل قائدا ذا ذكاء حاد، فاخذ يعمل جهده



في مخطوطة صينية قديمة يبدو فيها الامبراطور "يو - تاي"

لأيجاد مخرج من هذه الازمة، واذا به يخترع بعد تفكير عميق لعبة الشطرنج، ليسلي جنوده اولا وليلهيهم عما هم فيه، وليُنمي فيهم روح الحرب والقتال ثانية، ذلك ان اللعبة التي وضعها تشبه المعارك الحقيقية وتدار وفقا لمبادىء الحرب وفنونها. ونجح القائد في مبتغاه، فقد احب الجند اللعبة، وأنستهم المعارك الصغيرة هذه على الرقعة ما هم فيه. وما ان انقضى فصل الشتاء، ودخل الربيع حتى استطاع القائد الذكي ان يضيف الى مملكة كيان غان بلاد شنسي الغنية بمواردها الطبيعية.

وبعودته الى بلاده مع الملك الاسير شوبابنان Choupaynen اطلق لقب امبراطور على اول ملك للبابان وكان في ذلك الوقت يدعى Hung-cochu ومن فرط حزنه على مملكته انهى شوبابنان حياته بالانتحار.

في Haî-Piène (الموسوعة الصينية) وتدعى بالأبجدية الكبرى في الصين، وضع امام كلمة Siangh-ki : اختراع الشطرنج يعود الى اصل هندي، دخلت الصين في عهد الامبراطور "يو - تاي" yau-ty حوالي سنة ٥٣٧ ميلادية.

الشطرنج الصيني لا يقل جمالا وغنى في خططه عن الشطرنج المعروف اليوم. ويقول المؤرخون انه قد يكون اكثرتعقيداالوزيراو الملكة غير موجودين في الشطرنج الصيني، ونجد مكانهماوزيرين او ملازمين او اولاد الملك. في الخط الافقي الثالث وامام الفرسان يوضع ملازمان (تشبها بالرتب العسكرية) وهاتان القطعتان مهمتان كثيرا وتتحركان بطريقة خاصة، في خط مستقيم وفي زاوية قائمة، (قد تشبه تحركات الحصان اليوم) تضعان الشاه في وضع (كش) وتأسران بطريقة مختلفة.

في التاسع عشر من اب ١٩٧٨ اثناء المباريات الاخيرةلبطولة العالم التي جرت في الفيليبين بين اناتولي كاربوف وفكتور كورتشنوي، نشرت احدى الصحف في هونغ كونغ المقال التالي:

يتابع كورتشنوي وكاربوف في باغيو سيتيفي الفيليبين لعبهما حول شكل من اشكال لعبة الشطرنج التي وجدت منبعها في اسيا والتي يدعي الغرب ابوتها خطأ.

صحيح ان الشطرنج الدولي الحالي لا يلعبه الا قليلون من الانتليجانسيا في اسيا ولكن الاغلبية من اهالي الصين وهونغ كونغ وسنغابور وغيرهم من بلاد اسيا يعرفون تمام المعرفة قواعد اللعبة الصينية Hsiang-chi وبمعنى اخر شطرنج الفيلة كما تعني الكلمة هذه في اللغة الصينية. هذه اللعبة اخترعت كما يقول بعض المؤرخين ما بين ١٢٢ و٢٥٥ قبل الميلاد، واخذتها ونسيتها الصين مدة طويلة الى ان اعادها اليها رهبان بوذيون، ثم اتجهت اللعبة نحو فارس فالبلاد العربية ومن ثم الى اوروبا. ويقول مؤرخون اخرون ان لعبة Hsiang-chi اتت من الهند الى الصين كفرع من فروع الشطرنج التي وضعها غورو صصه (وقصته معروفة سنعود اليها في عدد لاحق).

هذه اللعبة الصينية عدلت في كثير من بلاد اسيا، الا في الفيتنام حيث لا تزال تحافظ على صورتها الاولى. في كوريا واليابان احدثت فيها بعض التغييرات والاقتباسات واصبح اسمها في

اليابان (غو) Go وهي لعبة شبيهة بالستراتيجية العسكرية وكلها شبيهة بالشطرنج اليوم.

ال Hsiang-chi وال Go كل منهما مؤلف من ٦٤ خانة و٣٢ قطعة وهدفهما اسر الملك او الشاه، وهناك بعض التشابه او المعادلات بين القطع الصينية وقطع الشطرنج اليوم، الملك او الشاه موجود في اللعبتين، ولكن لا توجد ملكة (اي وزير) في اللعبة الصينية. البيدق يصبح جنديا في اللعبة الصينية، الرخ يسمى عربة، الفرس هو هو ويدعى حصانا، الفيل فيل حقيقي، وتحوي اللعبة الصينية على جنرال ووزراء ومدافع.

نقل الاحجار تقريبا متشابه في كليهما، ولكن القطع الصينية تتحرك على الخطوط وليس على الخانات، وهناك كما ذكرنا آنفا، خط ابيض يفصل المعسكرين ويقصد بهذا الخط النهر الذي يفصل بين المقاطعتين، وهذا ما يعطي بعض النور او التفسير على اصل اللعبة الصينية Hsiang-chi

وفقا لهذه النظرية، وضعت لعبة الشطرنج تشبها بعوامل الطبيعة وتكوين الكواكب من قبل امبراطور في عهد السلالة الحاكمة Six Dynasties ما بين ٤٢٠ - ٥٨٩م، وقطعها تشبه الكواكب. وكان للحظ نصيب في اللعب اذ كانت القطع توضع على الرقع او تتحرك مثل لعبة الزهر، وهكذا مع الزمن اصبحت اللعبة الصينية تلعب في مباريات عامة، اما اسمها فقد يكون راجعا الى ان احد القطع هو فيل ومعناه بالصينية Hsiang وتعني ايضا صورة ويقصد بها الشبه بين هذه اللعبة وبين حركة الكواكب.

بقيت اللعبة الصينية مدة طويلة تسلية الحكام والوزراء في الصين، ثم عممت لفحص درجة الذكاء عند بعض النافذين، اذ كان على رجال السياسة ان يتقنوها جيدا قبل ان يطمعوا باي نجاح في مناصبهم. اما اليوم فقد اصبحت تسلية الشعب باكمله يلعبونها في كل مكان وعلى الارصفة في الشوارع وخصوصا في هونغ كونغ، واصبحت لعبة تمارس في الاعياد الوطنية على رقع كبيرة جدا.

ويحكي تاريخ الصين قصصا كثيرة عن جنرالات ومحاربين مشهورين كانوا يصرون على اكمال جولتهم او نقل حجرهم قبل الالتفات الى عدوهم المباغت او الذي يطوقهم او يضيق الخناق عليهم واحيانا حتى لو كانوا في احرج الازمات.

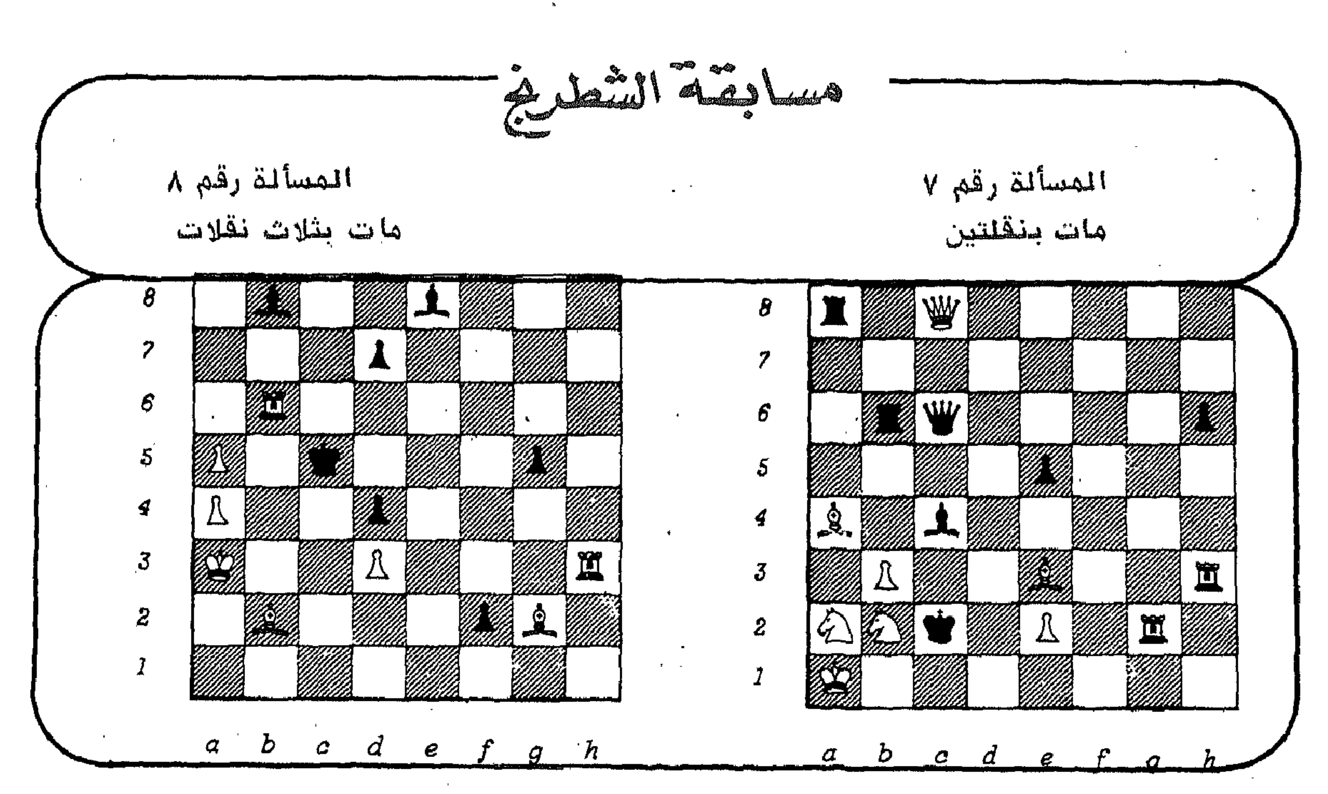
احجار اللعبة الصينية ذات النوعية الممتازة كانت تصنع قديما وفقا للتقاليد من العاج او من الجاد وكان سعرها خياليا. اما الاحجار الشعبية فكانت تصنع من الخشب (تختلف نوعيته وفقا للمبلغ الذي يدفعه الشاري) وهي بهذا الشكل انتشرت بين الشعوب في اسيا.

نموذج جديد ظهر اخيرا وهو مصنوع من البلاستيك اما الاشكال الفنية فقد استعيض عنها ببعض الرموز التي يتعرف عليها اللاعبون بسرعة.

وعلى هذا الشكل قد تنتشر اللعبة الصينية هذه Hsiang-Chi اليوم في العالم كما انتشرت منذ الاف السنين في غرب الصين.

من هذه التناقضات يتبين لنا ان اصل الشطرنج لا يزال مجهولا وان يكن محصورا بين الهند والصين ونظنه من الهند. وسنعود الى ذلك في عدد مقبل ان شاء الله. ■

مسابقة الشطرنج



حل المسابقة الشهرية رقم ٢

المسألة رقم ٣: المفتاح 1-Cç6

المسألة رقم ٤: المفتاح 1-h6

الفائزون:

وصلتنا رسائل عديدة منها بكل اسف ما لا يحمل اسم صاحب الحل ان على المغلف أو على الرسالة، انما لم يرسل الحل الصحيح سوى اثنان فقط هما: السيد م، كامل سعيد ـ حمص ـ ص،ب، ١٩٦ والسيد سليمان الرمضان من جامعة حلب، وبنتيجة القرعة فاز الاول بالجائزة الاولى وقدرها مائة ليرة لبنانية، والثاني فاز بالجائزة الثانية وقدرها اشتراك سنة وسترسل لهما جائزتاهما قريبا وقد حجبنا الجائزة الثالثة هذا الشهر على ان تكون من نصيب فائزين أربعةفي العدد المقبل،

على ان هناك كثيرين حلوا مسالة واحدة ولم يوفقوا في الثانية ونرجو لهم حظا سعيدا في المرة المقبلة،

ملاحظة للقراء:

ان فوز اثنين هذه المرة ومن سوريا فيه الجواب المباشر للذين يظنون ان المسابقة وضعت فقط للبنانيين وان تأخر البريد يمنع بصورة ما اشتراك من هم خارج لبنان، واحببان انوه باننا استلمنا عدة رسائل من الخليج وخصوصا من الامارات العربية ولكن الحل لم يكن صحيحا، لذا فليطمئن الاصدقاء الى اننا ناخذ بعين الاعتبار تاخر البريد ولا نبدأ بالقرعة الا قبل ايام قليلة من بدء طبع هذه الزاوية،

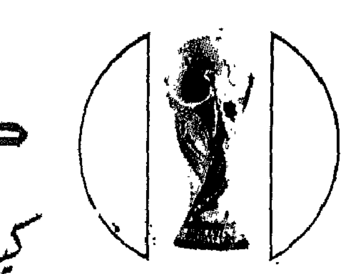
اما تقديمصفحاتاكثرعن الشطرنج فقد حاولنا بهذا العدد ارضاء القراء، ولكن احيانا تضطرنا كثرة المواد الاخرى للاختصار،

على كل نشكر للقراء عواطفهم وتشجيعهم لهذه الزاوية،

مسابقة الشطرنج

■ يرسل الحل الصحيح مع القسيمة الى ادارة المجلة ص،ب (٥٩٠٥) ويكتب على الظرف مسابقة الشطرنج، يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال،

قسيمة الشطرنج رقم ٤	الاسم: ------------------ المهنة: ------------------ العنوان: ------------------



كأس العالم لكرة القدم

كيف نظمت عام ١٩٣٠ أول دورة عالمية للكرة ؟

وفيق علم الدين



الكأس للبطولة العالمية الاولى لكرة القدم

شغل الصحافي العالمي جان ايكينازي خلال عشرين سنة متتالية منصب مدير الشؤون الرياضية في جريدة "فرانس سوار" الفرنسية، وحاز على الجائزة الكبرى من الاكاديمية الرياضية، وهو في كتابه "ارجنتين ٧٨". (منشورات دوميسين، باريس ١٩٧٨) يروي التاريخ المنسى للبطولات العالمية وكأس العالم لكرة القدم ابتداء من البطولة العالمية الاولى التي جرت في الاورغواي (١٩٣٠) وحتى دورة الارجنتين الاخيرة (١٩٧٨)، كما يكشف عن جوانب جديدة من تاريخ اكثر الالعاب الرياضية شعبية في العالم المعاصر، هذه اللعبة التي تجسد انتصار الخيال المبدع لكونها تجمع في آن معا بين التنسيق الجماعي المنظم والمبادرات الفردية الجريئة. ـ

وقد جاء في كتابه عن تنظيم اول دورة عالمية في كرة القدم في عام ١٩٣٠. ما يأتي:

الاوروغواي تحقق
حلم جول ريميه

عندما طرح جول ريميه، رئيس الاتحاد الفرنسي لكرةالقدم ومؤسس الاتحادالدولي لكرة القدم (فيفا) فكرة تنظيم مباريات عالمية لكرة القدم، لم يلق حماس الدوائر الرسمية بسبب صعوبة التنفيذ. ومع ذلك كان هاجسه في كل لقاء صغير او كبير، رسمي او غير رسمي، ان يطرح هذه الفكرة على اوسع نطاق ممكن. وجاء العام ١٩٢٩ ليشهد اول انهيار اقتصادي رأسمالي بعد الحرب العالمية الاولى. فنشط ريميه وسط اليأس العارم والاحباط لدى ملايين البشر ليعيد الحماسة والبسمة الى وجوه الناس. ولم تمض شهور قليلة الا وكانت دولة صغيرة في اميركا الجنوبية قد حققت حلم مؤسس الفيفا، هذه الهيئة الدولية التي تضم اليوم اعضاء رسميين يفوق عددهم عدد اعضاء الامم المتحدة نفسها.

والسؤال الذي لم يطرحه الكثيرون حينها هو: لماذا اختيرت الاوروغواي بالذات؟

الاسباب عديدة واهمها المشاكل الاقتصادية والمالية التي كانت تواجهها الدول الاوروبية والولايات المتحدة نفسها. ومع ذلك لم يكن اختيار هذا البلد الصغير اختيارا عشوائيا اذ ان فريقه الوطني كان قد ربح مرتين في الالعاب الاولمبية لكرة القدم التي جرت في باريس (١٩٢٤) وفي امستردام (١٩٢٨).

وبفضل كرة القدم دخلت الاوروغواي التاريخ الرياضي قبل غيرها من الدول.

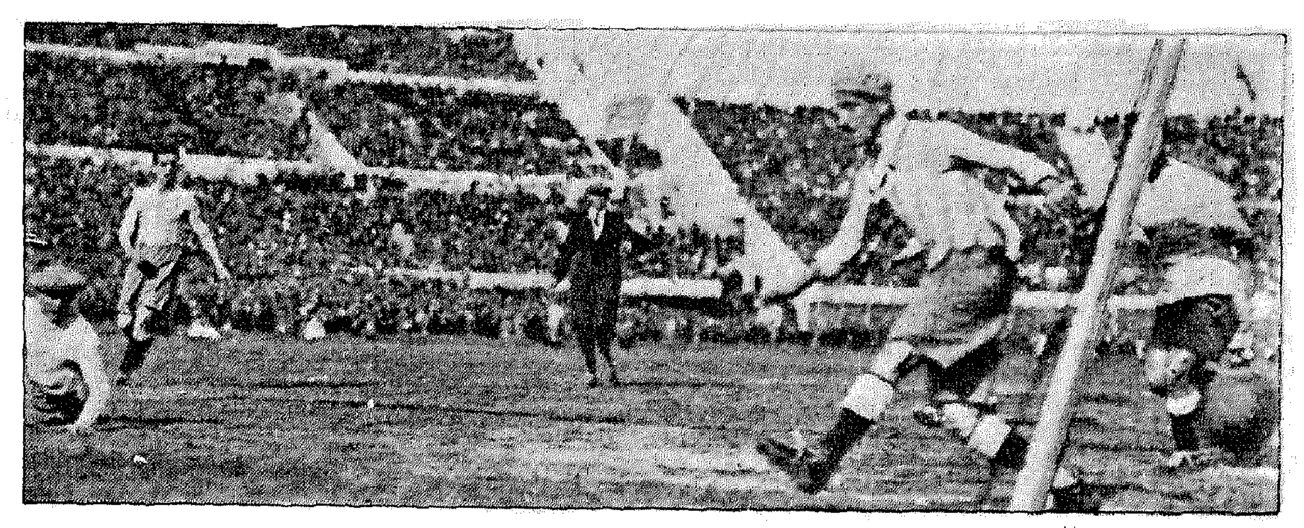
لم تشارك في هذه البطولة العالمية الاولى من نوعها الا ٤ فرق اوروبية من الدرجة الثانية (بلجيكا، فرنسا، رومانيا ويوغوسلافيا) و ٩ فرق اميركية (الاوروغواي، الارجنتين، بوليفيا، البرازيل، تشيلي، الولايات المتحدة، المكسيك، الباراغواي والبيرو). اما فرق الدرجة الاولى الاوروبية يومها (النمسا، هنغاريا، ايطاليا، تشيكوسلوفاكيا وبريطانيا) فانها لم تساهم في البطولة ربما بسبب عدم اقتناعها بجدواها.

وهكذا في صيف ١٩٣٠ جرت المباريات على ملاعب "سينتناريو" في مونتيفيديو.

بعد التصفيات المتتالية وصلت الاوروغواي الى المرحلة النهائية من دون صعوبة تذكر، تقابلها الارجنتين التي خاضت مباريات صعبة خصوصا مع الفريق الفرنسي (١ ــ ٠).



مشهد من مباراة الاوروغواي ـ الارجنتين يظهر فيها الحكم متكئا على خشبة المرمى.



الهدف الاول لصالح الاوروغواي

وفي ٣٠ تموز بدأت مباراة البطولة الفاصلة بين الدولتين الاميركيتين الشقيقتين، تماما مثلما كان عليه الوضع في المباراة الاولمبية لكرة القدم في امستردام قبل ذلك بسنتين.

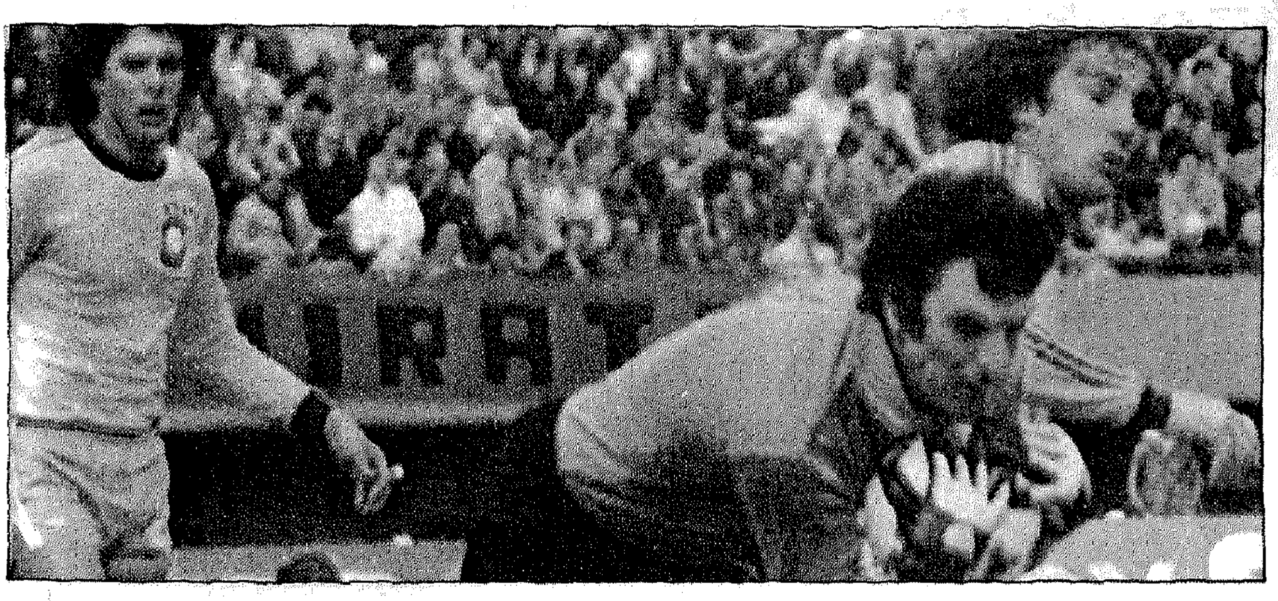
في الشوط الاول ربحت الاوروغواي (٢ ـ ١) وعززت انتصارها في الشوط الثاني (٤ ـ ٢) مؤكدة بذلك ان لقبها الذي كسبته في باريس وامستردام استحقته عن جدارة. واصبح يوم الثلاثين من تموز عيدا وطنيا لاول بلد حاز على كأس جول ريميه الذهبية لكرة القدم.

ماذا عن مستوى المباراة؟

ان من كان له حظ مشاهدة هذه المباراة، استمتع بالاخلاقية الرفيعة التي تحلى بها الفرقاء وبالنوعية العالمية للتكتيكات التي اعتمدت، علما بأن التدريب يومها لم يكن يتم في شكل مبرمج ومنظم. فكان المدرب يتكل على عفوية اللعب الجماعي وعلى المبادرات الفردية لبعض نجوم الفرق الى درجة انه، في حال اعادة عرض هذه المباراة حاليا، لا بد وان ترتسم ابتسامة خبيثة على وجه المشاهد العادي.

ومن الامور الطريفة التي كاد المرء ان ينساها مع مرور الزمن، اللباس الرسمي للحكم (وكان يومها البلجيكي جون لانجونوس دانفير) وهو "السموكن" الكامل مع ربطة العنق والقبعة الرياضية ـ الكشفية. وهذا ان دل على شيء فعلى مدى احترام اللجنة الدولية لاكثر الالعاب الرياضية رواجا على المستويين الرسمي والشعبي، والفضل كل الفضل يعود لجول ريميه.

المسابقة



■ اين التقطت هذه الصورة وفي اية مناسبة رياضية؟ من هو حارس المرمى الذي يحمل الكرة؟.



● سباحة اوسترالية ولدت في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٦٠ بطلة العالم في السباحة في عام ١٩٧١ حين ضربت كل الارقام القياسية في السباحة الحرة من ١٠٠ متر الى ٨٠٠ متر٠ ونجحت في قطع مسافة ٤،٩٨٠ كلم في الساعة٠

مدربها هو فوربس كارليل٠

قال عنها البطل الاوسترالي الكبير مودي روز "انها اول سباحة اعرفها ذات اعصاب كاملة الاتزان"٠



● لاعب بريطاني عالمي في كرة القدم

• ولد في كانون الاول ١٩٣٨ في شيفيلد٠ وهو افضل حارس مرمى منذ "ياشين"٠

كسب مع فريقه بطولة العالم في ١٩٦٦٠

استبدل بالحارس بونيتي بسبب حادث تسمم مفاجىء في معدته٠ وهذا ما ادى الى خسارة فريقه امام المانيا الغربية٠

اشترك بـ ٥٨ مباراة دولية٠



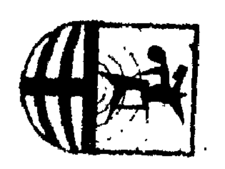
■ رياضي ومدرب جزائري ولد في الاول من كانون الثاني ١٩٢١ في "تل تلغ"٠ من اشهر العدائين في زمانه٠

بدأ حياته الرياضية منذ ١٩٤٠٠

كسب البطولة ٣١ مرة٠ عهده الذهبي كان بين اعوام ١٩٤٦و١٩٥٦ حيث جاء الثاني بعد البطل التشيكي الشهير اميل زاتوبك٠

ربح اربع مرات بطولة "سباق الدول" في اعوام ١٩٤٩، ١٩٥٢، ١٩٥٤و١٩٥٦٠

قسيمة مسابقة الرياضة ٤	الاسم : ---------------------- المهنة : ---------------------- العنوان : ----------------------



للطلاب فقط...

اعداد : سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي، خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن اجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد اقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة على الاسئلة جميعها وارفاقها بالقسيمة المنشورة الى جانب الزاوية، ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من اخطأ في احد الحلول.

اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك الا ان ترسل الاجوبة مع القسيمة الى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة او الكلية او المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب.. وللطلاب فقط.

● مقاطعتان على الحدود الفرنسية الالمانية ضُمتا إلى فرنسا عام ١٧٦٦ ولكن بسمارك انتزعهما منها عام ١٨٧١ الأمر الذي ترك مرارة شديدة في نفوس الفرنسيين. استعادتهما فرنسا في اعقاب الحرب العالمية الاولى وهما بحوزتها الآن. تبلغ مساحتهما نحو ١٤٥٧٧ ميلا مربعاً، وسكانهما نحو مليونين ونصف المليون. فهل عرفتهما؟

اية معركة ؟

● في فترة من فترات الحرب الثانية باغتت طائرات الاسطول البحري الياباني وحدات الاسطول البحري الأميركي الراسية في مكان ما في المحيط الهادي، وتمكنت بذلك نحو ١٠٥ طائرات يابانية من تعطيل نحو نصف السفن البحرية الاميركية الكبيرة عن العمل بالاضافة الى ثلاثة طرادات وثلاث مدمرات وبعض القطع الأخرى.

أما الطائرات الاميركية فقد دُمر معظمها وهي على أرض المطار وبلغ عدد القتلى الاميركيين ٢٣٢٠ رجلا وعدد الجرحى يقارب ١٣٠٠ جريح والمفقودين حوالي الألف.

وعلى الرغم مما اصيب به الاميركيون، فان الضربة لم تكن كافية لشل حركتهم واستطاعوا بالتالي استعادة نشاطهم وخوض غمار الحرب العالمية بكامل قوتهم وطاقتهم الانتاجية. فأين وقعت هذه المعركة ومتى؟.

من هـو ؟

● مؤرخ وعالم اجتماع، ولد في عام ١٣٣٢م وتوفي عام ١٤٠٦م، اقامت اسرته في تونس حيث تعلم، انتقل إلى مصر حيث اتصل بسلطانها برقوق، حج إلى مكة عام ١٣٨٧م، ورافق جيش المماليك الذي صد زحف تيمورلنك، ألف كتابه الشهير "العبر وديوان المبتدأ والخبر..." يعتبر رائداً لعلم الاجتماع واول من وضع القواعد العلمية للبحث التاريخي بابتكاره المنهج التاريخي وهو يقول أن الوقائع التاريخية يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلول،

سبق عصره ومفكري العرب والغرب وأثر فيما بعد بأوغست كونت وهربرت سبنسر، في عام ١٩٥٠ الف عميد جامعةالسوربون اطروحته عنه، وكذلك فعل طه حسين عام ١٩٣٠،

مـا هي ؟

● اقدم الفرق الاسلامية، ظهرت عام ٦٥٧م، واشتهرت بشدة تعصبها وتقيدها الدقيق التام بأحكام القرآن الكريم، ولقد انبثقت من خلال الصراع بين علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان،

افراد هذه الفرقة كانوا اول الأمر من اشد اعوان علي الا ان قبولهبالتحكيم قد ساءهم فصمموا على قتله،

لا تزال بقايا بعض الفصائل القليلة والمعتدلة من هذه الفرقة موجودة حتى الآن في جنوب الجزائر وتونس وعمان وزنجبار، فما هو اسم هذه الفرقة ؟،

الجوائز هي:

■ الجائزة الاولى: مائة ليرة لبنانية او ما يعادلها
■ الجائزة الثانية: اشتراك سنة في المجلة
■ الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة

اجوبة مسابقة العدد الثاني

١ ـ اتحاد كونفدرالي ٢ ـ جنديس فرانس ٣ ـ سايكس ـ بيكو ٤ ـ معركة انوال ٥ ـ ابن سيناء ٦ ـ سجموند فرويد

الفائزون

● الفائز الاول: محمد البسام ـ الجامعة اللبنانية ـ خمسون ليرة لبنانية ـ بيروت
● الفائز الثاني: جورج شاهين ـ الجامعة الاميركية ـ اشتراك سنة ـ بيروت
● الفائز الثاني: محمد حسين ـ الجامعة العربية ـ اشتراك نصف سنة ـ بيروت،

الاسم : ----------------	قسيمة للطلاب فقط
المهنة : ----------------	رقم
العنوان : ----------------	٤

تاريخ حركة الطوابع البريدية في العراق



اعداد: ميشال اسطفان الاخصائي في الطوابع

العراق يشمل البلاد التي كان يطلق عليها الغربيون اسم MESOPOTAMIA (تدمر)، وكانت جزءاً من الامبراطورية العثمانية، من ١٥٣٤ الى ١٦٢٣ ومن ١٦٣٨ الى ١٧٠٤ ومن ١٨٣١ الى ١٩١٧، وحكمها الصفويون من ١٦٢٣ الى ١٦٣٨ والباشوات المماليك من ١٧٠٤ الى ١٨٣١.

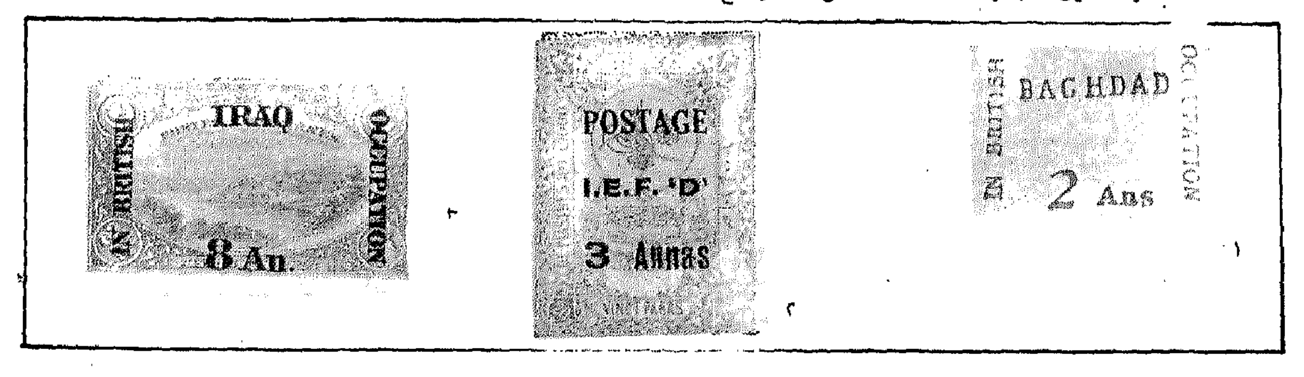
واثناء الحرب العالمية الاولى، احتلت القوات البريطانية ـ الهندية البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ لتحمي انابيب البترول من الفرس، ثم بعد معارك عنيفة دخلت بغداد في ١١آذار١٩١٧، وبذلك كان بدء الاحتلال البريطاني.

وفي ٢٥ نيسان ١٩٢٠، بناء على توصية المجلس الاعلى للحلفاء اسندت عصبة الامم الى المملكة المتحدة (بريطانيا العظمى) الانتداب على البلاد، فنصبت الامير فيصل الاول الذي اخرج من سوريا، ملكاً على العراق في ٢٣ آب ١٩٢١، حيث بقي حتى ٨ ايلول سنة ١٩٣٣ حين خلفه الملك غازي ثم الملك فيصل الثاني في ٤نيسان سنة ١٩٣٩. وفي ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ اجتاحت الثورة البلاد واطاحت بالعائلة المالكة وحاشيتها كما هو معروف واصبح العراق جمهورية.

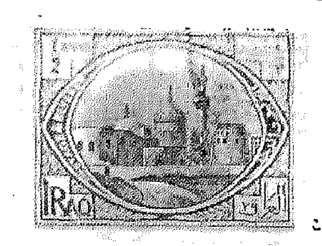
والطوابع العثمانية كانت منتشرة في بلاد الشرق باختام خاصة لكل بلد، وهكذا كانت الحال في العراق ايضاً، الى ان دخلت قوات الاحتلال سنة ١٩١٧ فاصدرت اول مجموعة اتخذتها من الطوابع العثمانية الموجودة بعد ان وشحتها بالانكليزية: BAGHDAD In Brith occupation (بغداد ـ احتلال بريطاني). (صورة ١). وهذا الاصدار خصص لبغداد.

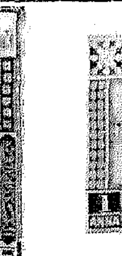
طوابع هذه المجموعة خمسة وعشرون اخذت كيفما تيسر مما تخلف من الطوابع العثمانية، واقتصر توشيحها على فئات ثلاث فحسب، هي ١/٢ آنة و١آنة و٢آنة. فكان من الطبيعي ان يختلف عدد طوابع كل من هذه الفئات عن عدد طوابع الفئة الاخرى، وهي بمجملها ضئيلة جداً مما جعل ثمنها اليوم يزيد عن عشرة الاف ليرة لبنانية. كما ظهرت بعدئذ بعض الفئات المزورة من هذه المجموعة مما حمل الهواة على الحذر في شرائها واقتنائها الا" مرفقة بشهادة خبير موثوق. اما في الموصل فقد وشحت سلطات الاحتلال عندما دخلتها في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨، ستة انواع من الطوابع العثمانية المالية التي وجدتها وهي من فئة ١/٢ آنة، ١، ١/٢ ١، ٢، ٣، ٤، ٨ آنة، والتوشيح هو بالانكليزية ايضاً: (".Postage I.E.F."D) (بريد. قوات استطلاعية هندية "د"). (صورة ٢) وقد خصصت هذه المجموعة للموصل. وفي كانون اول ١٩٢٥ الحقت عصبة الامم ولاية الموصل بالعراق.

اما المجموعة الاولى الخاصة بالعراق بمجملها، بعد المجموعات الموشحة المذكورة آنفاً، فقد صدرت في اول ايلول ١٩١٨ مؤلفة من ١٤ طابعاً من الطوابع العثمانية الموشحة بالانكليزية ايضاً:
IRAQ In Brith occupation.



١ ٢ ٣






(العراق ـ احتلال بريطاني)، بفئات ١/٤ آنة الى ١٠ روبيات. (صورة ٣). وفي شهر ايار سنة ١٩٢٣ صدرت اول مجموعة طبعت خصيصاً لتعكس صوراً حقيقية عن البلاد وكانت مؤلفة من ١٣ طابعاً وتحمل ثماني صور مختلفة، (صورة ٤،٥،٦،٧،٨،٩،١٠، (١١)). منها اثرية ومنها رمزية بفئات من ١/٢ آنة الى ١٠ روبيات. ثم تلاها طابع واحد سنة ١٩٢٧ يحمل صورة الملك فيصل الاول فئة روبية وحدة. (صورة ١٢). ثم عقبت ذلك مجموعات متوالية كانت كلها تحمل صورة الملك الحاكم.

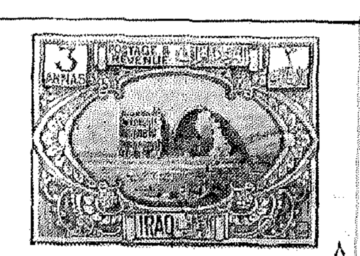
المكاتب الاجنبية
في الشرق

في الاعداد السابقة تحدثنا عن المكاتب الفرنسية والمكاتب الروسية. والآن نقدم نبذة عن تاريخ المكاتب النمساوية.

Lombardo Venette (لومباردو فينيته)، ولاية نمساوية اصدرت اول مجموعة لها سنة ١٨٥٠، ثم خمس مجموعات لاحقة اخذ منها المكتب النمساوي مجموعتي سنة ١٨٦٣ و١٨٦٤ المؤلفة كل منهما من خمسة طوابع فئة ٢و٣و٥و١٠و١٥ سولدي (العملة النمساوية)، واستعملها في مكاتبه في الشرق واوروبا في اكثر من سبعين بلداً. وكان خاتم البلد الذي استعمل فيه الطابع هو الدليل عليه.

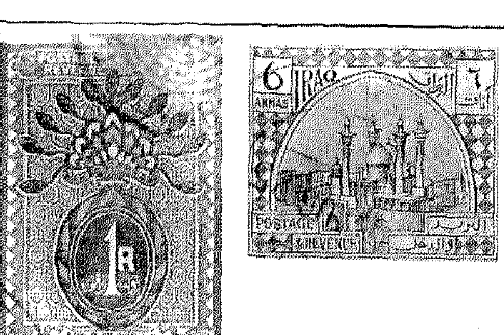
ومن سنة ١٨٦٧ الى ١٨٨٨ اصدر المكتب مجموعتين تحمل الاولى صورة القيصر فرانس جوزف والثانية صورة النسرين التوأمين رمزاً للنمساء (صورة ١٣و١٤)، وكانت بالسولدي كذلك.

ومن اصدارات النمسا لسنة ١٨٨٨ و١٨٩٠ و١٨٩١ و١٩٠٠ وشحت المكاتب ٢٤ طابعاً بالبارة والقرش. اما المجموعات الاخيرة للمكتب فكانت ثلاثة مؤلفة من ١٥ طابعاً بفئات تتدرج من ١٠ باره الى ٢٠ قرشاً ولا تحمل أي توشيح وبالمناسبة نذكر انه كانت هناك مجموعتان ايضاً صدرت الاولى سنة ١٩٠١ موشحة من ١٠ بارة الى ٥ قروش ومؤلفة من خمسة طوابع والثانية سنة ١٩٠٨ مؤلفة من ٩ طوابع من ١/٤ قرش الى ٣٠ قرشاً، وكانت هذه المجموعات للاجور المستحقة اي للمراسلات الواردة الناقصة الاجرة؟ وهو الطابع الذي نطلق عليه اسم Taxe (اجور مستحقة).


٨



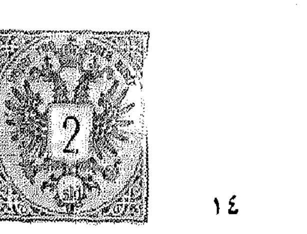
٩


١٠ ١١



١٢


١٣


١٤

مسابقة الشهر

العدد الرابع

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
	■								١
		■							٢
			■						٣
						■			٤
■				■		■		■	٥
							■		٦
		■			■				٧
									٨
				■				■	٩

افقياً:

١ – شاعر مخضرم لقب بشاعر المرتدين ٢ – طيور من الجوارح، نجيع (معكوسة)٣ – ضد "على بغض"، من الطيور ويعرف بالكركي ٤ – ضمير مجرور بحرف جر، اشتهر باسفاره البحرية ٥ – جدها في فتية ٦ – قصر بناه النعمان اللخمي ((معكوسة)، ٧ – خلاف صبي، حرف تعجب وزجر، لعب بالكجة ٨ – فنان مصري ٩ – مدينة مابين النهرين دمرت وانقاضها على شاطىء الفرات، مستشرق بريطاني يدعى جورج ٠٠٠٠ درس العربية واهتم بالاسلاميات وترجم القرآن،

عمودياً:

١ – يضرب به المثل بالطمع، مطلع احدى المعلقات "قفا ٠٠٠٠" ٢ – من الاشهر (معكوسة ، ظهر (معكوسة) ٣ – حرف هجائي، مؤسس دولة تركمانية حكمت دياربكر وماردين وحلب (معكوسة) ٤ – كاتب ومفكر مصري، حرف استفهام مجرور (معكوسة) ٥ – يبني مبعثرة، قائد لقب بثعلب الصحراء ٦ – حرف نصب، وحيدة مبعثرة، ٧ – واحة احتلها النبي وفرض الاتاوة على سكانها اليهود ثم اجلاهم عنها عمر (معكوسة)، لمس ٨ – فوضتا اليهم (معكوسة) ٩ – حواجز – صفة غالبة للصقر،

مسابقة الطوابع

ترسل الحلول الى ادارة المجلة، ويكتب على الظرف: "مسابقة الطوابع" يجب ان يصل الحل قبل نهاية كل شهر ويعتبر خاتم البريد على الظرف بمثابة التاريخ الصحيح للارسال،

الجوائز هي:

الجائزة الاولى: خمسون ليرة لبنانية او ما يعادلها،

الجائزة الثانية: مجموعة طوابع بريدية قيمتها لا تقل عن خمسين ليرة لبنانية،

الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة

● تحية خاصة للمهندس نزار عرنوق من طرطوس – سوريا الذي اخطأ بكلمة واحدة هي "عمي" بدلا من عما، عسى ان يحالفك الحظ في المرة القادمة،

حل مسابقة العدد الثالث

افقياً:

١ – حبيب السعد
٢ – فؤاد شهاب
٣ – اخ، آه، أن،
٤ – مر، من
٥ – بغية، دباس،
٦ – كميل
٧ – معروف، يجب
٨ – شارل حلو
٩ – سركيس

عمودياً:

١ – حباحب
٢ – خاب، عش
٣ – هي، يم، رأس
٤ – بشارة خوري
٥ – ادة، فلك
٦ – لا، مسك، حر
٧ – سو، سليمان،
٨ – عفا، بيجو،
٩ – بلدان،

الفائزون في مسابقة العدد الثاني

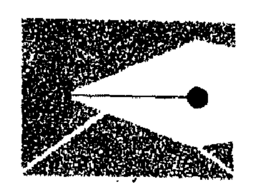
■ الفائز الاول: اسامه جواد رضا – صور لبنان خمسون ليرة لبنانية

■ الفائز الثاني: محمد احمد صالح – ثانوية رأس النبع الرسمية – بيروت مجموعة طوابع بريدية بقيمة خمسين ليرة لبنانية

■ الفائز الثالث: اشتراك نصف سنة في "تاريخ العرب والعالم" نزيه حسين رمضان – رياق – حوش حالا

قسيمة الطوابع رقم ٤	الاسم : ----------------------------
	المهنة : ----------------------------
	العنوان : ----------------------------

بريد القراء



الوطن العربي اصبح بحاجة الى مجلة متخصصة في التاريخ العربي

■ اتمنى لمجلتكم (تاريخ العرب والعالم) النجاح والاستمرار، وان تتحقق الأهداف التي وضعتموها نصب اعينكم..

رغم انني لم اقرأ المجلة القراءة الجدية التي تمكنني من الحكم او بالأحرى ابداء الرأي... لان الحكم لا زال مبكراً جداً... اعجبت بهذا الجهد الواعي والجاد، في جعل احد فروع العلم (التاريخ) في متناول ايدي القراء... وان الوطن العربي اصبح بحاجة الى مثل هذه المجلة المتخصصة في التاريخ.

اقترح ان تحوى المجلة على مواضيع، لا اقول متخصصة بالاقتصاد... بل ان تلم بدراسة التاريخ الاقتصادي وتاريخ الفكر الاقتصادي.. وتاريخ علم الاقتصاد.. وتاريخ علماء ومفكري الاقتصاد... الخ... في الوطن العربي والعالم

وهكذا في بقية العلوم البحتة، والعلوم الانسانية.. وبهذا الشكل تستطيع المجلة ان تدخل الى كل مكتبة وكل بيت.. لانها ستكون مرجعاً لكل شأن من شؤون الحياة.

اتمنى لكم التوفيق والنجاح

جامعة دمشق كلية الاقتصاد دمشق - ج.ع.س

الاسلوب العلمي الصارم والمنهج السليم هو الطريق السليم للنجاح

■ منذ العدد الاول لمجلتكم الغراء وجدت نفسي مدفوعاً للكتابة اليكم معبراً عن تقديري لهذا الجهد الكبير في تخصيص المجلة بكاملها لموضوع طالما تجاهلته دور النشر العربية في وطننا الكبير، ان الاسلوب العلمي الصارم والمنهج المتبع في مواضيع العدد يشكلان ولا شك الانطلاقة السليمة لمثل هذا المشروع الصعب في تحقيقه والاصعب في تأمين استمراريته، ارجو ان تعتبروني احد المستعدين للمساهمة في تحرير بعض مواد المجلة في المستقبل.

محمد سليم

راس النبع - بيروت - لبنان.

مجلة تاريخية جديدة تأخذ مكاناً من غير ضجيج اعلامي...

■ فوجئت بالعدد الاول من مجلة "تاريخ العرب والعالم" بين عشرات المجلات والصحف تأخذ مكانها من غير اي ضجيج اعلام مسبق، وعندما تصفحت العدد كان تفاؤلي اكبر مما تتصورون، فاضافة الى المساهمة القيمة لكثير من المتخصصين المعروفين في التاريخ لفت نظري تنوع مواضيع المجلة مما يجعلها بحق رائدة في هذا المجال في لغتنا العربية.

احمد محمد رضوان

حلب - سوريا

——— اجوبة سريعة ———

● **الأخ صبري سامي صبري - بغداد - العراق.**

☐ المسابقة الرياضية مؤلفة من اثنـي عشر سؤالا، لقد اجبت على سؤال واحد فقط، نشكر لك عواطفك الطيبة

● الأخ بشار منافنجي· دمشق - سوريا

☐ رسالتك وصلت متأخرة جداً· عسى ان يحالفك الحظ في المرة القادمة

● الأخ ايليا خو شابا بولص - الموصل - العراق

☐ رسالتك وصلت متأخرة جداً· عسى ان يحالفك الحظ في المرة القادمة·

● الأخ غسان الحسامي - طرابلس - لبنان

☐ حولت رسالتكم للاستاذ ميشال اسطفان للاجابة عليها·

● الأخ كامل سنيد - حمص - سوريا - ص·ب ١٩٦

☐ تأخر وصول العدد الاول كان بسبب ظروف قاهرة خارجة عن ارادة الجميع· الاعداد القادمة ستكون في الاسواق العربية في الاسبوع الاول من كل شهر بأذن الله· الاستاذ محمد سكر سيحاول تحقيق رغباتكم في الاعداد المقبلة· نشكر لك مبادرتك

● الأخ رولان بنكلي - دمشق - سوريا

☐ نشكر لك مشاعرك الطيبة· ونأمل ان يجد القارئ العربي دائماً كل مفيد وجديد في مجلة "تاريخ العرب والعالم"· بالنسبة الى المسابقة الطلابية فلقد وصلت رسالتك متأخرة شهراً على الاقل· نتمنى لك التوفيق في المرة القادمة·

اراء في التاريخ

■ دخل اعرابي بلداً في يوم جمعة، فقيل له: ادخل الحمام واغتسل وتطهر، فدخل حماماً فزلقت رجله ووقع فشج رأسه وسال دمه فأنشد يقول:

وقالوا تطهر انه يوم جمعة ... فرحت من الحمام غير مطهر
تزودت منه شجتين بمفرقي ... بفلسين يا خسران ما كان متجري
وما تحسن الاعراب في السوق مشياً ... فكيف بأرض من رخام ومرمر

★ ★ ★

■ مر أشعب بقوم يأكلون، فقال: ماذا تأكلون، فأجابوه: سم الموت فقال لهم، لا حياة لي بعدكم· وجلس يأكل معهم·

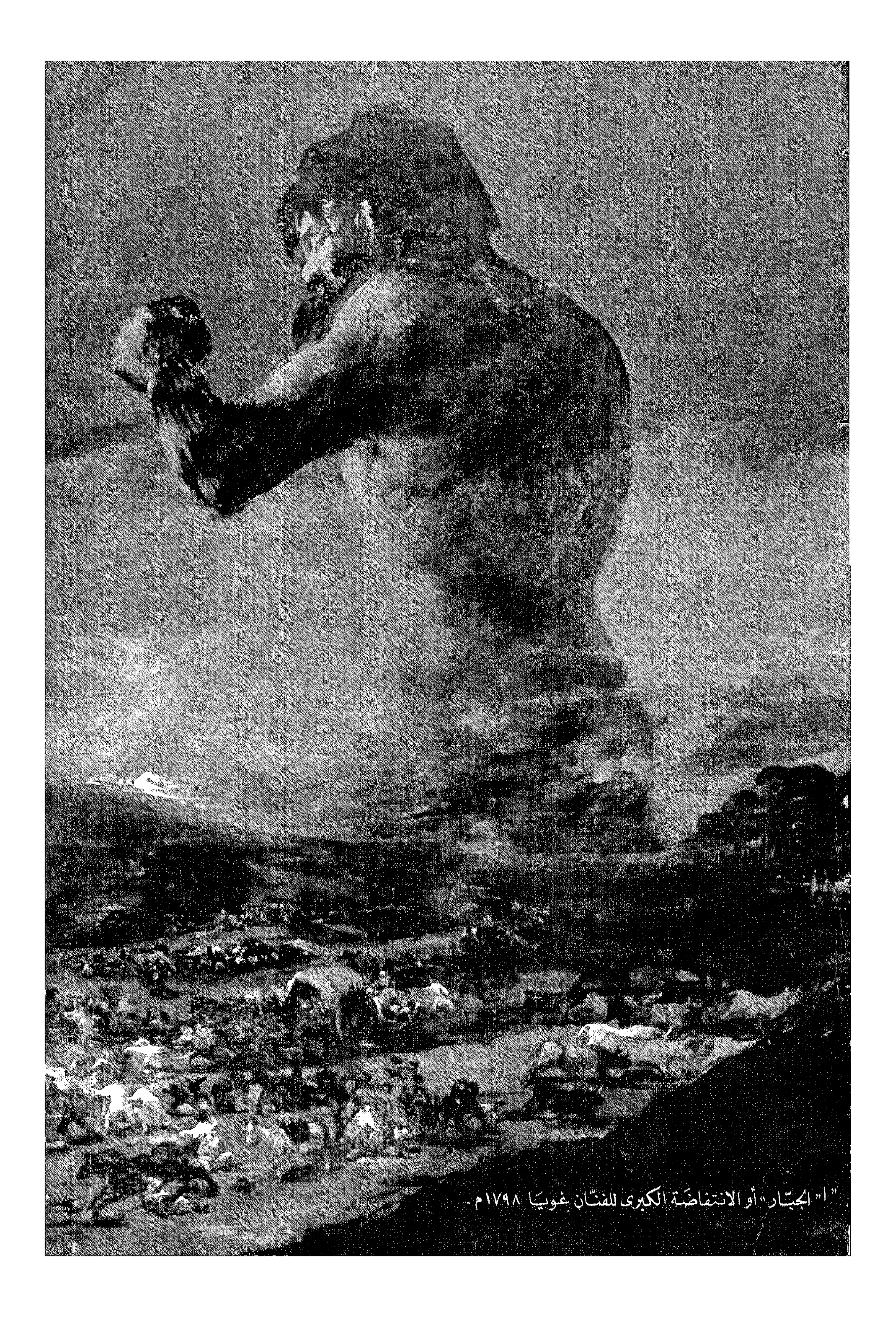
★ ★ ★

■ قال غلادستون في اواخر أيامه ان امرأتي اكثر السيدات ثباتاً على كلامها فما من مرة سألتها عن عمرها الا" قالت انه ثلاثون·

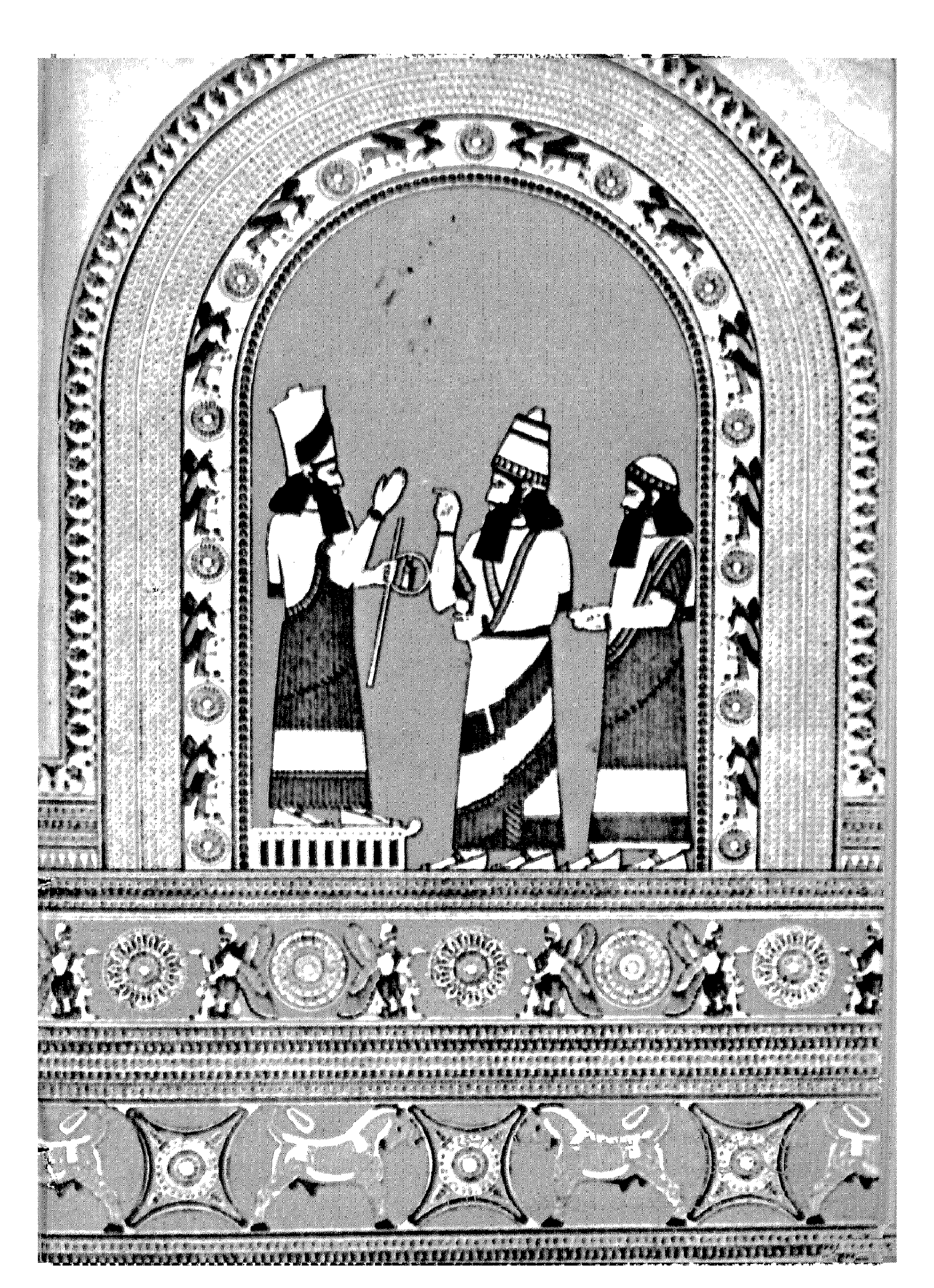
★ ★ ★

■ كان الملك الفرنسي لويس الرابع عشر يخرج للصيد ايام الشتاء دون ان يلبس قفازاً، ورآه مرة فلاحان فتعجب احدهما لذلك، فبادره الآخر بالقول: لا تعجب، فانه لا يحتاج للبس القفازات لأنه يضع يديه في جيوبنا دائماً·

★ ★ ★



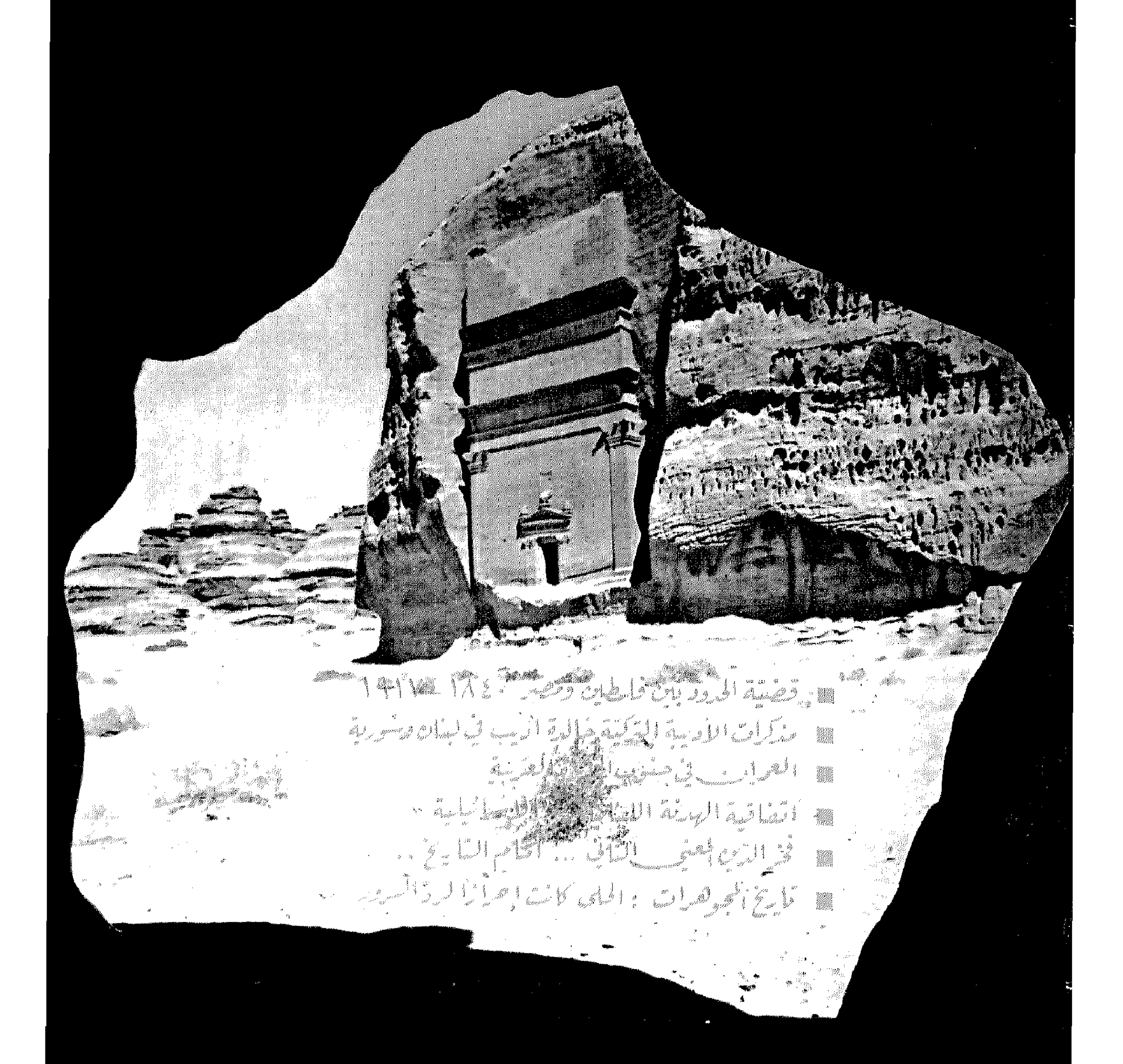
"ا" الجبّار" أو الانتفاضَة الكبرى للفنّان غويَا ١٧٩٨م.

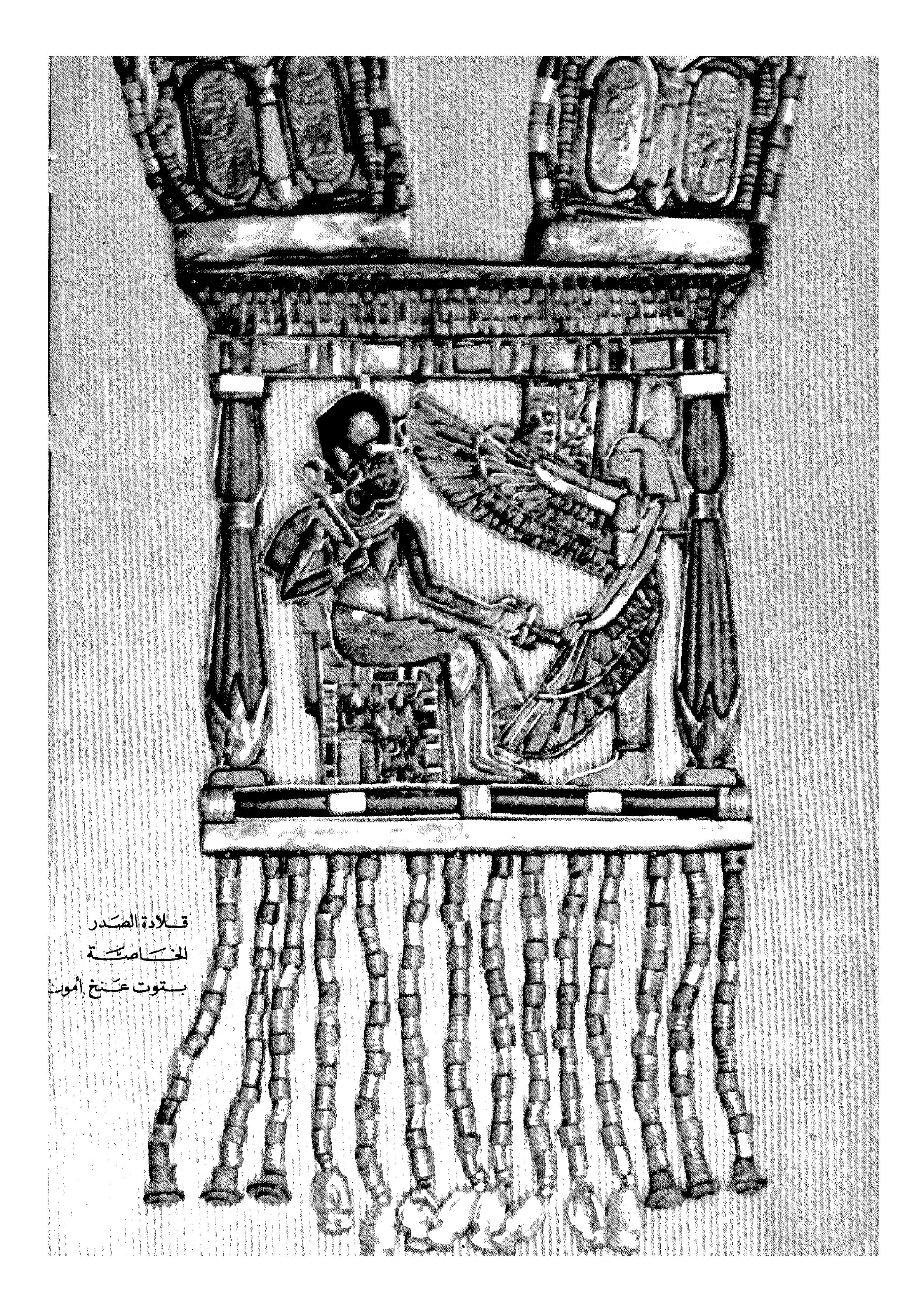


تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى - العدد الخامس - آذار «مارس» ١٩٧٩ - الموافق ربيع الثاني ١٣٩٩





قلادة الصدر
الخاصة
بتوت عنخ أمون

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد الخامس
آذار (مارس) ١٩٧٩
ربيع الثاني ١٣٩٩

تصدر عن دار السياسة للصحافة والنشر

رئيس التحرير: فاروق البربير
المدير المسؤول: محمد مشموشي

ص. ب: ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع الساداتات - تلفون: ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني:
شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج:
مطبعة المتوسط ش.م.ل.
التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

ثمن النسخة

لبنان: ٤ ل.ل	سوريا: ٦ ل.س
العراق: ٧٠٠ فلس	ليبيا: ٨٠٠ درهم
السعودية: ٧ ريال	الكويت: ٥٠٠ فلس
الأردن: ٥٠٠ فلس	أبوظبي: ٨ درهم
دبي: ٨ درهم	قطر: ٧ ريال
البحرين: ٧٠٠ فلس	مسقط: ٨٠٠ بيزة

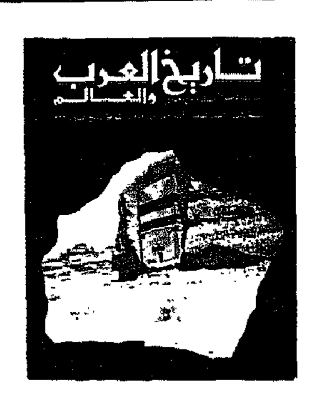
HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
N°. 5 March 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

■ المقالات الواردة توزع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب وغيرهم. تراعي في الألقاب الصفات العلمية فقط.

في هذا العدد



مدائن صالح
في
جنوب الجزيرة العربية
«صورة الغلاف»
راجع موضوع د. نقولا زيادة ص ٢١

■ المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة في بيروت.

■ المواد الواردة إلى المجلة لا تردّ إذا لم تنشر.

■ المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبّر بالضرورة عن اراء المجلة.

الاديبة التركية خالدة أديب
(من كتاب مذكرات خالدة أديب - لندن ١٩٢٦)



انطباعات الاديبة التركية خالدة اديب في لبنان وسوريا وفلسطين ١٩١٦ - ١٩١٧

د. احسان عباس

لا ريب في أن الكثيرين من الأحياء يعرفون شيئاً كثيراً عن دقائق الحياة أثناء تلك الحقبة التي تتحدَّثُ عنها خالدة أديب، في دمشق والجبل وبيروت: كانت الحرب الكبرى (الأولى) قد بدأت، وكان جمال باشا قد علّق المشانق للقوميين العرب، وكانت مذابح الأكراد والأرمن قد ملأت البلاد السورية بالمهاجرين والمشردين والأيتام، وشبح المجاعة المرعب أخذ يجوب الشوارع...

■ في تلك الغمرة أخذ جمال باشا يفكر في «تحديث» التعليم في سورية، وجعله على مستوى لائق ينافس ما كانت تتمتع به المدارس الفرنسية، التي أغلقها جمال باشا نفسه، من مستوى، فأرسل فالح رفقي بك برسالة إلى خالدة أديب يسألها فيها ان كانت تستطيع أن تقدّم العون في هذا السبيل إما بقدومها هي نفسها وإما بارسالها مدرّساتٍ يبدأن العمل هناك. لم يلبث جمال باشا ان شفع رسالته الأولى بأخرى أكثر تحديداً يطلب فيها إلى خالدة ان تجيء إلى سورية لدراسة الأوضاع ووضع خطة لانشاء مدارس كبيرة في دمشق وبيروت ولبنان. كان ذلك في صيف ١٩١٦. ووجدت خالدة، التي لم تكن قد تجاوزت حدود الأناضول يومئذ، أنها فرصة سانحة للتعرف إلى بلاد لم ترها من قبل، فقبلت بالمهمة، وهي تظن انها سترسم الخطة التعليمية اللازمة، وتترك لغيرها تنفيذها، وكان